



تامر إبراهيم

الذي فعلتم!!

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

أنا الآن أعمل كمجهول ... أعيش كجهول ... أتواجد كمجهول ...
أنا الآن لا وجود لي إلا في ذاكرة أقل القليل، وعليّ في الفترة
القادمة أن أعتاد هذا النمط الجديد والعجيب من الحياة ...
لا أحد يعرفني، ولا يشعر بي مخلوق ..
لماذا اخترت هذا الاختيار؟!

لأنني تفوقت على من لا يوجد لديهم شيء يخسرونه، فأنا لم
يعد لدي شيء أملكه!!
أنا الآن بلا شيء على الإطلاق .. أي شيء .. حتى هوية لأعيش بها..
ثمة أشياء سيكون عليّ تعلمها الفترة القادمة..
فالمرحلة الجديدة من حياتي لها متطلبات خاصة، وإمكانيات
خاصة..

المرحلة القادمة من حياتي تعتمد على ألا أتواجد إلا على هذه
الأوراق التي أخطها الآن، لتكون الشاهد الوحيد على قصتي...
هذه الأوراق التي ستمنحك الحقيقة كاملة.. حقيقة..
الذي فعلته..



الذي فعلتم!!

رواية

الذي فعلته!!
رواية

بقلم
د. تامر إبراهيم

إن جميع ما تقدمه (سبارك) هو مصنفات عربية مائة في المائة لا تشويه شبه الترجمة أو الاقتباس أو النقل من أي قصص أوروبية أو أمريكية.

إشراف
محمد جاسم
د. سند راشد

تصميم الغلاف والإخراج الفني
أحمد عاطف مجاهد

مراجعة لغوية
محمد عبد الرحمن فرج

سبارك للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناسر سواء النشر الورقي أو الإلكتروني وكل اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع دون أخذ إذن خطي من الناسر يعرض للمساءلة القانونية.



spark-books.com

تامر إبراهيم

الذي فعلتم!!

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

الورقة الأولى

الذي فعلته!!

الأربعاء ٥/١٥ - الساعة ٦.٣٣
المكان: عيادة الدكتور (علي) ..

"هل تؤمنان بالتنويم المغناطيسي؟؟!"
قالها صديقي الدكتور (مجدي) ، فأجبت بسرعة قبل أن يتمادى
في هذا السخف:

- لا... ولا تحاول تغيير الموضوع من فضلك..

إلا أنه عاد يكرر:

- وماذا عنك يا (علي)؟؟

نظر (علي) إلى السقف لحظة مفكراً ثم قال:

- لا... أعتقد أن الأمر أسخف من أن يكون حقيقياً..

ثم أنه ابتسم بخبث ليقول:

- وأعتقد أن (سامي) محق.. أنت تريد تغيير الموضوع.. هل ستتزوج

حقاً؟؟

أعقبت على كلامه:

- أعتقد أنه يخشى التحدث عنها... هيا أخبرنا، من هي تلك

المعتوهة التي رضىت بك..

ابتسم (علي) بوقار، كعادته حين يمنع نفسه من قتلي، وأجاب:
- حسناً أيها الوغدان.. نعم سأتزوج، لكنني لن أخبركما من هذه
المعتوهة..

قلت محاولاً استفزازة:

- لماذا؟ هل أمرتك بعدم التحدث؟
- مع الحمقى فحسب.. نعم أمرتني..
- هيا، لا تكن وغداً وأخبرنا من هي..
- سأفعل لو أجبت عن سؤالي هذا، لماذا لا تؤمن بالتنويم
المغناطيسي؟

- ها قد عدنا إلى ذات الهراء عن التنويم المغناطيسي..

أجاب (علي) نيابة عني:

- لأنه لا يوجد ما يثبت هذا الهراء... والآن، دورك لتخبرنا من

هي..

جلس (مجدي) على المقعد المواجه لنا، وفرك يديه كعادته حين
يكون متوتراً، ليقول:

- حسناً.. لن أخفي عليكم أن هذا الموضوع يهمني بشدة هذه
الفترة، أنا طبيب نفسي كما تعلمان، والتنويم المغناطيسي كان جزء من
الدراسات التي قمت بها الفترة الماضية... و...

وبالطبع لم أسمع باقي ما قاله، بل اتخذت سلاح الشرود الذي
أجيد استخدامه كوسيلة لإضاعة الوقت، حتى ينتهي من كم الدراسات
المعتاد الذي يلقيه على مسامعنا. كلما أردنا أن نحدثه في موضوع ما..
من حسن حظي أننا أصدقاء منذ الطفولة، وإلا لما كنت احتملته
طيلة هذه الفترة... على الأقل كانت هناك فترات أخرى، كان

(مجدي) أكثر منه إلى آدمي منه إلى طبيب أمراض نفسية ..
وكانت هناك فترات أخرى لم أكن أنا فيها الفاضل الأوحد في هذه
الصدقة الثلاثية..

دعني آخذ بعض الوقت لأعرك بـنا جيداً، قبل أن تمضي بنا
الأحداث ولا نجد وقتاً لهذا فيما بعد. حينها لن أكون أنا سوى
مجرد (سامي) ولن يكونا هما سوى مجرد (مجدي) و(علي)..
ولنبداً بـ (مجدي)...

منذ طفولته وهو النموذج المثالي للطلاب الوغد الذي يستذكر دروسه
جيداً، ويلتزم بالقوانين الخرقاء بإيمان عميق، وإن لم يجد قوانيناً يلتزم
بها، صنع لنفسه القوانين اللازمة لجعل حياته جحيماً يعرف كل خطوة
يخطوها فيه... دائماً ما كان يذكرني بتلك الصورة على كتب (سلاح
التلميذ) لذلك الفتى الذي يقف مبتسماً وملوحاً بيده لمستقبل مشرق، لا
مجال فيه للمتعة...

صدقوني لم أدهش على الإطلاق حين دخل كلية الطب ليتخرج منها
وغداً ذو معطف أبيض، تمتلئ كلماته بالألفاظ اللاتينية القيّمة..
والآن (علي)..

(علي) - ببساطة - هو الحظ - بدون حساب - يمشي على
قدمين!!

ولد لأسرة ثرية، لم تعلمه سوى الكسل واللامبالاة التامة، فالمستقبل
مجدد له منذ أن كان في المهد... سيمر بمراحل التعليم مرّ الكرام، ثم
سيدير شركات والده، ويتحول إلى رجل أعمال..

ولأنه كان يملك وقته كله. ووسامة موروثة. فلن أن تتوقع أنه نموذج
للوغد الوسيم المرفه الذي لا هم له سوى اصطياذ الفتيات والقاء
الدعابات هنا وهناك... وقد كان!

لكن شيئاً ما كان يجذبني إليه دوماً.. ربما جرأته اللامحدودة..
ربما لأنه لم يكن متكبراً كأمثاله من الأثرياء.. ربما لأتني حين أكون
معه أدخل إلى عوالم ما كان لي أن أراها، وأنا الذي أعمل أثناء دراستي
لتوفير نفقاتي..

أنا... الدور عليّ أنا..

حسناً.. لأتني أتحديث عن نفسي فلا تتوقع أن كل ما سأقوله
هو حقيقي مائة في المائة، وهذه قاعدة عامة... أي شخص يتحدث عن
نفسه لا يمتحك سوى انطباعاته الشخصية عما يود أن يكونه، لا حقيقته
المجردة كما هي..

القاعدة الثانية، هي أن أي شخص يحدثك عن نفسه لا يبد أن يكون
ثرياً وهذا ما لن أشد أنا عنه..

ما أملكه وأستحقه عن جدارة حقيقية، هوجسد ممشوق القوام،
تبرز عضلاته بتناسق ملفت للنظر، وقدر لا بأس به من الوسامة، مما
يجعلني أن أكون نجماً سينمائياً أودع شرطة محنك... ولأن الإحتمال
الأول ليس متوافراً لمن هم من أسرة شبه معدمة، لذا فلا تستغرب
لو عرفت أنني ضابط شرطة... وهاك نصيحة أخرى مجانية..

لو أردت أن تصبح أن تصبح ضابط شرطة فعليك أن تكون قاسياً،
تتحلى بدرجة من الفظاظة التي ستكتسبها رغماً عنك سواء من تعاملك
مع المجرمين أو مع رجال الشرطة الأعلى رتبة!

أربعة سنوات قضيتها من عمري أطارده الأوغاد حتى ألفتهم... حتى
أصبحت لا أطيق فراقهم... حتى أصبحت أتساءل حقاً، عن كنه كلمة
(الوغد)؟

أحد زملائي قال لي أن هذه مرحلة طبيعية يمر بها كل شرطي من

كثرة ما رآه، بعد هذا يتحول الشرطي إلى وغد آخر، لكنه هذه المرة يحمل شارة ومسدساً وراية القانون!

لست أهتم كثيراً بما قاله، لكنني ألحظ التغيرات في شخصيتي كل يوم.. أصبحت أفضل العزلة، واكتسب صوتي تلك الخشونة المميزة لمن يقضون نصف نهارهم في الصياح، وأصبحت لا أستكر العنف في حل الأزمات إلى هذه الدرجة..

وبالطبع لم يرق هذا كله لزوجتي... ولوأردنا مزيداً من الصراحة، فلا شيء مني سيروق زوجتي في الفترة القادمة، خاصة بعد أن أعلنت رفضي التام لإنجاب طفل، ونحن لم يمض على زواجنا أكثر من عام...

وأني متزوج - حقيقي - يدرك أن رفقة المجرمين أفضل من رفقة زوجة ناثرة، لذا انغمست في العمل في الآونة الأخيرة، ولم أخرج منه إلا اليوم لأعرف أن صديقنا الوغد (مجدي) قرر أخيراً الزواج بعد سنوات طالت من الدراسة.. وها نحن الآن نستمتع لكل الهراء الذي حفظه على مر السنين..

"هه... هل توافق؟"

قالها (مجدي) للمرة الثانية وبصوت مرتفع جعلني أدرك أنها ليست المرة الأولى التي يسألني فيها هذا السؤال، فأجبت بصراحة:

- أوافق على ماذا؟

- ألم تصغ إلى شيء مما قلته؟

- ولا حرف..

- لا بأس.. كل ما أريده هو أن أجرب التتويم المغناطيسي عليكما..

- هل سنقضي ليلتنا كلها في هذا الهراء؟

قلت لها أنا بملل واضح، لكن (علي) هز كتفيه بأريحية، ليقول:

- ولم لا؟؟ لن نخسر شيئاً على كل حال..

لكني قلت بعناد ساخر:

- وهل ستستخدم معنا القلادة لتؤرجحها أمامنا كالمشعوذين أم

ماذا؟؟

ابتسم (مجدي) بثقة وقال:

- في حالتك هذه لن تجدي الطرق التقليدية نفعاً.. ما سأفعله

هو أنني سأحقنكما بمهديء خفيف ليساعدكما على الإسترخاء، ثم

سأطلب منكما التحديق في شاشة الكمبيوتر، وسيقوم برنامج التنويم

الذي صممته بالباقي..

لكم أكره هذا السخف!!

على كل حال ما الذي سأخسره؟؟

لنجرب إذا كان هذا سيثبت له أنه أحق وأن كل السنوات التي

قضاهما في الدراسة، كانت مضيعة للوقت..

وهكذا.. ها أنا أستلقي على أحد الأسرة وعلى الفراش المجاور لي

(علي) وقد حقنه (مجدي) بالمهديء، ل يبدو أشبه بالمدمنين بعينيه اللتين

تساقط جفناهما... يبدو أنه لن يحتاج للتنويم المغناطيسي ليتصاعد

شخيره في السماء!

انحنى (مجدي) علي وهو يعد المحقن الآخر، ثم كشف عن ذراعي

قائلاً:

- على الأقل سيريحني المهديء من سخريتك قليلاً..

أجبت:

- ستحتاج للسهم كي تتخلص من سخريتي..

بدت لي ابتسامته غامضة، وهو يقول:

- من يدري! ١٩٩

ودفع بالمهدئ في عروقي بلا تردد...

شعرت على الفور باسترخاء عجيب يغزو عضلاتي، وبشعور أعجب
بالسكينة... أياً كان ما سيفعله بي فلن أقاوم.. لن أقدر!

تحرك (مجدي) ليغلق النور فساد الظلام إلا من ضوء شاشة
الكمبيوتر. فبدأ أشبه بشبح، والضوء ينعكس عن معطفه الأبيض بينما
يغلف الظلام ملامحه...

تحدث فجاء صوته من بعيد:

- الآن.. لا أريد منكما سوى أن تركزا فيما سترياه على شاشة
الكمبيوتر ولا شيء سواها..

قالها ونظر إلينا كأنما يستوثق من أننا فهمنا ما قالها... ثم...

ثم شغل البرنامج...

لا.. لم أصبح في الظلام. ولم أشعر بأنني أطيّر، إذا كان هذا ما
ظننته..

على العكس تماماً...

كنت أشعر أنني أهوي بسرعة مخيفة لم أستطع معها حتى
الصراخ!

وكان الضوء يغمرنني من كل اتجاه على نحو أفقدني الرؤية تماماً..
ودام هذا طويلاً... طويلاً... أطول مما قد تتخيل بكثير..

ثم رأيت تلك الأطياف أخيراً .. طيف لرجل ما ينحني على طيف
رجل آخر استلقى على أرض - لا وجود لها - بلا حراك..
كيف عرفت أنهما رجلين... لا أعرف... لقد كنت في حالة أقرب إلى
الإحساس منها إلى الرؤية..
ثم بدأت سرعة سقوطني تتناقص... وتتناقص... وتتناقص..
ثم توقفت عن السقوط بغته..
وفتحت عيني..
وهالني ما رأيت..

الخميس ٥/٢٣ - الساعة ٩.٤٥ المكان: مركز الشرطة..

احتجت لخمس دقائق كاملة لأستوعب الموقف الذي وجدت نفسي فيه حين فتحت عيناى...

وكأى رجل شرطة يحترم نفسه، بدأت المعلومات تدفق إلى رأسى في نقاط منظمة، ولكن ببطء نوعاً ما، من شدة الذهول..

أولاً... لم أكن في عيادة صديقي الدكتور (مجدي) حيث كنت حين نومنا مغناطيسياً... (كيف؟؟ أين أنا؟؟ هل نجح في تنويمنا مغناطيسياً حقاً؟؟)..

ثانياً... كنت في مركز الشرطة حيث أعمل، ولا تسلني كيف انتقلت إلى هنا، فلقد فتحت عيناى للتو، وكنت أرتدي ملابس مدنية، لكني كنت أحمل بندقية في يدي... (ما الذي جاء بي إلى هنا؟؟ ومتى؟؟ ولماذا أحمل هذه البندقية؟؟)

ثالثاً... كنت في قاعة الاجتماعات، لكني لم أكن وحيداً، والأسوأ من هذا أنني لم أكن مع أي أحد من الزملاء، بل هناك بضعة أشخاص لا أعرفهم، يجلسون على الأرض وقد وضع كل منهم يديه خلف رأسه،

مسدداً إليّ نظرات عجيبة مزجت الخوف بالمقت بالرجاء... تماماً
كما لو كانوا رهائن... (رهائن!!! كيف؟؟) ومن الذي أسرهم؟؟
وأين ذهب الجميع؟؟ جميع من أعرفهم ويعملون معي في المركز منذ
سنوات؟؟؟؟)..

رابعاً... كان هناك من يصيح من خارج غرفة الاجتماعات بكلمات
لم أميزها أولاً، ثم ها هي تغزو أذناي كالسهم، بينما أنا أفقر فمي
ذاهلاً عاجزاً عن التصديق..

"(سأاامبيي)... لا داع لما تفعله... استسلم وسيكون موقفك
أفضل"

ما الذي يقوله هذا الرجل؟؟؟؟

أستسلم؟؟

هل يقصد أنني... أنني... أنتي من يحتجز هؤلاء الرهائن؟؟
مستحيل بالتأكيد هناك خطأ ما... لا بد أنني أحلم... المهدئ الذي
حقنني به الوغد (مجدي) يجعلني أحلم... أحلم بكابوس!!
لكن أي كابوس هذا الذي تنزف فيه من جرح في ذراعك؟؟ جرح لم
تصنعه إلا رصاصة؟؟

وحين استعدت القدرة - أخيراً - على التحكم في لساني، تمتعت:

- ما الذي أفعله هنا؟؟

أجابني أحد الرهائن بغل حقيقي:

- نعم.. تظاهر بالجنون... قد ينجيك هذا مما فعلته..

رددت من خلفه بذهول تام:

- الذي فعلته؟؟

أجابني هو بمقت لا حد له:

- ألا تعرف ما فعلته؟؟ ادخل إلى الغرفة لترى بنفسك الذي فعلته،
أيها.. أيها..

وبالطبع لم يكمل.. ما زلت أنا الذي يحمل البندقية رغم كل
شيء..

وعاد الصوت من الخارج - مَيَّزته هذه المرة لأجده صوت زميلي في
العمل (مدحت) - يهتف:

- ساءاامي... أنت تعرف الإجراءات المتبعة... لن تخرج من هذا
المكان إلا لو استسلمت... أكره أن أضطر إلى اتخاذ إجراء قد يؤذيكَ..
لكني لم أجبه... بل اتجهت مأخوذاً إلى الغرفة الملحقة بغرفة
الاجتماعات لأرى ما الذي يزعم هذا الرجل أنني فعلته بالضبط..
وكتصرف منطقي كنت أسدد البندقية تجاه الرهائن طيلة الوقت،
فلم أكن أريد أية مفاجآت وأنا لم أفهم موقفي بعد.. لذا تراجعت بظهري
متجهاً للغرفة، حتى بلغت لأفتح بابها بيدي الحرة... ثم استدردت ببطء
لأنظر إلى الهول ذاته...

ورغم كوني رجل شرطة معتاد على رؤية العنف بكل صوره. إلا أن
المشهد أمامي كان فوق قدرتي على الاحتمال، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا
أتقيأ على أرض الغرفة، ليتأوه أحد الرهائن باشمئزاز..!!
مستحيل أن أكون قد فعلت هذا... مستحيل... مستحيل..!!

تحدث ذات الرجل بسخرية مقبته:

- هل رأيت ما فعلته أيها الوغد؟؟

انقضضت عليه وأنا أقاوم بشدة أن أطلق النار على رأسه ليخرس
نهائياً، وصرخت فيه على نحو تجمدت له عروق الجميع:
- أنا لم أفعل هذا أيها الحقير... أتفهم؟؟... لم أفعله..

- أهذا ما استطعت قوله... سل الباقيين وسيخبرونك من فعلها.. لقد رأوك بأمر أعينهم كما رأيته أنا..

نظرت إلى باقي الرهائن، فجوابتني نظراتهم الملتاعة بالإيجاب، لأنتفض ذاهلاً، قبل أن أتهاوى مستنداً على الجدار، وأنا أشعر برأسي يدور..

وكضرب المطارق أتاني صوت (مدحت) يهتف من الخارج:

- أمامك دقيقة واحدة وإما أن تخرج أو سندخل نحن...

استعدت في ذهني بسرعة، كل ما أعرفه عن (مدحت) وعن طباعه لأجد أنه سيدخل حقاً... (مدحت) لن تهمة كثيراً أرواح الضحايا، إذا وقفت هذه الأرواح في طريقه... وهذا يعني أن أمامي دقيقة واحدة للتحرك... لنضع الفهم لما بعد، المهم الآن هو الخروج من هذا الموقف الذي لا يعني إلا سجنني أو قتلي برصاصات زملائي...

سددت البندقية للجميع لأهتف بصرامة:

- لا أحب أن أتصرف بهذه الطريقة، لكني أريدكم أن تلتزموا أما كنكم مهما حدث.. وإلا..

عاد ذلك الرجل من الرهائن يقول:

- والافعلت معنا كما فعلت مع من هم في الغرفة... أليس كذلك؟ عظيم هذا ما أحتاج إليه تماماً...

وفقاً لما درسته... وفي أي حالة احتجاز رهائن، يكون هناك أحد الرهائن - من أمثال هذا الرجل - شديد العصبية على نحو يجعله يتصرف عكس الباقيين، فبدلاً من الهلع والنحيب، يأخذ هذا الرجل في إلقاء تعليقات مخيفة أكثر مما يقوله المختطف ذاته، وهذا الرجل يساعد - دون أن يشعر - المختطف مساعدة عظيمة الفائدة...

نصيحة مجانية أخرى... لو قررت احتجاز رهائن ذات يوم، احرص على أن يكون هذا النموذج هو أحد رهائنك!!

تحركت بسرعة تليق بمحترف مثلي لأتصرف وفقاً للميزة التي أنمتع بها، وهي أنني أعرف تماماً ما سيفعلونه... ما زلت واحداً منهم... أو كنت!!

مبدئياً سيحاصرون المكان من الداخل، لكن - ونظراً لكونهم داخل مركز الشرطة - سيتجاهلون تأمين المكان من الخارج تماماً.. وهذا يعني أن المشكلة تكمن في الخروج من المركز فحسب. بعد ذلك سيغدو الهرب من المكان كله أشبه بنزهة طريفة...
أهرب إلى أين؟

إلى أي مكان أستطيع فيه فهم ما يحدث بالضبط..
الآن ما أحتاج إليه هو سلك كهربائي... بحثت بعيني لحظة لأجد ذلك السخان الكهربائي الذي نستخدمه في إعداد المشروبات، فأخذته لأنتزع السلك منه بجذبة قوية... الآن ما أحتاج إليه هو مدخل للكهرباء والكثير جداً من الشجاعة.. ها هو القابس الكهربائي خلف الأريكة..
فصلت سلكي السخان عن بعضهما البعض، ثم وضعت القابس في المدخل، وأخذت نفساً عميقاً، ثم أوصلت طرفي السلك بحركة سريعة...

تصاعد الشرر الكهربائي بصورة أفزعني وارتفع لها صراخ الرهائن، ودفعني لإلقاء السلك، لكنني ضغطت على الطرفين معاً بحذائي المطاطي، لتدوي تلك الفرقة المكتومة... وليسود الظلام..
وبسرعة اتخذت أقرب الرهائن لي درعاً، واتجهت به للباب صارخاً:

- لا تطلقوا النار... معي أحد الرهائن..

وبركلة قوية فتحت الباب، لأجد كل من أعرفهم ومن لا أعرفهم من رجال الشرطة وقد حمل سلاحه مسدداً إلى صدري...

كان انقطاع التيار الكهربائي المبالغت عاملاً هاماً لإصابتهم بالارتباك، وحين أشعل أحدهم كشافه ليروا الرهينة معي، تبلبلوا أكثر وأكثر... وعلى الفور صرخت أنا:

- ليتراجع الجميع... لا أريد أن أضطر لإيذاء أحد..

صرخ (مدحت) وقد أخفى الضوء القادم من خلفه ملامحه، فلم لأتبين مكانه بالضبط:

- كف عن الهراء يا (سامي) واستسلم.. أنت تعرف أنك لن تخرج من هنا بهذه الطريقة..

صحت فيه:

- وأنا أعرف أنك لن تطلق النار على الرهينة أمام الجميع..

- وهل تعتقد أنني سأتركك تحطم هيبة الشرطة في أحد مراكزها؟

كنت في حالة من اللا وعي جعلتني أصرخ بجنون:

- ابتعدوا عن طريقي الآن وليخفض الكل سلاحه...

ودون أن أنتظر رد فعل أحد، سددت البندقية إلى الكشاف الذي يحمله أحدهم، وأطلقت عليه رصاصة صائبة نسفته، ودفعت بالرهينة عليهم لأتصرف آخر تصرف قد يخطر لهم ببال... عدت إلى غرفة الاجتماعات..

كنت أعتمد على ذاكرتي تماماً، وأنا أتحرك في هذا الظلام المطبق، لأتجه إلى مخرج الطوارئ، خلف مائدة الاجتماعات، على الرغم من تأكدي أنني سأجد من ينتظرني في الأسفل، لكنني كنت قد قررت أن

أستغل حالة الهرج هذه حتى النهاية ..

وما كد أبلغ الطابق السفلي حتى صحت محاولاً تغيير صوتي:

- اتجهوا للمدخل الأمامي بسرعة... (سامي) يحاول الهرب..

لم أكن أرى من أحدثه بالضبط، لكنني سمعت صوت أقدام تعدو مبتعدة، فأدركت أن خدعتي قد انطلت عليهم... لا يمكنني أن أتهمهم بالغباء، فلم يحاول أحد الهرب من مركز شرطة من قبل بهذه الطريقة!!

وبخطوات أقرب إلى العدو أخذت أتسلسل طريقي إلى المدخل الخلفي حيث موقف السيارات... لأجد المكان خالياً... بالطبع لم يتصور (مدحت) بفروره أنني سأبلغ هذا الحد... لكنني بلغته.. وفجأة صرخ أحدهم:

- ها هو..

لكنني لم أتوقف لأرى مصدر الصوت، بل قفزت إلى سيارتي لأقودها مبتعداً بسرعة جنونية...

إلى أين؟؟!!

إلى أي مكان بعيد عن هنا... حيث يمكنني أن أفكر و- ربما - أفهم..!!

الخميس ٥/٢٣ - الساعة ١١.٢٣ المكان: هضبة المقطم..

كنت بحاجة لبعض الوقت لأعرف حدود الأرض التي أصبحت أقف عليها...

وكنت بحاجة إلى كل ذرة عقل تبقّت لي...
في لحظة كنت ممدّاً على السرير في عيادة (مجدي)، ليجري علي تلك التجربة - اللعينة - عن التتويم المغناطيسي. وفي اللحظة التالية أجد نفسي وقد أصبحت قاتلاً ومحتجز رهائن ثم هارب من العدالة..
بالطبع قاتل... وما الذي تظن أنني رأيته في تلك الغرفة؟؟؟
لقد رأيت (الذي فعلته)!!!...

حسناً... الموقف الآن هو أنني مطارد من الشرطة بعد أن كنت شرطي... ولا أعرف حتى كيف حدث هذا ولماذا.. إذاً فأول ما عليّ فعله هو معرفة ما الذي حدث في تلك الفترة بين التتويم المغناطيسي وبين وجودي في مركز الشرطة ويجب أن أفعل هذا بسرعة، ف (مدحت) لن يسمي خلفي لمجرد تلبية نداء الواجب، بل للانتقام مني، بعد أن هربت منه بهذه الصورة المخرجة.. وهذا يعني أنه يجب أن أتحرك أسرع منه...
منه...

وهذا يعني أن نقطة البدء ستكون من هناك...
من منزل صديقي (مجدي)... فهناك أشياء عديدة يجب أن
يفسرها لي!!

طيلة الطريق إلى منزل (مجدي) كنت أردد في ذهني... لا وقت
للفزع.. لا وقت لفقدان الأعصاب.. لكن هذا لم يكف لتهدئة انفعالاتي
ولا الأفكار التي أخذت تثور في رأسي...

على الأرض الواقع، وحين تتعرض إلى موقف غير معتاد، فإن أول
ما تفعله هو أن تتجاهل كل الحلول المبتكرة والعجيبة التي تقرأ عنها
في الروايات، وتصدم نفسك بصخرة الواقع لتبدأ في البحث عن أكثر
الحلول منطقية، وإن بدت لك ساذجة أو سخيفة..

لذا سجّل هذه النصيحة أيضاً.... الحلول السخيفة هي الحلول
المنطقية دوماً... ما هي الحلول السخيفة التي نملكها ها هنا؟؟؟

أنني لا زلت أحلم.... أسخف من أن يكون واقع... لا يوجد حلم
يتملئ بهذا الكم من التفاصيل، وما زلت قادراً على تحسس جرح كتفي،
وما زالت دمائي الجافة تغطي ملابسي...

أن الأمر كله دعاية سخيفة!!.... حسناً، لو اجتمع (مجدي)
(وسامي) وكل من هم في مركز الشرطة - بالاستعانة بأحد مخرجي
أفلام الرعب، لينفذ المشهد الذي رأيته في الغرفة - في تنفيذ أسخف
وأغبي دعاية في التاريخ الحديث، لكان هذا مبرراً كافياً لي كي أقتلهم
جميعاً... على كل حال لا توجد دعاية تطول إلى هذا الحد....

أن (مجدي) نؤمني مغناطيسياً، وتحكم بي لأفعل كل هذا دون

أشعر... لكن لماذا يفعل (مجدي) هذا؟؟ لا تقل لي أنه خطط لهذا كله لمجرد أن يثبت أن التتويم المغناطيسي حقيقة، ليس إلى درجة أن يدفعني للقتل... الفكرة من الأساس مرفوضة، فحتى تحت تأثير التتويم المغناطيسي لا يستطيع أحد دفعي لارتكاب مثل هذه الجريمة.. إذاً...

إذاً... فالحل المنطقي / السخيف الوحيد الذي أملكه هو أن أحدهم انتحل شخصيتي ليرتكب الجريمة، قبل أن أذهب أنا إلى مركز الشرطة، وبالنسبة للفترة بين تتويمي ووجودي في المركز فلقد كنت مصاباً بفقدان ذاكرة مؤقتة نتيجة تجربة مجدي الخرقاء عليّ... نعم... هذا الحل يبدو سخيلاً بما يكفي ليكون حقيقياً... المهم الآن هو أن أثبتّه وبسرعة...

والوحيد الذي قد يساعدني في إثبات هذا الحل هو من أقف الآن أمام منزله... (مجدي)...

خرجت من السيارة، وصعدت الدرج بخطوات حذرة - فلا أريد أن ألفت الأنظار - حتى بلغت شقته، وقرعت الجرس... وبالطبع - وكما توقعت - لم يجب أحد... وبالطبع الجرس مرة ثانية وثالثة ورابعة... وانتظرت حتى تأكدت من أن انتظاري سيكون بلا جدوى..

أين ذهب هذا الأحمق في الثانية عشر ليلاً؟؟ إنه يفلق عيادته في العاشرة مساءً، ويعود لمنزله لينام كالأطفال ليستيقظ في التاسعة صباحاً... أأكون سيء الحظ، ليقرر (مجدي) تغيير نظام حياته في هذه الليلة بالذات؟؟

أم يكون قد تعمد هذا؟!
لن أحاول القفز إلى نتائج مسبقة الآن...
نظرت أسفل قدمي فوجدت صحيفة اليوم ملقاة أمام الباب،
فالتقطتها بلا اهتمام، حتى وقعت عيناى على التاريخ...
الخميس ٢٣/٥/١٩٩٥

لقد كنت عند (مجدي) يوم الأربعاء ١٥/٥... أي من أسبوع كامل
!!! كيف؟

أسبوع كامل يمر عليّ دون أن أشعر به!
هل فقدت ذاكرتي طيلة هذه الفترة؟
ما الذي يحدث بالضبط؟
وكيف ينتهي؟

الجمعة ٥/٢٤ - الساعة ١٠.٤٢ صباحاً المكان: المعادي..

كان يجب أن أتجه إلى منزلي، لأقابل زوجتي علّها تخبرني بما حدث خلال الأسبوع الماضي... ربما كانت تعرف أي شيء... أي شيء يساعدني على الفهم..

ولن أدعي أنني أهتم حياً بزوجتي ، لكنني كنت أشعر بقلق بالغ عليها...

ترى هل عرفت بما حدث الليلة؟... مؤكداً... (مدحت) سيفعلها دونما تردد...

على كل حال، ما يقلقني حقاً، هو ما قد أكون فعلته خلال الأسبوع الماضي...

يجب أن أطمئن عليها... يجب...

لكن القاعدة العامة تقول أن أول مكان قد يلجأ إليه أي هارب، هو منزله، لذا فلي أن أتوقع أن أجد المكان مراقباً من قبل الزملاء، ينتظرون ظهوري ليحرزوا مجداً في القبض على مجرم خطير، وليقدموني لأيدي العدالة..

ولأن الشيء بالشيء يذكر، فلا بد أنهم يراقبون هاتف منزلي، مما يفقدني ميزة الاتصال بزوجتي وتجنب مخاطرة الذهاب إليها...
أعرف أنك تفكر الآن في أنني أحمق كي أخطر بذهابي لأن الهاتف مراقب، لكن الموقف أكثر تعقيداً مما يبدو...
زوجتي لن تستمع إليّ عبر الهاتف... قبل أن يحدث ما حدث لم تكن الأمور بيننا على ما يرام، ولن أدعي أنني أثق كثيراً في رد فعلها إزاء كل ما يحدث..

يجب أن أراها بنفسني وأحدثها، ولكن كيف؟
ما أريده الآن هو وسيلة لدخول منزلي دون أن يشعر بي أحد، مع الوضع في الاعتبار أن كل ما تراه في الأفلام في المواقف المشابهة هو هراء محض...

لو كان الأمر بسهولة أن أدعي أنني بائع اللبن، لما تجشمت عناء دخول كلية الشرطة منذ البداية...!!
والآن هل تستطيع أن تخبرني، كيف أدخل إلى منزلي تحت أعين الجميع، ودون أن ينتبهوا إلى هويتي؟!!
أنا سأخبرك...
ما ستفعله هو....

في جراج المبنى المجاور للمبنى الذي أعيش فيه، كنت أتحرك في الظلام بحذر بالغ رغم تأكدي أن البواب يغط في نوم عميق في الأعلى... أعتقد أن ما سأفعله لن يروق له على الإطلاق..
أخذت أبحث على ضوء كشاف أحمله معي عن سيارة تقف بعيداً عن

السيارات الأخرى، حتى عثرت على واحدة في أحد الأركان، فاتجهت إليها حاملاً دلواً لبنزين الذي كنت أحتفظ به في حقيبة سيارتي للطوارئ... لن يسامحني صاحب هذه السيارة أبداً لكني مضطر.. أغرقت السيارة بالنزين الذي أحمله ثم ابتعدت عنها نسبياً لأشعل النار بقداحتي في قطعة ورق، وانتظرت حتى أصبحت الشعلة كافية ثم ألقيت بها على السيارة، قبل أن أبتعد عن المكان بسرعة، ومن خلفي بدأ الحريق..

لو صح تصوري، ستنفجر السيارة بعد لحظات بدوي هائل، يكفي لتشغيل أجهزة إنذار السيارات الأخرى ولجذب انتباه الجميع إلى هنا.. الجميع بما فيهم (مدحت) ومن معه..

انتظرت في الخارج قرب المبنى خلف الشجيرات، حتى بدأ المهرجان... لقد فاق الأمر توقعاتي حقاً... السيارة انفجرت بدوي هائل، ثم انتشرت النيران لتجد طرقها للسيارات الأخرى. ولن يمضي وقت طويل حتى تنفجر هي الأخرى...

وكما توقعت ساد هرج ومرج وتصاعدت بضعة صرخات، من هنا وهناك وأضيئت النوافذ في المبنى الذي تحول جراحه إلى جحيم وفي المبنى الذي أعيش فيه، واندفع بضعة رجال بملابسهم المدنية، من خلف أحد الأسوار إلى الحريق، ميزت من بينهم (مدحت)...

لم أنتظر أنا لأرى ما سيحدث بل اندفعت أعدو إلى مدخل عمارتي الخلفي ومنه إلى سلم الطوارئ حتى بلغت الطابق الذي أعيش فيه ثم افتحمت شقتي افتحاماً، وأغلقت الباب خلفي..

أخيراً أنا في منزلي!!

كانت الأنوار مضاءة، وكنت أسمع حركة في غرفة النوم، وسمعت زوجتي تهتف من الخارج:

- من؟؟؟

أسرعت أدخل إليها قبل أن يجذب صوتها الجميع إلى هنا، ولم تكذب تراني حتى شحب وجهها كأنها رأت شبحاً، ثم حدث أغرب شيء من الممكن أن يحدث...

انقلبت ملامحها بقّة لتعكس بغضاً لا حد له، وخرج صوتها تتنازع فيه نبرات الغضب بالمقت، وهي تقول:

- أنت؟؟؟

كنت قد جئت إلى هنا للاطمئنان عليها في المقام الأول، ولأعرف ما الذي يحدث من حولي، لكن النبذة التي تحدثت بها شلّت تفكيري تماماً وجعلتني أقول:

- (نجوى)... ما الذي حدث؟؟؟

تابعت هي بصوت مختنق:

- وتجرؤ على المجيء إلى هنا ثانية؟؟؟ يا لك من صفيق!!

اندفعت دماء الغضب في عروقي، ونسيت كل ما جئت من أجله،
لأهتف:

- (نجوى).. كيف تجرؤين على التحدث إليّ هكذا!!

- بل كيف جرؤت أنت على القدوم إلى هنا

- إذا كنت تتحدثين عمّا حدث اليوم.. فلم أكن أنا القاتل صدقيني

هناك خطأ ما و..

صرخت مذهولة:

- قاتل؟؟؟ ألم يكفك ما فعلته؟؟؟

شعرت بذلك الشعور الغريب حين تتحدث إلى شخص ما لتدرك أن كل منكما يتحدث عن شيء مختلف، فسألتها:

- عن ماذا تتحدثين بالظبط ؟

استردت نبرة الغضب وهي تجيب:

- عن طلاقى أيها النذل... طلاقى بعد كل ما فعلته من أجلك!!

جاء دوري لأهتف بذهول انتفض جسدي كله له:

- أنا طلقتك؟؟؟

- هل ستتظاهر بالعتة أيها النذل؟؟ نعم طلقنتي... اختفيت طيلة

الأسبوع الماضي لترسل لي ورقة طلاقى... أيها الصفيق..

حسناً... هاك أول شيء أعرفه عما فعلته الأسبوع الماضي... طلقت

زوجتي...!!

واصلت هي الصراخ:

- اخرج من هنا... لم يعد لك الحق في التواجد في الشقة..

قاومت الدوار الذي أصابني من فرط المفاجأة، لأقول:

- اصغ لي جيداً... ثمة شيء يصعب عليّ شرحه الآن، أنا لا أعرف

أي شيء عما فعلته في الأسبوع الماضي... لقد فقدت ذاكرتي تقريباً

في تلك الفترة، وأعدك أنني سأصحح هذا الخطأ، لكني الآن أحتاج

لمساعدتك...إنهم يعتقدون أنني قتلت البعض في مركز الشرطة، ويجب

أن أثبت براءتي..

قتلت البعض!!!

لقد ارتكبت مذبة في مركز الشرطة كما يعتقدون، لكن لا يجب أن

تعرف هي هذه التفاصيل...!!

صمتت هي لحظة لتستوعب ما قلته، وقد جمدت ملامحها على الدهشة وعدم التصديق..

وحين تحدثت أخيراً قالت:

- لن أسمح بوجود قاتل في منزلي..

هل جرّبت من قبل أن تكتشف المرأة التي تزوجتها لأول مرة؟!! أنا

فعلت!!

بدهشة حملت لا قدراً لا بأس به من المرارة قلت:

- (نجوى)... أنت زوجتي!!

- لم أعد زوجتك أيها القاتل.. اخرج من هنا فوراً..

- لكنني أحتاج إليك..

لكنها واصلت غرز السكاكين في صدري، قائلة:

- لا يهمني تفسيرك لما حدث... لقد رفضت الإنجاب مني ثم

طلقتني.. والآن أنت قاتل.. ولن أستغرب لو كنت أنت من حرق السيارات

في جرج المبنى المجاور... والآن أنا لم أعد أريدك... أخرج من هنا، أو

أصل بزملائك ليقبضوا عليك...

هل جرّبت من قبل أن تكتشف المرأة التي تزوجتها لأول مرة؟!!

أرجوك لا تفعل!!!

الآن أنا بمفردي تماماً..

الآن لم يعد لوجودي هنا مبرر...

وبكل ما تعتمل به نفسي من غضب ومرارة، قلت:

- أيا كان ما حدث لي طيلة الأسبوع الماضي... لقد أحسنت صنعاً

بتطليقك... لن أندم على هذا أبداً..

واتجهت لأغادر المنزل ناسياً تماماً ما ينتظرني في الخارج، أو أنني
لم أعد أهتم... لست أدري!
كل ما أذكره هو أن ما كدت أمد يدي لأفتح الباب مغادراً، حتى هوت
عليه تلك الطرقات الهادرة من الخارج أعقبها صوت (مدحت) يقول:
- إفتح يا (سامي)... أنا أعرف أنك بالداخل..

الجمعة ٥/٢٤ - الساعة ٢.٢٢ صباحاً
المكان: المعادي..

ها أنا الآن أقدم لكم بثاً مباشراً من أمام باب منزلي، حيث تقف زوجتي خلفي مذهولة، بينما (مدحت) على وشك اقتحام الباب ليلقي القبض عليّ ما لم يقتلني أولاً..

حسناً... هل يمكنك أن تخبرني كيف أتصرف، ما دمت تهوى قراءة الروايات البوليسية؟

لا يوجد هنا سلم طوارئ ولن أقفز من النافذة - أنا أعيش في الطابق الخامس - ولا يمكنني أن أخرج لأطلق النار على الجميع... كيف أتصرف إذاً؟

ربما يمكنني شراء بعض الوقت لو...

لكن زوجتي - العزيزة - صرخت فجأة:

- إنه هنا... أنقذوني منه...!!

ثم إنها نظرت لي مبتسمة بتشف... ألم أقل لك أن رفقة المجرمين أهون من رفقة زوجة ثائرة؟

التفت إليها لأهمس بغضب:

- لو كنت أملك الوقت لقتلتك بيدي..

وهكذا لم يعد أمامي سوى حل واحد..
التقط نفساً عميقاً، وشدت قامتي بحزم، و.. و..
وفتحت الباب..

كان (مدحت) يتخذ ذلك الوضع البوليسي الأحق الذي تراه في الأفلام، ومن حوله ثلاثة أو أربعة من الزملاء، وقد سدوا مسدساتهم بتوتر بالغ، وهتف (مدحت) بلهجة سينمائية بحتة:
- إرفع يديك واستدر..

لوكنا في ظروف أفضل لانفجرت ضحكاً، لكني هذه المرة لم أملك إلا أن أقول بملل:

- (مدحت) .. كف عن هذا الهراء.. لن أقاومك..

- قلت لك ارفع ذراعيك في الهواء واستدر..

ودعني أعرفك - لن يأخذ الأمر أكثر من لحظة - بزميلي العزيز (مدحت) وإلا أصبح بالنسبة لك مجرد (مدحت) ..

أسمر.. وغد.. قصير... قبيح.. غبي.. شجاع.. لم يدخل كلية الشرطة إلا ليجد مبرراً لحمل السلاح وإشهاره في وجوه الناس بتلك الصورة السينمائية التي يتقنها، والتي جعلته دوماً موضع سخيرة مني..!!

هذا هو (مدحت) بلا تقصير أو اختصار..

ولا بد أن اليوم هو أسعد يوم في حياته المهنية على الإطلاق..!

استدرت ببطء فأنقض عليّ ليحيط معصميّ بالأغلال، وهو يردد:

- كنت تظن أنك ستهرب.. هه؟

قلت رغم تأكدي أن ما سأقوله بلا جدوى:

- أنا لم أقتلهم يا (مدحت) ..

- قل هذا لكل من رأوك تفعلها..

- لكنك تعرفني..

- بالطبع أعرفك.. وكنت أنتظر هذا اليوم على أحر من الجمر..

وأمام أعين الجميع - بما فيهم زملائي وزوجتي وبعض الجيران الفضوليين - أخذوني إلى الأسفل ليضعوني في سيارة (مدحت) ولينطلق الموكب كله إلى مركز الشرطة...

وعلى الرغم من أنني كنت ذاهباً لألقى أسوأ مصير ينتظرني كقاتل. إلا أنني لم أشعر إلا بالهانة والمرارة..

لو كانوا رحيمين بي، سيقدمونني للمحاكمة، حيث سأقف أمام القاضي لأقول "معذرة يا سيدي القاضي.. لكنني لا أذكر أي شيء حدث لي في الأسبوع الماضي... نعم الكل رأني أقتل ولا أعرف كيف وبصماتي على السلاح واحتجرت رهائن وفجّرت جراج سيارات.. لكنني آسف ولن افعل هذا ثانية"!!!

بالتأكيد سيضحك القاضي ملء شذقيه قبل أن يحكم عليّ بالإعدام!!

أين أنت يا (مجدي)؟؟ أين؟؟

أنت الأمل الوحيد الذي أملكه...

يجب أن أهرب.. يجب.. ولكن كيف؟؟

(مدحت) يجلس جوارى متأهباً، والأغلال تحيط بمعصمي، وهناك

سيارة شرطة أخرى تتبعنا وأخرى أمامنا..

أين الحلول البوليسية يا قارئ الروايات؟؟

هل تعرف كيف تتصرف في موقف مشابه؟؟

حسناً أنا سأخبرك.. ما ستفعله هو..

الجمعة ٥/٢٤ - الساعة ٢.٤٥ صباحاً المكان: سيارة (مدحت) ..

سيارة الشرطة - وكما يعرف الجميع - ينفصل القسم الأمامي داخلها عن القعد الخلفي بحاجز زجاجي مضاد للكسر، والأبواب الخلفية غير مزودة برتاج من الداخل بحيث يصبح من المقعد الخلفي معزولاً تماماً وعاجزاً عن الخروج من السيارة...
لكن ماذا عن الزجاج الخلفي للسيارة؟؟؟...

لنتخلص أولاً من الأغلال... لن أحتاج لمهارات خاصة، فأنا رجل شرطة ومدرّب على التصرف في مثل هذه المواقف وهذا ما يبدو أن (مدحت) قد نسيه لفرط غروره أو لحسن حظي...

بالطبع لن أخبرك كيف نتخلص من الأغلال على هذه الصفحات، لكن يكفي أن تعرف أن الأمر استغرق مني وقتاً لا بأس به، وحثراً شديداً مع نظرات (مدحت) المتشككة التي أخذ يلسعني بها بين الحين والآخر..

حين تخلصت من الأغلال أخيراً، التفت لـ (مدحت) لأقول:
- أنت تعرف جيداً أنني لا أقتل..

زمجر هو قائلاً:

- وأنت تعرف أن هذا لا يهمني في شيء...

- إذاً... أنت لم تترك لي الخيار..

وقبل أن يفهم ما أعنيه، كنت قد انتزعت مسدسه من حزامه، لأهوي بمقبضه على وجهه... شهق هو بعنف ثم فقد الوعي، بينما هتف السائق الذي رأنا عبر المرآة الأمامية:

- ما الذي تفعله؟!!

هتفت أنا:

- واصل القيادة والآن أطلقت النار..

- الزجاج بيننا مضاد للرصاص وأنت تعرف هذا..

- سأطلق النار إذاً على (مدحت)... لا أظنه مضاد للرصاصات هو

الآخر..

غمغم السائق بشيء لن أتبينه، فتجاهلته وأخذت أركز عيني على الطريق... من الواضح أن من في السيارتين الثانيةيتين لم يشعروا بما حدث.. ويجب أن أستغل هذا جيداً...

أسرعت أحيط معصمي (مدحت) الفاقد الوعي بالأغلال تحسباً لأن يستيقظ بغته، ثم قلت للسائق:

- أهرب..

- ماذا؟!!

- قلت لك اهرب... ابتعد عن السيارتين الأخريتين..

- لكنهم سيطاردونني لو فعلت..

- أعرف... لكن سأقتل (مدحت) لو أمسكوا بنا...

- لن تفعلها..

- لم لا؟! إنني قاتل على كل حال.. أليس كذلك؟
تردد السائق لحظة، لكنني جذبت زناد المسدس مهدداً فأنحرف
بالسيارة بفتة لينطلق في الاتجاه المعاكس...
وعلى الفور هتف أحد من في السيارتين عبر جهاز الإرسال:
- (هشام) .. ما الذي تفعله؟؟
هتقت بالسائق:
- لا تجب... انطلق فحسب..
نفذ السائق ما قلته على مضض، ولم تجد السيارتين الثابنتين بداً،
إلا أن تبدأ في مطاردة سيارتنا..
اطمئن.. لن أضيع الوقت في وصف المطاردة، لكنني أعترف بأن قائد
سيارتنا كان بارع حقاً، ومن المؤسف أنني لم أتعرف عليه في ظروف
أخرى..
وحين انتهت المطاردة، وابتعدنا ما فيه الكفاية، قال السائق بغیظ:
- إلى أين سنذهب؟
أجبتة:
- إلى أي مكان معزول... أريد أن أخرج من هنا..
- لن تتمكن من الهرب...
- هذه مشكلتي..
اتجه بي إلى أحد الأحياء السكنية الخالية قرب زهراء المعادي،
فطلبت منه التوقف والخروج ليفتح لي باب السيارة... ورغم شعوري
بالضيق الشديد لما سأفعله إلا أنني أحطت معصميه بالأغلال، مستغلاً
(مدحت) كرهينة معي...
وقبل أن أبتعد عن المكان التفت للسائق لأقول:

- أعرف أنك لن تصدقني، لكنني آسف حقاً لما فعلت... ربما جاء
يوم أستطيع أن أشرح لك فيه ما يحدث..
لكن السائق لم يجبني... اكتفى بأن سدد إليّ نظرات صامتة تحمل
ألف معنى، فتركته وابتعدت سيراً على الأقدام - لم يكن من الممكن أن
أخذ السيارة، لكنني تأكدت من إتلاف الإطارات الأربعة - دون وجهة
محددة...

وهكذا عدت هارباً مرة أخرى من أيدي العدالة...
وهكذا بدأت رحلتي الطويلة...

السبت - ٥/٢٦ - الساعة السابعة صباحاً المكان: شقة في المهندسين..

حين استيقظت كنت لا زلت أشعر بدوار عنيف يكتنفني، وبرغبة عارمة في العودة إلى النوم مجدداً، لكنني لم أفعل... لا أملك وقتي إلى هذه الدرجة لأضيعه في النوم...
وكان ذلك الحلم الذي حلمت به ماثلاً أمامي بصورة عجيبة حقاً...

كنت أحلم أنني أسقط بسرعة مخيفة والضوء يغمرنني من كل اتجاه على نحو منعني من الرؤية تماماً... تماماً كما حدث حين نومي (مجدي) مغناطيسياً...

ثم رأيت تلك القاعة مجدداً، وذلك الطيف لرجل ينحني على طيف رجل آخر ممدد على الأرض بلا حراك...
كأنه.. كأنه ميت!!

ثم أخذت سرعة سقوطي تتناقص وتتناقص. حتى فتحت عيني بغتة لأجد نفسي ممدداً على أرض تلك شقة صديقي (سليمان) التي اقتحمتها ليلة أمس... حمداً لله أنه مسافر!!

كان جرح ذراعي قد بدأ يلتئم - لم يكن سوى جرح سطحي - لكنني كنت أشعر بإنهاك عجيب مع كل ما حدث أمس...

أنا بحاجة إلى حمام ساخن وثياب نظيفة... وأعتقد أنهما متاحان هنا، صحيح أن ملابس (سليمان) ستبدو واسعة عليّ بعض الشيء، لكن من يبحث عن الأناقة في مثل هذه الظروف؟

وهكذا اتجهت إلى الحمام لأتخلص من ملابسي الملوثة بالدماء ولم أخرج إلا وقد استعدت بعض حيوتي...

الخبر المؤسف أنني لم أجد أي طعام في الثلاجة، لذا يمكنني أن أوجل هذا الموضوع - مضطراً - إلى وقت آخر..

والآن.. ما هي الخطوة القادمة؟.. بالطبع لن أنتظر هنا، حتى يأتي الفرج، ولكن يجب أن أتصرف بحذر بالغ فالكل يسعى خلفي الآن، ولن أستغرب لو وجدت صورتي تحت صفحات الجرائد اليوم مع مكافأة لمن يرشد عني، لذا يجب البحث عن وسيلة تتيح لي حرية الحركة..

التنكر ١٩٩

أعرف أنني لا أمتلك حلاً سواها، لكن كيف؟ ١٩٩

لست رجل مخبرات مدرب على هذه الأفعال.. ولا تتوقع مني أن أسير في الشارع مرتدياً ثلاث أقتعة مختلفة لا تمت لوجهي لصلة...

دعك من القصص التي تقرأها، وأخبرني بالله عليك كيف يتنكر رجل ذو وجه طويل عظام وجنتيه بارزة، برجل مستدير الوجه ذو أنف أفطس وملامح دقيقة دون أن يبدو هذا مضحكاً؟ ١٩٩

على كل حال لست مطالباً بالتنكر بملامح (رشدي أباظة) كل ما أحجاجة هو أن أتخلص من ذهني وشاربي وأرتدي منظار أسود، وأصبغ شعري باللون الأشقر، وسأبدو كسائح أجنبي، خاصةً وأنني ورثت الملامح الأجنبية من جدتي اليونانية..

وبالطبع يفضل أن أبتعد عن العامة وألا أتعامل مع أحدهم بصورة مباشرة إلا للضرورة القصوى..

عظيم... خطوتي التالية إذا هي الذهاب إلى عيادة (مجدي)..
ذلك الرجل مدين لي ببعض التفسيرات.. وربما بخلاصي من الموقف الذي أنا فيه الآن...

كنت أفكر في هذا كله حين سمعت طرقاتاً قوياً على الباب وصوتاً أجش يهتف:

- افتح... أعرف أنك بالداخل..

))))))))

لم يكن أمامي خيار آخر...
نظرت عبر عدسة الباب فرأيت رجلاً بديناً يلهث من صعود السلم،
وتبدو على ملامحه إمارات البلاهة كأوضح ما يكون..
أسرعت لأحضر المنشفة لألفها حول رأسي بحيث تخفي وجهي نوعاً
ما، ثم فتحت الباب متظاهراً بالنعاس، لينظر لي ذلك الرجل الأبله
ببلاهة، قبل أن يقول:

- عذراً... لكن أليست هذه شقة الأستاذ (سليمان حربي) ١٩٩
أجبتة بلا تردد:

- نعم.. لكنه مسافر وأنا قريبه، واستعرت منه الشقة لحين
عودته..

هزّ الأبله رأسه متفهماً وقال:

- عذراً.. لكنني رأيت حركة عبر النافذة فظننته هو... أنا جاره في
المبنى المقابل (علوي).. أرجو ألا أكون قد أزعجتك..

- لا عليك..

وبالطبع لم أطلب منه الدخول، فوقف متردداً لحظة قبل أن يقول:

- حسناً... سأنصرف الآن وأرجو أن تبلغه سلامي لو اتصلت به..

- بالتأكيد سأفعل..

وقبل أن يقول المزيد كنت قد أغلقت الباب في وجهه، بقلة تهذيب لا

تكرر... لم أكن مخيراً في هذا..!

إنذار كاذب كما يقولون ... لكنني كنت أشعر كفريسة كانت على

وشك السقوط في الشرك...

يا إلهي... متى ينتهي هذا كله؟؟؟

متى؟؟؟

السبت - ٥/٢٦ - الساعة التاسعة صباحاً عيادة الدكتور (مجدي) ..

استغرق الأمر مني ساعتين حتى أحلق ذفتي وأصبع شعري وأبدل ثيابي، قبل أن أقفز في أول سيارة أجرة قابلتها، لأتجه إلى عيادة (مجدي) في (مدينة نصر) ..

كانت الساعة التاسعة صباحاً، ولم أكن أتوقع أن أجده في العيادة، لكنني كنت أنوي انتظاره في الداخل... كما تعرف، الأبواب المغلقة لا تشكل عائقاً حقيقياً أمام أي شرطي، ثم إننا في مدينة نصر، حيث لا يمكنك أن تتوقع جيراناً متطفلين، فالقاعدة العامة هنا هي "لا شيء يحدث في الخارج طالما لا يحدث لي" ... لهذا أمقت هذه الأحياء كالجحيم!!

صعدت الدرج إلى الطابق الثالث حيث عيادة (مجدي)، ووقفت لحظة لأتأكد من أنه لا يوجد أحد في الجوار، ثم عالجت القفل بسهولة لأجد نفسي داخل العيادة...

حيث بدأ كل شيء...

ها هو المكتب والأوراق المبعثرة على سطحه كما رأيته آخر مرة.. وها هو الفراش حيث كنت أتمدد جوار (علي) و...

بالمناسبة، أين (علي) ١١٩٩
انتبهت في هذه اللحظة فقط أنني نسيت (علي) تماماً وأنه خاض
ذات التجربة معي...

ترى أين هو الآن ١١٩٩
والأهم... ما الذي قد يكون فعله ١١٩٩
سأترك هذه النقطة الآن على أن أعود إليها قريباً...
والآن ها هو لكمبيوتر الذي شغله (مجدي) لتتوينا مغناطيسياً...
وما هو الشعور بالحنق الممتزج بالمرارة لأنني رفضت أن أتعلم استخدام
الكمبيوتر حين نصحتني الجميع بذلك..
قد تحمل هذه العلبة المعدنية إجابات جميع أسئلتني بينما أنا عاجز
عن مجرد تشغيلها...

وكالعادة ليس أمامي سوى الانتظار... انتظار أرجو ألا يطول..
أخذت أتجول في الغرفة من حولي، باحثاً عن لا شيء، محاولاً إضاعة
الوقت حتى يأتي (مجدي) من المكان الذي اختفى فيه ليلة أمس..
وبالطبع لم أجد سوى زوجتي وما فعلته كوسيلة للانفعال حتى
يأتي (مجدي)... أعتقد أنني في الظروف المثالية لأصاب بالرتاء على
النفس..

لم تكن صدمتي في زوجتي صدمة عاطفية بقدر ما هي طعنة في
رجولتي... نحن لم نتزوج بعد قصة حب ملتهبة إذا كان هذا ما ظننته.
لكنه زواج (صالونات) كما يقولون، التزام متبادل مع وعود بنوع من
العاطفة التي ستولد في وقت ما، نسميها نحن (العشرة) لا الحب...
صحيح أن ما فعلته يحمل جزءاً من المنطق، فلقد اختفيت أسبوع
لتصلها ورقة طلاقها... ما الذي كنت أنتظره منها على كل حال ١١٩٩

كنت ممداً على الفراش أستعيد بعض الذكريات المضطربة، لمجرد
إضاعة الوقت حتى شعرت بحركة خلفي، لأعتدل بسرعة لأواجه ذلك
الشخص، متأهباً للأسوأ...

وكانت هذه هي أول مرة أرى فيها (مايا)...

لو أنصفنا لخصصنا باقي صفحات هذا الكتيب لوصف كل تفصيله
صغيرة في (مايا)...

وقبل أن يبتسم أحد الخبثاء في سره ليقول "إذاً هذه هي قصة الحب
المنتظرة" أقول... استمعوا إلى وصفها أولاً...

نحيفة هي (مايا) ذلك النحف الذي لا يحصل عليه سوى الأغنياء
أو من يتضورون جوعاً... نحيفة إلى درجة بروز عظامها... نحيفة إلى
درجة الهشاشة!

كانت ذات ملامح أنثوية هادئة، لا تحمل إثارة من أي نوع، حتى مع
المكياج الذي لطخت به ملامحها دون تمييز، وكانت الهالات السوداء
حول عينيها، تنبئ عن ليال طويلة من الأرق، وفوق رأسها الصغير شعر
أسود قصير، مما جعلها أشبه بدمية منها إلى آدمية...

كانت ترتدي ملابس لا تخلو من الأناقة لكنها تخلو تماماً من العناية
مما أكد لي نظرية ليال الأرق هذه... من المؤكد أنها عانت من الأرق
طويلاً حتى اختل توازنها العقلي، لتخرج من منزلها بهذه الصورة..
وكانت تدخن..!!

حين التفت إليها أطلقت حلقات الدخان من فمها مع السؤال
المتوقع:

- من أنت؟

اتخذت على الفور شخصية رجل الشرطة اليقظ، لأرد على سؤالها
بسؤال:

- بل من أنت وكيف دخلت إلى هنا؟؟؟

منحتني الإجابة مغلفة بدخان سيجارتها:

- أنا ممرضة وأعمل هنا... والدكتور (مجدي) منحني نسخة من
المفتاح لأدخل في غيابه.. ماذا عنك؟؟
أجبت:

- أنا صديقه..

- وكيف دخلت إلى هنا؟

- أنا أيضاً أحمل نسخة من المفتاح..

نظرت إلي نظرة عميقة بعينيها الرماديتين، شعرت معها وكأنني
أنظر إلى المجهول ذاته... أستطيع أن أقضي نصف عمري أحرق في
هاتين العيني دون أشعر بالملل...

ثم إنها قالت أخيراً:

- أنت تكذب..

شعرت بدهشة ممتزجة بالحنق الموروث من العزة بالإثم، فهتفت:

- كيف تجرؤين؟؟

هزت كتفيها ببساطة، وقالت:

- إنتي أعمل مع دكتور نفسي منذ سنوات، ولا تريدني أن أُميّز من

يكذب حين أراه؟؟ لا بد أنك تمزح!

قلت منتبهاً:

- تعملين عنده منذ سنوات؟؟.. لكني لم أرك هنا من قبل!!

أجابت ببرود:

- إنني أعمل في الدوام الصباحي، وأنت لم تأت إلى هنا من قبل في الصباح... هذا لو كنت صديقه حقاً..

- وما الذي تعتقدينه إذن أيتها الخبيرة النفسية ١٩٩

قلتها بالسخرية الكافية لمدارة توتري، فألقت بقنبلتها في وجهي:

- أنت هارب..

انتفضت مذهولاً كأبلغ ما يكون الاعتراف، وهتقت:

- ماذا تقولين ١٩٩

ألقت بجسدها على المقعد المواجه لي، كأننا صديقين حميمين

يتبادلان الذكريات، وقالت:

- لا بأس... فأنا أيضاً هاربة..

هتقت ودهشتي تتعاظم:

- هاربة من ماذا ١٩٩

- ليس قبل أن تخبرني أنت أولاً..

عدت أغرق بلا أمل في العودة في عينيها الرماديتين، ثم انتزعت

نفسى منهما بصعوبة لأقول:

- كفى سخفاً... متى سيأتي الدكتور (مجدي) ٩٩

ابتسمت مدركة محاولتي الناجحة لتغيير الموضوع، وأجابت:

- إنه لن يأتي..

- ماذا ٩٩

دائماً ما أكره دور الأبله الذي لا يردد سوى كلمة (ماذا) لكن هذه

الامرأة لا تكف عن إلقاء الأنغاز والمفاجآت في وجهي. كأنها عرّافة في

سيرك الأحداث التي تحدث لي..

أطفأت هي سيجارتها لتشعل أخرى، مجيبة:

- إنه لن يأتي... لقد سافر... هذا ما يفعله دوماً بعد أن ينفذ تجربته.. فوووم... يختفي...
- أي تجربة؟
- التنويم المغناطيسي... ألم يجربها معك؟
- ما الذي تعرفينه عن هذه التجربة؟
- قطبت (مايا) حاجبيها بضيق، وقالت:
- أنا أخبرك بما تريده طيلة الوقت... لماذا لا تخبرني أنت صرخت منفعلًا:
- لا وقت لهذا العبث أجيبني، ما الذي تعرفينه عن هذه التجربة..
- منحتني (مايا) نظرة طويلة متفحصة، ثم لم تلبث عيناها أن التمعت ببريق ظافر. قبل أن تقول:
- إنه أنت... أنت ذلك الرجل الذي ارتكب المذبحة في مركز الشرطة ليلة أمس... إنهم يعرضون صورتك في التلفاز طيلة الوقت..
- نصيحة مجانية... أياً كانت جودة تذكرك، لا تجعل أحدهم يحدق في وجهك طويلاً..
- لم يعد هناك مجال للإنكار... لذا قلت:
- نعم أنا هو... وأريد أن أفهم ما الذي يحدث حولي بالضبط...
- استغرقت (مايا) في التدخين برهة، ثم تحدثت أخيراً لتقول:
- سأساعدك بشرط واحد..
- أي شرط؟
- أنت تساعدني أنا أيضاً أن أعرف..
- تعري في ماذا؟
- الذي فعلته أنا أيضاً... لقد خضعت للتجربة أنا الأخرى..

السبت - ٥/٢٦ - الساعة ١.٢٢ ظهراً أحد المطاعم في (مدينة نصر)..

دعني أحدثك مجدداً عن (مايا) ... في الواقع لولا أن هذه قصة ما حدث لي أنا، لاستغرقت باقي الصفحات في الحديث عن (مايا) محاولاً أن أنقل لك صورة ذلك المخلوق الذي أجلس معه الآن في المطعم، أشاهده يلتهم الطعام بشهية من لم يأكل من سنوات... لا بد أن هذا هو سبب نحافتها ... عدم الانتظام في تناول الطعام..
أوهي المخدرات!!!

لم لا؟! ... أمامي الآن نموذج مثالي لدمني المخدرات بتلك الهالات السوداء حول عينيها، ولو كنت أملك وقتي لسعيت إلى إثبات هذا، لكن في ظروف هذه، فلتكن ما تكون.. المهم هو أن أفهم...
انتظرتها حتى أنهت كل ما يصلح للأكل أمامها ثم قلت:
- والآن؟!!

أجابتنني بفم يمضغ آخر ما تبقى من الطعام:
- والآن أريد بعض القهوة وعلبة سجائر، فسجائري أوشكت أن تنفذ..

قلت بغيظ لم أستطع إخفاءه:

- أرجو أن يتوقف الأمر عند هذا الحد، أو سأجدي أفضي معك
إجازة ترفيحية في أوروبا قبل أن تتمكني من الكلام..
بجراحة لا حد لها أجابت:

- ظريف!!

ثم أنها تجشأت بلا خجل. وأشعلت سيجارة لتغمري بالدخان، قبل
أن تقول:

- والآن اصغ لي جيداً، فأنا أكره أن أكرر ما أقوله... لا تقاطعني
مهما كان السبب واحتفظ بأسئلتك في عقلك حتى أنتهي... هل هذا
مفهوم؟

هزرت رأسي إيجاباً، فأطلقت هي دفعة أخرى من الدخان في وجهي
ثم بدأت تحكي:

- بدأت العمل مع الدكتور (مجدي) منذ سنتين... لم تكن لي خبرة
في التمريض ولم يطلب هو واحدة ذات خبرة، كل ما كان يطلبه هو
الالتزام بمواعيد العيادة، وكل ما كنت أطلبه أنا هو المال، وهكذا كانت
الصفقة عادلة... والتزم كلانا بهذه الصفقة لفترة طويلة حتى جاء
ذلك اليوم الذي قرر فيه أن يشركني في تجاربه...

وصلت القهوة في تلك اللحظة فتوقفت عن السرد لحظة لترشف من
قدحها، ثم تابعت:

- بالطبع حاول أن يقتعني بأهمية تلك التجارب، والفائدة التي
ستعود على الطب النفسي من نتائجها، إلى آخر هذا الهراء. لكني
أوضحت له أنني سأوافق إن عرض عليّ المبلغ المناسب، فلم يتردد في أن
يمنحني ما أريده.. بل ربما أكثر مما أحتاجه مما أثار قلقي في البداية،

لكن حين بدأ تجاربه أدركت بأنه مخبول يملك نقوداً يحب إضاعتها على تجارب بلا طائل... أو هذا ما ظننته في البداية!!... لم أكن لأفهم فائدة تلك الأقطاب التي يوصلها برأسي، أو التمارين العجيبة التي كنا نمارسها سوياً، ولم أكن أهتم لأفهم... إنه محافظ في تعاملاته وملتزم في الأمور المالية، فلم أجد غضاضة في المواصله، حتى قرر هو أن يجرب معي التنويم المغناطيسي..

شردت عيناها الرماديتين طويلاً تسترجعان ذكرى ذلك اليوم، فانتظرت حتى تنهدت لتقول:

- حين طلب مني هذا الطلب شعرت بقلق غامض لست أدري له سبباً... وحين ضاعف لي المبلغ الذي يمنحني إياه مقابل تجاربه، تضاعف قلقي، لكنني لم أرفض... حين تقضي نصف عمرك تبحث عن أرض جافة لتنام عليها دون أن تضطر أن تقدم تضحيات خاصة، ستدرك أنك لا تملك أحقية القبول والرفض إلا في بضعة أشياء... أنت تفهمني. أليس كذلك؟!!

بالطبع كنت أفهمها وأنا الذي عملت ساعياً في فترة من الفترات لأتم دراستي... لكنني هزئت رأسي إيجاباً دون أن أخبرها هذا، فواصلت:

- كل ما طلبه مني هو الاسترخاء على الفراش، والتحديد في شاشة الكمبيوتر... فقط.. وهذا ما فعلته بالضبط... أنت مررت بالتجربة وتذكر ما حدث... السقوط.... الضوء الذي يغمرك من كل صوب... ثم الاستيقاظ في مكان وزمن آخر لتكتشف أن هناك شيء ما (فعلته)... شيء لا تعرف كيف ومتى فعلته... والأسوأ من هذا كله أنك لا تعرف هذا الشيء...

حدقت فيها بذهول حمل كل تساؤلاتي، فابتسمت بمرارة قائلة:

- نعم... أنا لا أعرف ما الذي فعلته بالضبط... لقد استيقظت في منزلي لأجدني أردي ملابس غريبة... ملابس لا أحلم بارتدائها في هذه الحياة، والأسوأ من هذا كله أنني عثرت في ملابسي على هذا الكارت...

وأخرجت من حقيبتها كارت أسود شديد اللمعان ناولتني إياه فأخذت أتفحصه بدهشة بالغة...

فالكارت لم يكن يحمل أي شيء على سطحه!!..

لا أسماء... لا رسوم... لا نقوش... لا شيء على الإطلاق!!
أخذت أتجسس ملمسه العجيب، وقلت:

- ما هذا؟!!

أجابتني ساخرة:

- لو كنت أعرف لما كنا نجلس هنا الآن..

أعدت إليها الكارت، فقالت:

- حسناً... إنه وقت الأسئلة...

أخذت أشحن ذهني لأحدد أسئلتي، وجاء سؤالي الأول ليكون:

- لماذا لم تسألني الدكتور (مجدي) عمّا حدث؟!!

- لأنه اختفى تماماً بعدها..

- لكنك تحملين مفتاح العيادة وتدخلين في أي وقت... لا بد أنك

قابلتي صدفة بعد ما حدث..

- لم يكن ليخبرني بما حدث... لذا فضّلت أن أتجسس عليه دون

أن يعلم..

- وهل وصلت إلى شيء بهذا التجسس؟!!

- لا شيء عن التجربة... لست خبيرة في الطب النفسي أو الكمبيوتر،

ولكني قرأت مرة عن التنويم المغناطيسي وعرفت شيئاً... أنه لا يمكن لأحدهم أن يدفعك تحت تأثير التنويم المغناطيسي لفعل شيء ترفض أن تفعله وأنت مستيقظ، ويبدو أن الدكتور (مجدي) حطم هذه النظرية تماماً... المهم.... لقد حاولت على الأقل أن أعرف ما حدث لي، إذ أن الدكتور يدون كل ما يفعله في وريقات صغيرة، ثم ينسخها في دفتر خاص يحمله معه دوماً، وفي إحدى المرات التي فتشت فيها العيادة في غيابه، عثرت على وريقة تحمل اسمي واسم (مراد البحيري)..

هتفت بدهشة:

- (مراد البحيري) ... الوزي..

قاطعتني (مايا):

- ربما كان هو أو أي (مراد بحيري) آخر... الذي يهمني الآن هو من هو هذا الرجل وما الذي فعلته ليربط اسمي باسمه..

أجبتها:

- وكيف تتوقعين مني أن أساعدك وأنا مطارد من قبل الجميع؟

أشعلت (مايا) سيجارتها الخامسة أو العاشرة.. لا أذكر، ثم قالت:

- بإمكانك أن تحاول البحث عن الدكتور (مجدي) بلا أمل وبتنكر البائس هذا، حتى يلقوا القبض عليك، أو أن تساعدني لأفهم ما هي علاقتي بـ (مراد البحيري)، وبالتالي علاقته بالدكتور (مجدي) وبالتالي أين هو، وما علاقتك بهذا كله... الخيار لك على كل حال..

هذه الوجدة أجادت إلقاء الكرة في ملعبي !!

المشكلة أن كلامها يبدو منطقياً وخطيراً...!!

ماذا لو كانت هناك علاقة بما فعلته أنا بالذي فعلته هي مع ذلك الـ

(مراد البحيري)؟

ماذا لو كان هناك آخرون... (علي) مثلاً؟؟؟؟
ترى أي لعبة تلك التي يدير خيوطها (مجدي) من خلف الستار؟؟
ولصالح من؟؟
وأين هو الآن؟؟
لماذا فعل بي هذا وأنا صديقه؟؟
خرج جوابي أخيراً، ليبتث الحيوية في العينين الرماديتين أمامي:
- لنتحرك بسرعة إذن..
ولست أدري هل كان هذا امتناناً الذي سمعته في صوت (مايا) إذ
قالت:
- أشكرك..

السبت - ٥/٢٦

الساعة ٣.٤٢ عصراً - منزل (مايا) ..

أكره أن أكون بهذه السخافة، لكن لا بد لنا أن نتوقف مرة أخرى
لنصف منزل (مايا) ...

أو قلنقل ذلك الجحر الذي تسكن فيه...

غرفة صغيرة تحت الأرض، لا تعرف للهواء أو الضوء مدخلاً سوى
تلك النافذة الصغير في الأعلى. ولا تحمل أي لمسة أنثوية تذكر، بل تكاد
تبدو مهجورة مع الكم الهائل من الأتربة التي تغطي كل شيء، حتى
الأريكة التي يبدو أنها تقوم بوظيفة الفراش في هذا المكان البائس...

المثير للسخرية حقاً ذلك الأصيل من الورود الذابلة التي تعلن عن
محاولة خرقاء لإضافة بعض البهجة على ذلك المكان الشبيه بالقبر...

لقد عانيت من الفقر في صغري، لكن ما أراه هنا الآن هو الإهمال
مجسماً في كل قطعة أثاث ملقاة في هذه المساحة الضيقة!!

وكانت أعقاب السجائر في كل مكان، لتمتزج رائحة الرطوبة برائحة
الرماد، فلم أملك نفسي من أن أقول:

- اسمحي لي... لكن، كيف تحتملين العيش هنا!!

أجابتنى ساخرة:

- حاولت الحصول على غرفة في الشيراتون، لكن جميع الغرف
محجوزة هذه الفترة.. آسفة
أجبت:

- لم أعرف امرأة من قبل تطيق العيش في مثل هذه الفوضى..

قالت بحزم لا مبرر له:

- إن كنت تتوقع أنني سأرتب لك هذا المكان، أو أن أعد لك طعام
العشاء كل ليلة، فاسمح لي أن أحطم أحلامك هذه... أنت هنا للاختباء
مؤقتاً، لا للحصول على زوجة بديلة..

- إذاً فأنا أفضل النوم في الزنزانة..

ثم تنبّهت إلى نقطة هامة، فقلت:

- ثم كيف ستحتوي هذه الغرفة نحن الإثنين؟!... أعني...
أعتقد..

منحتني نظرة قاتلة، مجيبة:

- أظن أننا سنعيش سوياً هنا؟!... أنت ستقيم هنا... أنا سأقضي
الليل في عيادة الدكتور (مجيدي) كما اعتدت أن أفعل.. وبالمناسبة،
هذه القصة لن تنتهي إلا بموتنا أو بانتهاء المشكلة... لا مجال للقصص
الرومانسية أو النهايات الخرقاء بأن نتزوج أن نقع في غرام بعضنا
البعض... هل هذا مفهوم؟!

كدت أصارحها برأيي عن فرص أن نقع بغرام بعضنا البعض وكيف
أنها ذات فرص أن تعلن إسرائيل عن أسفها العميق لما حدث قبل أن
تقرر مغادرة فلسطين بلا رجعة، لكنني - وبدلاً من هذا - قلت:

- أعتقد أن أول ما علينا فعله هو التحقق من شخصية (مراد
البحيري) ..

- هل تشك في أنه الوزير السابق ١٩٩٩
أجبتها مفكراً:

- لا يمكنني الجزم بشيء... إننا غارقين في الحيرة تماماً... أعتقد
أن السؤال لحقيقي هو هدف (مجدي) من هذا كله..
بالطبع أشعلت (مايا) سيجارة أخرى كأنها تحارب من أجل حقها
الطبيعي للإصابة بالسرطان، قبل أن تقول:
- أعتقد أنه أنت من يستطيع إجابة هذا السؤال..
- كيف ١٩٩٩

- لا بد أن ما يحدث له علاقة بمن قتلهم في مركز الشرطة... ألم
تعرف من هم ١٩٩٩

ومضت صورة الجثث المكومة الغارقة في الدماء في رأسي، فداهمني
ذلك الشعور بالرغبة في التقيؤ مجدداً، إلا أنني تماسكت محاولاً تذكر
أي شيء...

ما تقوله (مايا) منطقي تماماً...
بالتأكيد هناك علاقة بين من قتلهم - لو كنت أنا من فعلها حقاً،
فما زال لدي أمل أنه ليس أنا!! - وبين ما يحدث الآن...
وهذا يعني - وببساطة - أن (مجدي) يتبع مخططاً خاصاً لا
يعرف أحد تفاصيله سواء، وهذا هو آخر ما يمكن أن أتوقعه من آلة
تنفيذ القوانين (مجدي)...
هل جربت أن تكتشف أصدقاءك لأول مرة ١٩٩٩... من الأفضل ألا
تفعل!!!

استغرقت في التفكير، فاستغرقت (مايا) في التدخين، ثم جاء صوتي
أخيراً مختنقاً من كثرة الدخان:

- يجب ألا نضيع الوقت في التفكير... سنتحرك بضع حركات عشوائية في الأول، حتى نتعرف على حدود الأرض التي نقف عليها... ولتوفير الوقت سيتحرك كل منا في اتجاه.. أنت ستذهبين إلى منزل الوزير السابق (مراد البحيري)، وستطلبين مقابلته لتعرضي عليه ذلك الكارت الأسود، ولو كان هو صاحب الاسم في الورقة سنعرف... على الأقل سنستبعده لولم يكن هو... أما أنا سأسعى لمعرفة من قتلتهم في مركز الشرطة، المهم أن نتقابل هنا مجدداً السابعة مساءً وأياً كانت الأسباب...

أطرقت (مايا) برهة لتفكر فيما قلته، ثم قالت أخيراً:

- لكنني قد أعرض نفسي للمخاطرة بالذهاب إلى منزل (مراد البحيري) لو كان هو المقصود..
أجبتها:

- لا أعتقد هذا.. لو أرادوا بك السوء، لتخلصوا منك منذ زمن... كما أنه لن يحاول إيذاك في منزله... المهم أن تتمالكين نفسك وألا تخبريه عن شيء..

مطت شفيتها، وبدا من الواضح أن منطقي لم يقنعها، إلا أنها قالت في النهاية:

- حسناً... المهم ألا يلقوا القبض عليك أنت.. فما زلت بحاجة لمساعدتك..

بالطبع لم أشغل بالي بالتفكير بالطريقة التي تظن بها هذه المرأة أنني قادر بها على مساعدتها... الواقع أنني من يحتاج لمساعدتها الآن..

حملت حقيبتها فجأة، لتقول:

- حسناً... سأذهب الآن..
تذكرت شيئاً ما فجأة. فاستوقفتها هاتفاً:
- (مايا) ... هل تزورك أحلام غريبة بعد التجربة؟!!
هاجت عواصف وماجت بحور في العينين الرماديتين، إلا أن صوتها
خرج لا مبالياً كمادته:
- نعم... حاول أن تعتادها...
ودون أن تضيف غادرت المكان...

السبت - ٥/٢٦ - الساعة ٥.١٢ عصراً آخر مكان من المفترض أن أذهب إليه!!!..

حدثك كثيراً عن (مايا) ، لذا لن يضيرك أن نتحدث قليلاً عن
(مدحت)...

كنا قد اتفقنا منذ بضع صفحات على أنه (أسمر.. وغد.. قصير...
قبيح.. غبي.. شجاع.. لم يدخل كلية الشرطة إلا ليجد مبرراً لحمل
السلاح وإشهاره في أوجه الناس بتلك الصورة السينمائية التي يتقنها،
والتي جعلته دوماً موضع سخرية مني..!!)...إلا أنه يتمتع بعيب آخر
هام، وهو أنه نمطي إلى أقصى حد...

يستيقظ كل صباح في تمام الثامنة، ليبدأ في تصفح الجرائد، على
أمل أن يرى صورته في الصفحة الأولى ذات يوم، ثم يتناول إفطاراً
خفيفاً ليذهب إلى المركز، حيث يمكنه ممارسة هوايته في ركل مؤخرات
الأوغاد، ليعود إلى منزله في الثالثة ليتناول غداءه، ثم يسلم نفسه لنوم
القيلولة، ليستيقظ ليعود للعمل.. للمنزل... للنوم... ليوم جديد يحمل
ذات الرتبة..

لا عجب إذن أنه لم يتزوج... فمن هذه التي سترضى بآلة الروتين

هذه ١٩٩٩

لماذا ذهبت إلى منزله إذن، رغم يقيني أنه لن يهدأ له بال حتى يلقي القبض عليّ؟... ببساطة لأنه الوحيد الذي يمكنه أن يمدني بالمعلومات التي أحتاجها، حتى لو لم أحصل عليها بالطرق التقليدية.. لا أعني أنني سأستخدم معه نزع الأظافر. لكن التهديد النفسي أكثر فاعلية مع من هم مثل (مدحت)...

بلغت منزله بسيارة أجرة، ثم صعدت بثقة معتمداً على تنكري البائس كما تسميه (مايا)، ثم عالجت قفل شقته لأدخلها وهو أمر لا يحتاج لمهارات خاصة لا تتوافر لرجل شرطة مثلي... وهي تفاصيل سخيفة كما ترى لكن البعض يصر على معرفتها!! المهم أنني أقف الآن أمام فراشه، أنصت إلى شخيرته، مسدداً إليه مسدسي، لألتقط نفساً عميقاً، ثم...

"(مدحت)... هيا استيقظ... هيا لست والدتك"

تململ (مدحت) في فراشه، فهزرتة بيدي الحرة، ليفتح عينين ناعستين، أخذ يرمقني بهما بلا فهم، ثم لم يلبث أن اعتدل فجأة، ليطل عليّ بعينين محمرتين وشعر أشعث ونظرة بلهاء.... من حسن حظ النساء حقاً، أن إحداهن لم تتزوجه!! وكان أول ما قاله:

- أنت... كيف؟... أين؟... ما؟...

ثم لم يلبث أن استجمع أفكاره ليصرخ بمزيج من الدهشة والغضب:

- كيف دخلت إلى هنا؟!!

أجته ببساطة وأنا أجلس على الأريكة المجاورة لفراشه، مسدداً مسدسي لوجهه كإنذار صريح:

- تسالت بالطبع... وتكفل صوت شخيرك بالتغطية عليّ..

جاء سؤاله الثاني:

- ما الذي تفعله هنا؟؟؟

أجبت بصرامة لا تحتمل النقاش:

- جئت للحصول على بعض المعلومات...

هتف بوطنية لا مبرر لها:

- لن أنطق بحرف قد يهدد أمن مصر و..

قاطعته بملل:

- كف عن هذا السخف... لسنا في أحد أفلام المخابرات، كل ما أريد

معرفته هو من الذين قتلتهم في المركز تلك الليلة؟؟

عاد يكرر بإصرار:

- لن أنطق بحرف... أنا أعرف أنك لن تطلق النار عليّ..

ثم انبته إلى مغزى سؤاله، ليهتف:

- مهلاً... ألا تعرف من الذين قتلتهم في المركز؟؟؟ أي سخف

هذا؟؟؟

أجبت بنفاذ صبر:

- لو كنت أشك في وجود ذرة عقل لديك، لشرحت لك... لكن الأمر

يفوق قدرتك على الفهم بمراحل... دعك بالطبع من رغبتك الدفينة

للتخلص مني..

همهم بشيء ما لم أتبينه، فعدت أكرر سؤاله ملوحاً بالمسدس في

وجهه:

- والآن... من هم الذين قتلتهم في مركز الشرطة؟؟ وما الذي حدث

بالضبط في تلك الليلة؟؟

عقد (مدحت) ساعديه أمام صدره كالأطفال ليقول:

- لن تحصل مني على شيء... اقتلني لو أردت..

ابتمت في جذل حقيقي، يكفي ليث الرعب في قلبه، وقلت:

- من تحدث عن القتل؟... بإمكانني أن أطلق النار على ركبتك

لتمضي ما تبقى لك من حياتك الغبية مقعداً... أنت تفهمني أليس

كذلك؟.. لن تكون هناك مطاردات ولا بطولات ولا شيء من هذا القبيل..

مجرد أيام بائسة تحرق فيها في وسام التقدير الذي سيمنحونك إياه

قبل عزلك من عملك... ستكون بطولتك الوحيدة هي اعتياد الكرسي

المتحرك..

لاح الهلع على وجهه، إلا أنه قرر أن يجرب حظه، فقال:

- إنك لن تفعلها... لن تجرؤ...

هزرت رأسي بأسف مصطنع ثم قلت بصرامة:

- امنحني ظهرك لو سمحت...

صرخ:

- لماذا؟!!

- لن تحب مشهد ركبتك المنسوفتين، لذا سأطلق النار عليك من

الخلف.. هيا استدر.. لن أقضي يومي هنا..

ارتجف (مدحت) بحق، لينهار ذلك الغلاف الهش الذي يحيط به

نفسه وليبدو على حقيقته تماماً... أعترف أنني لم أحب هذا المشهد ولا

هذه السادية التي استخدمتها معه.. لكنها الضرورة..

وحين تحدث مجدداً، كان سيل المعلومات المنهمر من فمه يحتاج

لجهاز تسجيل، لكنني حاولت الاحتفاظ في ذاكرتي بالشق المهم...

كان يقول:

- لقد دخلت المركز تلك الليلة وأنت تقتاد أمامك الصحفي (باهر حسين) وزوجته وطفليه... لم يعترض أحد طريقك وأنت تسدد بندقية آلية إلى رؤوسهم.. حاولنا إيقافك بالحديث لكنك لم تصغ إلى أحد... بل لم يبدو أنك تسمع أساساً... اقتدهم إلى غرفة الاجتماعات ومنعت أحد من الدخول، ومنعت من كانوا في الداخل من الخروج.. لقد كنت تتصرف بجنون تام.. تماماً كما كنت أتوقع منك... وحين سمعنا صوت الطلقات وصراخ من كانوا معك أدركنا أنك فعلتها... لقد قتلت الصحفي وزوجته وطفليه بلا رحمة... لقد كانت مذبحة حقيقية حتى أن الطبيب الشرعي لم يستطع تمييز ملامح الـ..

قاطعته صارخاً بغثيان كدت أفرغ معه ما في معدتي في وجهه:

- كفى.... كفى...

مستحيل... مستحيل... مستحيل...

إذا فأنا الذي فعلتها حقاً!!!

أنا قاتل... قاتل لا يعرف الرحمة..!!!

أنا... قتلت... طفلين... يا إلهي!!! أرجوك يا إلهي أمتني الآن، لم

تعد لي رغبة في الحياة!!!

كنت مصدوماً... مصعوقاً.... مقتولاً بسكين غرزها (مدحت)

بكلماته..

ما الفائدة إذن؟؟؟!!!

حتى لو استطعت أن أفهم ما الذي حدث بالضبط سأظل قاتلاً...

حتى لو أثبت براءتي... حتى لو تفهم الكل حقيقة ما يحدث وحدث

وسيحدث... ستظل صورة لطفلين تطاردني ما بقيت حياً...

هل جربت يوماً أن تتمنى الموت فلا يأتي إليك؟؟؟... أنا جربت هذا

الشعور كثيراً... أدمنته في الواقع!!

أول مرة قتلت فيها مجرماً في مطاردة، كدت أن أموت هلعاً... أنا
انتزعت ذلك الرجل من سجل الأحياء بضغطة زناد واحدة!!... أنا
أنقصت عدد البشرية واحداً...والآن أنا قاتل وحشي قتل عائلة كاملة!!
لكم أتمنى لو يفاجئني (مدحت) بانقضاضه موفقة عليّ، لينتزع
المسدس من يدي ليفرغه في صدري وسأظل له مديناً ما بقيت في
الجحيم!!

لكن (مدحت) الآن يبدو كطفل يكاد يبيل سرواله هلعاً، لا يكاد يجرؤ
على النطق بحرف واحد..

وخرج صوتي بطيئاً ثقيلاً كالحشيرة يقول:
- سأخرج الآن وأغلق الباب خلفي... وسأنتظر قليلاً في الردهة، لو
خرجت، سأقتلك بلا تفكير... أتفهم!!

هزّ رأسه إيجاباً وهو يكاد يبكي، فتهضت ببطء من مجلسي لأغادر
المكان...

لن يسعى خلفي الآن... ليس وهو في هذه الحالة...
لذا غادرت المكان كله، وأنا عاجز عن التفكير...
الدافع الوحيد الذي يحركني الآن هو الانتقام...
الانتقام لي وللطفلين الذين لن أعرفهما أبداً!!
سيدفع الجميع الثمن... أقسم على هذا...

السبت - ٥/٢٦ - الساعة ٥.٢٤ عصرًا حيث ذهبت (مايا) وكما عرفت فيما بعد!!!..

لخمس دقائق أو أكثر، أخذ مسئول الأمن في فيلا الوزير السابق (مراد البحيري) يحدق في (مايا)، كأنه يشاهد مخلوقاً فضائياً، تمتد الخراطيم من جسده!!

لا يمكننا أن نلومه كثيراً... ف (مايا) جديرة بأن تمنحها ساعات طويلة من فضولك، وفي حياتي بعد هذا لم أجد من يشابهها إلا الممثلة الأمريكية العجيبة (جوليت لويس) التي يكفي أن تشاهد لها فيلم Natural Born Killer للمخرج العبقري (أوليفر ستون) لتفهم عن ماذا أتحدث بالضبط..

وبعد الذهول والاستغراب تساءل مسئول الأمن:

- ولماذا ترغبين في مقابلة السيد (مراد)؟؟

أجابته (مايا) ببساطة مدهشة:

- أخبره أنني أريده في أمر شخصي شديد الأهمية..

- وما هو هذا الأمر بالضبط؟؟

أجابته (مايا) ببرود مستفز:

- قلت لك أنه أمر شخصي للغاية..
منحها مسئول الأمن نظرة متشككة ثم قال أخيراً:
- انتظري هنا..
وتركها في رفقة أحد رجال الأمن ليختفي داخل الفيلا ، ليعود بعد
عشر دقائق، قائلاً:
- اتبعيني من فضلك..
تبعته (مايا) إلى داخل الفيلا ، وعيناها ترصدان كل تفصيله حولها ،
علها تتذكر شيئاً ، مقاومة ذلك الشعور بالازدراء من كل مظاهر البذخ
المحيطة بها... أنت تفهم هذا الازدراء الذي يصيبنا تجاه أشياء ندرك
استحالة الحصول عليها!!
بلغا غرفة مكتب الوزير، فتوقف مسئول الأمن عند هذا الحد
ليقول:
- تفضلي بالدخول..
هزت (مايا) رأسها بأرستقراطية مضحكة، ثم دخلت غرفة المكتب.
لتبدأ مواجهتها...
لقد كانت خائفة... خائفة لسبب مجهول... لكنها حاولت مداراة
هذا الخوف بالتظاهر بالا مبالاة..
كهل هو (مراد البحيري)... وجه يكتظ بالتجاعيد وكل ندوب الزمن
وخطايا... ونظرة عميقة تجمع بين الهدوء والخبرة والسأم... وجسد
كان رياضي في يوم ما، مما منحه طابعاً آدمياً لا بأس به...
وحين تحدث، خرج صوته هادئاً وقوراً يقول:
- تفضلي يا ابنتي... اجلسي..
جلست (مايا) أمامه كالمأخوذة، وهي تحديق في وجه الرجل محاولة

مطابقة صورته بجميع الصور التي تحتفظ بها في ذاكرتها البائسة...

هل هو (مراد البحيري) أم لا؟؟؟؟؟؟... لا سبيل لمعرفة هذا...

والآن..

تحدث (مراد) ليقول:

- كيف يمكنني أن أخدمك؟؟؟؟

أخرجت (مايا) علبة سجائرها وهمّت بإشعال سيجارة لولا أن

استوقفها (مراد) بإشارة من يده ليقول:

- ممنوع التدخين هنا يا أنستي..

أعادت (مايا) العلبة لحقيبتها بضيق واضح، ثم قالت:

- على كل حال لست هنا للتدخين... ما أريده الآن هو رد على سؤال

واحد..

ثم إنها أخرجت البطاقة السوداء من حقيبتها لتناولها إياها، ثم

سألت:

- هل رأيت هذه البطاقة من قبل؟؟؟؟

تناول (مراد) البطاقة منها ببساطة، وقلبها بين أصابعه لحظة، قبل

أن يعيدها إليها مجيباً:

- لا... لماذا؟؟

- عثرت عليها ملقاة أمام باب منزلي مع ورقة تحمل اسمك..

كذبة ساذجة، لكن لا بأس بها!!

- أهذا ما جئت من أجله؟؟

سألها (مراد) في شك واضح، فأجابت محافظة على هدوئها:

- نعم... ظننت أنها تخصك..

تضاعف الشك في عيني (مراد)، لكنه لم يملك إلا أن يقول:

- ماذا تشرين؟؟

وصلتها رسالته التي تطالبها بالانصراف، فقالت وتقف:

- لا شيء... أشكرك... يجب أن أنصرف الآن..

هزّ (مراد) رأسه بالإيجاب وصاحبها بنظراته المتشككة حتى غادرت
الغرفة... انتظر لحظة، ثم رفع سماعة الهاتف على مكتبه وطلب رقماً
محددًا...

ولم ينطق سوى بكلمة واحدة لمحدثه:

- نفذ...

)))

السبت - ٥/٢٦ - الساعة ٥.٤٧ عصراً كما ذكر في السجلات فيما بعد!!!!

تحرك ذلك الأنيق ذو الملابس السوداء والنظارة السوداء - كأني رجل يؤد أن يبدو غامضاً - بهدوء مستفز كأنه في تصور مشهداً في فيلم سينمائي...

توقف أمام أحد المباني ثم رفع عينيه كأنما يتأكد من أنه المبنى الصحيح ثم دخل... خطواته هادئة... ملامحه جامدة... الانتفاخ أسفل ملابسه يشي بمسدس ضخم، يبدو أنه يجيد استخدامه جيداً... هذا الرجل لم يأتي إلى هنا لمجرد الزيارة، ويبدو أنه من النوعية التي تكره إضاعة الوقت، فهو لم يحاول فتح باب تلك الشقة بالطرق التقليدية أو الغير تقليدية، بل سدد لرتاجه ركلة محكمة جعلته يفتح مرحباً..

المبنى مهجور تقريباً لذا لن يتوقع أن يزعه أحد في الساعات القليلة القادمة..

الآن يضع الحقيبة التي يحملها، على منضدة احتشد على سطحها الغبار كدليل على عدم لمسها منذ زمن، ثم يفتحها ليخرج تلك البندقية...

لا... لم تكن بندقية قتاصة عادية، بل تلك الحديثة القادرة على تقديم أداء يليق بمدفع رشاش مطوّر ومزودة بأداة توجيه بالليزر، وكانت للصوت خاص...
للصوت خاص...

تحفة فنية لو جاز لنا قول هذا... سلاح تؤد تجربته ما لم تكن المستهدف به!!!

الآن نرى الرجل الأنيق الهادئ، يسدد مدفعه من النافذة، لينظر عبر العدسة المقربة إلى هدفه...

إلى تلك الشقة المتواضعة، التي تليق بوصفها جحر أكثر منها إلى شقة تصلح للعيش...

شقة نعرفها جيداً، لأننا كنّا داخلها منذ قليل...

شقة (مايا)!!!

السبت - ٥/٢٦ - الساعة السابعة مساءً شقة (مايا) ..

الآن أعود لأستكمل معكم أحداث قصتي ولأخبركم كيف حدث ما حدث ..

كانت الفكرة الوحيدة التي تسيطر عليّ طيلة الوقت هي الانتقام... الانتقام من الجميع. ولكن كيف؟؟

أنا لا أعرف مكان ذلك الوغد (مجدي)، ولا الهدف الذي استفادة من قتلي للصحفي (باهر حسين) وعائلته، ولا علاقة تلك المسكينة (مايا) بتلك المأساة التي ألعب دور البطولة فيها رغمًا عني... الشيء الوحيد الذي أشعر به يقيناً أن اللعبة أكبر مما تبدو بكثير...

ثمة تفسير لكل ما يحدث ولو صدق ظني فالتفسير أسوأ مما حدث حتى الآن بمراحل... لكنني مستعد لتقبله على كل حال، فقط لو تكرّم أحدهم عليّ ليشرح لي ما يحدث!!
كنت قد وصلت للشقة للتو، ولم تكن (مايا) هنا لذا شعرت بالقلق...

لماذا تأخرت هذه الحمقاء؟؟؟

هل تحققت مخاوفها، واتضح أن للوزير السابق (مراد البحيري)

علاقة بما يحدث؟؟؟

لو كان هذا صحيحاً لاتخذت الأحداث القادمة أبعداً أشك في قدرتي على مواجهتها... (مراد البحيري) كان وزير الداخلية لولم تكن تعرف، وهذا يعني أن الرجل لا يزال يملك نفوذاً لا داع لاستخدامه ضدي في هذه الظروف على الإطلاق!!

دخلت (مايا) فجأة والسيجارة الأثيرة تتدلى من بين شفيتها، وذلك الهدوء المستفز على ملامحها، فصرخت فيها لأفرغ جزءاً من انفعالي:

- لماذا تأخرت؟؟؟

جاءني ردها منطقياً مستفزاً:

- المواصلات... لا أملك نقوداً لأذهب وأعود بسيارة أجرة..

كيف فاتني هذا؟؟؟... كان يجب أن أمنحها نقوداً... لكن يجب أن

أفعل هذا دون أن أثير حفيظتها..

قلت مبرراً انفعالي:

- لقد قلقت كثيراً..

قلتها ثم ندمت خشية أن تسيء فهمي، لكنها أجابت:

- لا تقلق... على الأرجح أنه ليس هو المقصود..

- كيف عرفت؟؟؟

- عرضت عليه البطاقة فلم يتعرف عليها ولم يحاول إيقا في..

- وتجدين هذا طبيعياً؟؟؟

أجابتني ساخرة:

- وما الذي كنت تتوقعه؟.. أن يسقط بذبحه صدرية ما إن يرى البطاقة؟؟

- لا.. ولكن أن يمر الأمر بهذه البساطة؟؟... ألم يحاول حتى التحقق من شخصيتك؟؟
أجابت:

- هل تقصد أنه أرسل من يراقبني؟؟... لا أعتقد هذا... لقد ظنني مخبولة على الأرجح..

وجدتها فرصة لرد سخريتها فقلت:

- لم يخطئ في هذا كثيراً..

لكنها لم تتوقف عند سخرיתי، بل قالت:

- المشكلة أن أماننا الآن آلاف (مراد البحيري) قد يكون أي واحد منهم هو المقصود... لا أخفي عليك، رغم خوفي من الاحتمال كنت أفضل أن يكون ذلك الوزير هو المقصود... على الأقل كنا سنعرف من..
على كل حال، ماذا عنك؟؟ هل عرفت من الذين قتلتهم؟؟

رويت لها ما حدث باختصار، فلم تبد تأثراً.... قد أكون قد قتلت طفلين بالنسبة لها، لكنها قد تكون قد فعلت ما هو أسوأ لكنها لا تعرف..

وحين انتهيت منحتني ملاحظة ذكية لم أنتبه لها من قبل:

- لكن أن تقتل ذلك الصحفي وعائلته لم يستغرق سوى تلك الليلة،
فماذا عن باقي الأسبوع إذن؟؟

هزرت كتفي بمعنى أنني لا أعرف، فقالت:

- يجب أن تعرف... ربما كان هناك آخرون قتلهم دون أن تعرف..

هالتي الفكرة إلى درجة الشحوب، فهتفت:

- وكيف لي أن أعرف؟؟

أجابتي:

- بأن نجد وسيلة للعثور على الدكتور (مجدي) ..

كررت سؤالني:

- كيف؟؟

أطفأت سيجارتها لتشعل أخرى، وقالت:

- بأن ندفعه للظهور.. لا توجد وسيلة أخرى.. وأعتقد أن لدي اقتراح

في هذا الصدد.. أنت تعرف بالتأكيد أنه سيضطر للعودة إلى عيادته..

شيء ما يجذبه إلى هناك، بدليل أنه عاد إليها بعد أن نفذ تجربته معي،

دون أن أستطيع مفاجأته هناك للأسف.. السؤال الآن ما الذي سيحدث

لو أننا قطعنا عليه خط الرجعة؟؟

قلت متشككاً:

- ما الذي تقصديه بالضبط؟؟

- سنذهب إلى هناك لنسرق كل ما نجده أماناً.. لكن يجب أن نفتش

المكان أولاً بحرص شديد، لربما كان الشيء الذي يعيده للعيادة مخفياً

في مكان ما داخلها.. بالمناسبة.. هل تجيد استخدام الكمبيوتر؟؟

هزرت رأسي نفيًا، فقالت بأسف:

- خسارة... لا بد أنه يحتفظ ببياناته على هذا الجهاز.. على الأقل

البرنامج الذي يستخدمه للتتبع.. لقد حاولت استخدامه ذات مرة لكنه

يضع كلمة سر على الجهاز تمنع أي أحد من الاطلاع على ملفاته..

قطبت مفكراً في هذه المشكلة ثم جاء الحل في ذهني بغته:

- لا بأس.. نستطيع أن نسرق القرص الصلب من الجهاز، ثم

سأستعين بأحد أصدقائي الذي يجيدون القرصنة وهذه الأشياء التي لا

أفهمها لاستخراج الملفات من عليه..

تحمست (مايا) لفكرتي، فهتفت:

- عظيم.. والآن هيا بنا لنتحرك..

لكني استوقفتها قائلاً:

- (مايا).. يجب ألا نسعى خلف هذا الأمل متجاهلين الخيط

الحقيقي الذي نمسك به بين أصابعنا..

تساءلت (مايا):

- أي خيط؟

- (باهر حسين)... الصحفي الذي قتلته.. لا بد أن هناك سبباً ما

ل يدفعني (مجدي) لقتله... أعني فلنرتب الكروت التي حصلنا عليها

حتى لأن.. لدينا صحفي قتل وطبيب هارب ووزير سابق.. ما العلاقة

التي قد تربط بين الثلاثة؟

أجابت (مايا) بملل:

- هل تقصد تجارب سرية تتعلق بالوزير ويستعين بها بالدكتور وحين

يكشف ذلك الصحفي تجاربهما يسعىان للتخلص منه؟ يبدو أنك من

هواة الأفلام البوليسية!!

ابتسمت لهذا التفسير الساذج وقلت:

- لو كانت هذه قصص الأفلام البوليسية، فأحمد الله أنني لا أهوى

مشاهدتها.. على كل حال لا، لدي تفسير آخر.. تفسير أكثر واقعية..

أولاً لنستثني الوزير السابق فلا يوجد ما يؤكد صلته بالأحداث. أو أن

هذا ما أتمناه... يتبقى لنا الطبيب والصحفي... هناك ثلاثة أسباب قد

تجعل (مجدي) يدفعني لقتل الصحفي... الانتقام.. التخلص مني بقتل

أحد المشاهير بهذه الصورة وهذا يعني أن الغرض الحقيقي من تنويمي

مفناً طيسياً ليس قتل الصحفي... أو أنه - أقصد (مجدي) - يعمل

لجهة ما وهي التي كلفته بالتخلص من الصحفي باستخدامي... انتهيت من طرح أفكارى فوققت ألّهث، بينما قلّبت (مايا) الأمر كله في ذهنها، ثم مطّت شفّتها بعدم رضا، لتقول:

- عظيم... إذن فلقد عقّدت الأمر أكثر مما كان... والآن كيف لنا أن نعرف أي هذه الاحتمالات هو الصحيح؟؟؟

- احتمال الانتقام يبدو أسخف من أن يبذل له (مجدي) كل هذا المجهود، كما أنه لا يبرر تنويمك أنت أيضاً.. أعتقد أن أحد الاحتمالين الآخرين هو الصحيح.. وهذا يتوقف على أن أعرف ما الذي فعلته طيلة الأسبوع الذي نوّمني فيه (مجدي) مغناطيسياً...

تساءبت (مايا) بإرهاق، وقالت:

- لا سبيل لتعرف ما الذي حدث لك طيلة هذا الأسبوع إلا من (مجدي) ذاته... وفكرة الجهة التي يعمل لحسابها أكثر سداجة من اللازم.. ما الذي سنفعله إذن؟؟؟

أجبته في غموض:

- هناك وسيلة واحدة لمعرفة ما الذي فعلته طيلة ذلك الأسبوع... سألتني (مايا) بلهفة:

- ما هي؟؟؟

كدت أجيها لولا أن انطلقت الرصاصات بغتة، لتهشم زجاج النافذة!!!

السبت - ٥/٢٦ - الساعة ٧,٤٩ مساءً
شقة (مايا) التي تحولت إلى جحيم!!

حين انطلقت الرصاصات لم أنتبه لكونها خرجت من مدفع كاتم للصوت أو، أو للغزارة الغير مسبوقة التي أخذت تنهال بها علينا.. كل ما فكّرت به هو إبعاد (مايا) من مرمى الرصاصات..
قفزت - كما درّبونا جيداً في كلية الشرطة - لأحيط (مايا) المذهولة بذراعي. ولألقي بها أرضاً بعيداً عن النافذة، التي انهمر منها سيل الموت بلا صوت..

وحين تمكنت أخيراً من الصراخ، صرخت (مايا):

- ما الذي يحدث؟؟؟

أجبتها وأنا أبقّيها منبطحة:

- فرصتنا الوحيدة لنفهم..

وقبل أن تفهم ما أعنيه، كنت أصرخ فيها:

- لا تتحركي من مكانك هذه أياً كان السبب..

ثم تحركت فجأة مستعيداً كل ما درّبونا عليه للتصرف في مثل هذه

المواقف.. حمداً لله أنني احتفظت بمسدس (مدحت) معي!!

أطلقت رصاصتين عشوائيتين على النافذ للتمويه، وأخرى على المصباح الوحيد فساد الظلام تصاحبه صرخات (مايا) المذعورة...
ولست أعرف كيف حدث ما حدث لكن لوقام كاتب سيناريو محترف بتحويل قصتي هذه إلى فيلم في يوم ما، أعتقد أن المشاهد التالية ستكون كالآتي..

ليل داخلي... أنا أقفز قفزة لو رآها مدربنا أيام كلية الشرطة لصرخ طرباً، قبل أن أسقط أمام الباب لأفتحه بحركة سريعة... قطع.
ليل داخلي... أنا أصعد الدرج الذي يقود لسطح الأرض عدواً، والرصاصات الكاتمة للصوت تحدث ثقباً في الجدران من خلفي، لتتطاير الحجارة والرمال... بالطبع صراخ (مايا) هو الخلفية لهذا المشهد... قطع..

ليل خارجي... أنا أعدو كالمجنون تجاه البناية التي تأتي منها الرصاصات، والرمال تتفجر تحت أقدامي من الرصاصات... أنا لا أشعر بشيء سوى بالرغبة في الوصول للبناية.. قطع.
ليل داخلي... أنا أقفز على الدرج داخل البناية جاذباً زناد مسدسي. متجهاً إلى الشقة التي يطلق منها القاتل رصاصاته... أنا ألهث بعنف، لكن لا أملك لحظة للتوقف واسترداد أنفاسي..

ليل داخلي.. أنا أركل باب تلك الشقة وأقفز إلى أحد الأركان مسدداً مسدسي في كل اتجاه... حسناً.. أياً كانت التمارين التي حظينا بها في كلية الشرطة. لكن اللياقة التي أتمتع بها الآن عجيبة حقاً... إما أنه الخطر، أو أن هناك الكثير حقاً مما فعلته ذلك الأسبوع دون أن أعرف..
لندع هذا في وقته... قطع..

ليل داخلي..

القاتل يلتفت لي بمدفعه فلا أنتظر شيئاً لأضغط الزناد... إنها تلك اللحظة الرهيبة التي تعني شيئاً من اثنين... حياتي أو حياته... صوت رصاصاتي يمتزج بصوت رصاصاته المكتوم، وأشياء تنهشم وأشياء تتناثر، ثم يسقط جسد القاتل، ليسود الصمت بفته... قطع! الآن أنا ألهث بعنف، متحسناً جسدي بيد مرتعشة، بحثاً عن ثقب غير موجودة!!

لقد نجوت!! فارق الثانية انتهى لصالحى!! أقف بصعوبة لأنفض الغبار من على ملابسي. ثم أقترب ببطء حذر من جثة القاتل الذي سقط على وجهه دون حراك. وبركة من دمائه تكون أسفله بثقة!!

بيمنائي أسدد المسدس له، تحسباً لأي حركة مفاجأة، ويسراي أمد يدي لأقلبه على ظهره بحركة سريعة...

لو ملكت أنفاسي الآن لصرخت... مستحيل!!

مستحيل... مستحيل... مستحيل!!!

ألف مستحيل!!

الرجل الأنيق الذي كان يطلق على الرصاصات من مدفع لا يعلم إلا الله من أين حصل عليه، كان... كان..

كان الحظ - بلا حساب - يمشي على قدمين!!

كان (علي)!!!

الأحد - ٥/٢٧ - الساعة ١١,٣٤ صباحاً
المكان: عيادة الدكتور (مجدي).. ذلك الوغد!!

مرحباً بكم مجدداً أيها السادة... ها نحن نواصل قصتي وهذه المرة
من عيادة صديقي / السابق / الوغد (مجدي)...

هذه المرة انضم لنا ضيف جديد هو المهندس (عادل صدقي)...
مهندس كمبيوتر شاب، هادئ الطباع وسيم نوعاً ما... اختطفته هذا
الصباح ليحل لنا مشكلة كمبيوتر (مجدي)!!

لكن دعني أشرح لك أولاً كيف وصلنا إلى هذه اللحظة، ولنبدأ من
ذلك المشهد حين كنت أنا أحرق ذاهلاً في جثة (علي) الذي قتلته بنفسه
لأضمه إلى قائمة ضحاياي...

بالطبع كنت مذهولاً... ومصدوماً... وخائفاً...
فالموقف الآن أصبح يعني شيئاً خطيراً... بل عدة أشياء...
أولاً... أن سيطرة (مجدي) على من يجري عليهم تجربته بلا
حدود...

ثانياً... أن وزير الداخلية السابق (مراد البحيري) متورط فيما
يحدث، وإلا كيف عرف (علي) أو من أرسله هذا المكان ١٩٩... دعك من

ذلك المدفع الذي يحمله والذي لا يمكن الحصول عليه إلا من جهات خاصة للغاية..

ثالثاً... أنهم ينوون التخلص منا وبأي ثمن... الشرطة تطاردنا وهم يسمعون خلفنا...

على كل حال لم أكن أملك رفاهية الذهول والتفكير بل كان يجب أن أتحرك بسرعة تحسباً لمجيء الشرطة أو لوجود آخرين... لذا أسرعت بالعودة للشقة. لألتقط (مايا) المرتجفة كطفل ضائع... ولنبتعد..

قضينا الليلة في أحد الفنادق الرخيصة في وسط البلد. حيث لا يطلبوا إثبات شخصية ولا يهتمهم من سيسكن طالما يحمل الثمن... وكانت ليلة غابرة لم أستطع النوم فيها إلا في مطلع الفجر وقد أنهكت الأفكار رأسي...

وبالطبع زارني ذات الحلم العجيب... أنا أسقط في الضوء الباهر، لينتهي بي الأمر في تلك القاعة، وطيف رجل ما ينحني على جثة شخص ما...

وهذه المرة كنت أنا من ينحني على جثة ذلك الرجل الملقاة على الأرض!!

حتى في الحلم لا تتفك الأحلام تطاردني بشراسة!! وكان أول ما فعلته في الصباح هو أن طلبت من (مايا) أن تسبقني لعيادة الوغد (مجدي)، بينما سأذهب أنا لأحضر من يستطيع تشغيل الكمبيوتر...

لست في حاجة لخبير من نوع خاص، لكني كنت أسمع عن ذلك الهاكر المحترف الذي يعيش في مصر الجديدة، والذي كنّا نعد عنه ملفاً تمهيداً للقبض عليه... أعتقد أنه يكفي..

ذهبت له في منزله في التاسعة والنصف صباحاً، لأقتاده بمنامته دون أن أمنحه فرصة للفهم أو التراجع... لم يكن ليعترض ومسدسي في وجهه طيلة الوقت...

وها نحن الآن نقف في العيادة، أنا أقف مدخناً - من الصعب أن تكون مع (مايا) دون أن تتعلم التدخين - والمهندس (عادل صدقي) يتعامل مع الكمبيوتر مستخدماً برامج وأجهزة لا أفقه فيها حرفاً، بينما انزوت (مايا) في الركن تدخن... لم تعد (مايا) كما كانت... الآن تحمل عيناها نظرة خوف مبهم تثير الإشفاق حقاً...

المسكينة.. رأيت وعرفت أكثر مما ينبغي بكثير...!!
لكن لا بأس... لكل شيء نهاية... ولو كان إحساسي صحيحاً، فالنهاية أوشكت بالفعل..

تحدث (عادل) ليقول بهدوء:
- الأمر سيتسغرق وقتاً طويلاً... كلمة السر من تسعة حروف ويمكننا أن نقضي أياماً طويلة قبل أن نفك رموزها..

بهدوء أشد أجبت:

- ساعة واحدة..

صرخ (عادل) بعصبية:

- ماذا؟؟؟!!

كررت:

- أمامك ساعة واحدة... ولن أقبل النقاش..

فتح فمه ليصرخ بالمزيد لولا أنني جذبت زناده المسدس مهدداً، فابتلع اعتراضه مكتفياً بغمغمة غير مفهومة. وعاد يواصل عمله بسرعة أكبر نسبياً...

أعرف أن الأمر سيستغرق أكثر من ساعة، لكن لو تركت له الحبل على الغارب لاستغرقت القصة أياماً نقضيها هنا حتى ينتهي... ذهبت لأطمئن على (مايا) فوجدتها في أسوأ حال ممكنة، لكنني قلت مشجعاً:

- (مايا)... لقد مرّ الأسوأ بالفعل، وقريباً سينتهي هذا كله.. رفعت إليّ عيني دامتني، ولأول مرة نطقت اسمي قائلة:
- (سامي)... أريدك أن تعدني شيئاً... لا تدعهم يقتلونني.. أرجوك..

يا للعينين الرماديتين!!!.... وكيف لي أن أرفض طلباً لصاحبتهما، حتى لو لم أكن واثقاً من قدرتي على تنفيذ هذا الطلب.. أجبتها:
- لن أدع أحدهم يلمسك..

وربّت على كتفها.. ثم تركتها لألقي بنفسي في عاصفة الأفكار والهواجس التي تزوم في رأسي..

يجب على أحدهم أن يدفع ثمن هذا كله... يجب..
كنت أشعر بالنعاس... بالإرهاق... بالغضب... بالحيرة...!!
كنت على وشك الانفجار... فقط أنتظر الهدف الصحيح الذي سأنفجر في وجهه..

وكانت عيناى معلقتين على عقارب الساعة، تنتظر أن ينتهي المهندس (عادل) من فك الشفرة.. بالطبع استغرق الأمر أكثر من ساعة... بل استغرق ثلاث ساعات كاملة، هتف بعده المهندس بانتصار:
- فعلتها..

أسرعت إليه بلهفة أخفيت خلف قناع من الغضب وأنا أقول:
- لكنك تجاوزت وقتك بكثير..

أجابني بحماس:

- لقد فككت الشفرة في ثلاث ساعات فحسب... إنه إنجاز حقيقي..
والآن ما الذي تريد أن معرفته بالضبط؟
أجيبته باختصار:

- كل شيء...

أخذت أصابع المهندس (عادل) تعبت في لوحة المفاتيح بمهارة لا
تكرر، بينما أخذ يتلو علينا ما يجد أولاً فأول:

- هناك العديد من الملفات معظمها أبحاث طبية تتعلق بعلم النفس
والتنويم المغناطيسي... وهناك قسم خاص يتعلق بتجربة ما وقائمة
بأسماء لا أفهم عن ماذا تتحدث... أياً كان من كتب هذه الملاحظات،
فلقد كتبها بطريقة لا يفهمها سواه..

سألته (مايا):

- أريد كل المعلومات المذكورة عن التجربة..

أجابها (عادل):

- لست أفهم حرفاً مما أقرأه... لكن هناك برنامج ما يتعلق بهذه
التجربة، هل تود أن رؤيته؟

هتفت أنا و(مايا) بصوت واحد:

- نعم..

شغل عادل البرنامج ببساطة، ثم قال:

- حسناً... إنه برنامج للتنويم المغناطيسي.. وهو مقسم في عمله
وفقاً للشخص الذي ستجرى عليه التجربة... أمامي عدة أسماء، بمن
سنبدأ؟

تبادلت مع (مايا) نظرة سريعة، ثم قلت:

- ابحث عن اسم (مايا) ..

ثم التفت إليها قائلاً:

- ربما كانت هذه فرصتك لتعريف ما الذي حدث ..

هزّت (مايا) رأسها بمزيج من الرهبة والتفهم، ثم قالت:

- سأخوض التجربة مجدداً... لكن يجب أن تحقنني بالمهدئ أولاً ..

سألتها:

- أين هو؟!

تركتني لتبحث في أحد الدواليب، ثم عادت بالمحقن وقد أعدته.

وقالت:

- يجب أن نكرر الأمر تماماً كما فعله... لا صوت.. لا ضوء.. لا شيء

سوى شاشة الكمبيوتر لأحرق فيها، لكن لا يجب أن يفوتك شيء مما

سيحدث ..

هزّزت رأسي بمعنى أنني أفهم، فكشفت لي عن ذراعها لأحقنها

بالمهدي بينما لاذ المهندس (عادل) بالصمت التام ..

تمددت (مايا) على الفراش الطبي أمام الكمبيوتر، بينما أسدلت

أنا الستائر السوداء ليفرق المكان كله في الظلام، إلا من ضوء شاشة

الكمبيوتر... نظر لي (عادل)، فهزّزت رأسي لأعطيه إشارة البدء ..

وبضغطة زر شغل (عادل) برنامج التنويم المغناطيسي الذي بدأ به

كل شيء...

الآن أرى تلك الشاشة الرهيبة تبث لي ولـ (مايا) نقطة التحول في

حياتنا سوياً...

المشكلة هي أن ما رأيته الآن لا يمكن وصفه بأمانة!... المشكلة أنه

يجب أن ترى بنفسك ما أراه لتصديق...!... المشكلة أن الذي أراه الآن

عكس جميع كل توقعاتي...!... لكنني سأحاول ..

في البداية كانت الشاشة البيضاء... النور الذي تحديق فيه ليغشي عينيك في لحظة... ثم بدأت الصور في التلاحق بتتابع غير طبيعي... صور لـ (مايا)... صور لأسلحة... لقطات من حروب... صور لجثث... صور لأماكن... صور لانفجارات... صور لـ (مايا) مجدداً... صور لأشخاص لا أعرفهم... صور تمتزج... صور تتلاشى... صور تولد وصور تختفي قبل أن تميز منها شيئاً...

صور... صور... صور...
ثم كلمات ترسم وتختفي قبل أن تتمكن من قراءة حرف واحد منها...

ثم المزيد والمزيد من الصور!!!
وبانفعال جارف همست:

- ما هذا ١٩٩١

أجابني نظرة (عادل) المذهولة التي تحمل الحيرة كما يجب أن تكون..

ولم تتوقف الصور عن التلاحق بإيقاع مطرد...!!
ثم وقبل أن يتمكن أحدها من الفهم كان باب العيادة يتهشم، ليدخل رجال الشرطة يترأسهم (مدحت) وقد سدّدوا مسدساتهم كلها نحونا، و(مدحت) يهتف بصرامة:
- لا تتحرك... ارفع ذراعيك في الهواء فوراً.. والحق سلاحك..

يا إلهي... ليس الآن..!!

هتف المهندس (عادل) على الفور:

- لست معهما... لقد اختطفني هذا الرجل..

تجاهله (مدحت) تماماً، ليصرخ مجدداً:

- قلت لك ارم سلاحك وارفع ذراعيك في الهواء... هذه المرة لن

أتردد في إطلاق النار عليك..

بحثت عن شيء لأقوله، لكن تلك الفصّة في حلقي منعتني من

الكلام، فألقيت سلاحي أرضاً وبدأت في رفع ذراعي ببطء...

حسناً.. إنها النهاية هذه المرة... لقد خسرت كل شيء بعد كل ما

فعلته..

الآن عليّ أن أواجه المصير المظلم الذي ينتظرني...

تحرك اثنان من الرجال ليحيطا معصمي بالأغلال، بينما تساءل

أحدهم:

- الفتاة على الفراش... إنها غائبة عن الوعي تماماً، ما الذي

أفعله؟

أجابه (مدحت) بلا اكتراث:

- اعمل على إفاقتها، فربما كانت معه.. واغلق جهاز الكمبيوتر هذا

حتى يأتي من يفحصه..

وهكذا أيها السادة كان عليّ أن أبتلع مرارة الفشل، بعد أن مدت

أصل للنهاية... بعد أن كدت أفهم..

وهكذا أيها السادة كان الموت هو أمنيّتي العزيزة في تلك اللحظة

لولا... لولا أن تحركت (مايا) بفته..

وهنا يجب أن نتوقف لحظة لأصف لكم كيف حدث ما حدث...

وهنا أكرر أنني عاجز تماماً عن نقل ما حدث بالضبط لكني سأحاول...!!

بفته فتحت (مايا) عيناها الرماديتين، وهذه المرة كانتا تحملان نظرة لم أرها من قبل..

وفي اللحظة التالية تحركت.. ولو كان هذا فيلماً لكان عليك عرض اللقطات التالية بالتصوير البطيء لتستوعب ما حدث..

مدت يدها لتقبض على معصم رجل الشرطة الذي انحنى عليها، وأدارته بصورة خاصة جعلته يطير ليسقط أرضاً..

ثم قفزت..

قفزت من على الفراش لتركل رجل آخر... ثم قفزت مرة أخرى لتنتزع مسدسه لتطلق بضعة رصاصات أطاحت بمسدسات الجميع...

ثم قفزت لتهوي بالمسدس على رأس رجل آخر... ثم قفزت مجدداً...

ثم قفزت...

ثم قفزت...

الأمر كله بدا أشبه بالباليه، وهي تطير برشاقة لا معقولة، ليسقط أحدهم كل مرة، بينما اكتفيت أنا بالتجمد في مكاني ذاهلاً، عاجزاً عن

التصديق...!!!

وحين هبطت أخيراً، كان الكل ملقى على الأرض بلا حراك وقد فقد وعيه...

ويلهجة أمرة قالت:

- هيا بنا...

لم أستطع التحرك لفرط ذهولي، فجذبتني من يدي متابعة:

- هيا قبل أن يأتي آخرون..

تبعته مأخوذاً، لنخرج من العيادة إلى سلم الطوارئ... لأسفل...
للشارع... لأول سيارة أجرة صادفتها، لنبتعد عن المكان...
وحين تحرك لساني أخيراً، نطقت:
- كيف؟؟
أجابتنى (مايا):
- لنبتعد ما فيه الكفاية ثم سأشرح لك كل شيء..
وشردت عيناها الرماديتين، مردفه:
- لقد عرفت الذي فعلته..
ولم تنطق بحرف آخر تاركةً إياي أبتلع ذهولي الذي لا حد له!!

الأحد - ٥/٢٧ - الساعة ٦,١٣ مساءً
المكان: أمام ذلك المبنى في المقطم..!

الآن سأنقل لكم الأحداث الأخيرة لهذه الليلة، لكن قبل أن أبدأ،
اسمح لي أن أسألك سؤالاً... هل تعرف نفسك حقاً؟
أرجوك فكّر في هذا السؤال، قبل أن تقرأ الأحداث التالية.. أو اقرأ
الأحداث أولاً، فربما فهمت ما أعنيه بالضبط..
الآن أنا أقف جوار (مايا) خلف تلك التبة الرملية... رياح المقطم
الباردة تعبت بأجسادنا المنهكة.. وذكريات كل ما مررنا به تمنح الموقف
كله رهبة لا تنكر..

الآن.. أفكر كثيراً قبل أن أنطق بسؤالتي التالي، فيأتي:

- ولكن.. كيف؟

تجيبني هي باقتضاب:

- الإجابة هناك ..

وتشير بعينيها الرماديتين إلى ذلك المبنى المهجور أمامنا.. فأرمقه
بلا فهم، لتواصل (مايا):
- إنه هناك.. في الداخل..

تقولها فيخفق قلبي بعنف... إنه هناك... (مجدي) هناك!!
أهمس بأنفعال:

- وما الذي ننتظره؟؟

يحمل وجه (مايا) تعبيراً غريباً، لا أستطيع الجزم بكنهه.. أهو
الخوف؟؟.. أهو الغضب؟؟... لن أعرف أبداً...!!

ترى ما الذي فعلته (مايا) بالضبط، بعد أن أجرى (مجدي) عليها
التجربة؟؟؟؟

سألتها حين كنا في سيارة الأجرة، فلم تجب... ولم أكرر سؤالها
بعدها..

تتطق هي أخيراً، لتقول:

- هيا بنا..

وهكذا نتحرك سوياً ببطء لا يحمل رائحة الثقة، حتى نصل لمدخل
ذلك المبنى المهجور...

نقف أمام البوابة المعدنية الضخمة، فتلتقط (مايا) نفساً طويلاً، ثم
تقرع البوابة بنسق معين...

للحظة لم يتغير شيء... ثم بدأ صوت الأقدام من الداخل يتعالى..
صوت يد تعالج الرجاج... ثم البوابة الضخمة تفتح بصرير مخيف،
كبوابات قلاع الأساطير..
ثم نفرق في الضوء المبهر...

فتحت عيني بصعوبة مع كل هذا الضوء الذي هبط عليّ كشلال،
لينتفض جسدي ذهولاً!!

المبنى الذي يبدو مهجوراً تماماً من الخارج، لم يكن كذلك - أبداً - من الداخل..

الأضواء كانت تغمر المكان من السقف والجدران، لتضيء قاعة ضخمة بيضاء، استقرت على أرضيتها الرخامية عشرات المكاتب، وعلى كل مكتب كمبيوتر جلس أمامه رجل أو امرأة، أخذ يعمل عليه بصمت تام...

الذي فتح لنا البوابة كان ضخماً تحمل ملامحه مزيج من الجمود والندوب لتصنعان منه حارساً مثالياً لمنظمة إجرامية...

تقدمت منه (مايا) بثقة لتقول:

- أغلق الباب..

نقذ الضخم أمرها بلا مناقشة ثم التفت لها ليقول بجمود تام:

- مرحباً بعودتك يا سيدتي..

ثم التفتت هي إليّ لتجدني أرمقها ذاهلاً، فقالت:

- ألم تتذكر بعد؟

صحت وقد أخذ مني الذهول مأخذه:

- أتذكر ماذا؟

ثم ولذهولي وجدتني أتذكر بالفعل!!

لست أعرف كيف أو لماذا أو متى.. لكن هذا المكان يبدو مألوفاً لي

بالفعل... هذا المكان كنت فيه من قبل..!!

ولكن كيف؟ متى؟ ... لماذا؟

أتى الصوت المألوف من آخر القاعة يقول:

- عزيزي (سامي) ... إذن فقد وصلت أخيراً..

التفت إليه لأصرخ بكل ما تموج به نفسي من انفعالات:

- (مجدي) ١١٩٩

كان الوغد هناك... يتحرك بهدوء بالغ مرتدياً معطفه الأبيض،
وعلى وجهه ابتسامة لا مبالية، وفي عينيه نظرة تحمل ألف معنى..
تعاظمت ابتسامته وهو يقول:

- أحضرت (مايا) معك ٩٩... عظيم... لقد بدأنا نفتقدها حقاً
هنا..

كنت أود أن أقتله... أن أمزقه... أن أسأله... أن أنتقم... أن أفهم..
لكن ذلك المزيج الرهيب من المشاعر شلّ حركتي تماماً، فلم أنطق حتى
وقف أمامنا تماماً ليقول:

- كنت متأكداً من أنك ستأتي.. وأنت يا (مايا).. هل عرفت ما
فعلته أخيراً؟

هزت رأسها إيجاباً ببطء، فابتسم (مجدي) قائلاً:

- وتودين لو أنك لم تعري في قط، أليس كذلك؟ ٩٩... على كل حال هذا
هو ثمن المعرفة الذي يجب أن ندفعه... هناك مثل أمريكي شهير يقول
(المجهول من الأفضل له أن يبقى مجهولاً)، وأحسبك تفهمين معنى
ذلك المثل الآن..

انتزعت نفسي بصعوبة من حالة الذهول البلهاء هذه، وفتحت فمي
لأسأل، لكن (مجدي) استوقفني بإشارة من يده ليقول:

- أعرف ما تريد قوله... تريد أن تفهم، لكن قبل أن أشرح لك كل
شيء، هل أن مستعد حقاً لدفع ثمن المعرفة ٩٩؟

نظرت لـ (مايا) لأبحث في عينيها عن الإجابة، فنكست هي رأسها
ببطء... لكن لا... يجب أن أفهم... يجب..

هزرت رأسي إيجاباً فابتسم الوغد (مجدي) بركن فمه، كأنه
يمنحنا عرضاً مجانياً لابتساماته وقال:

- حسناً... أنت اخترت.. لنجلس إذن..

قالها واقتادني أنا و(مايا) الصامته إلى ركن القاعة، حيث جلسنا على مجموعة من القاعد المتراصة، كأننا مجموعة من الأصدقاء تستعد لتبادل الذكريات!

صمت (مجدي) برهة ليستجمع أفكاره ثم قال:

- من أين تحب أن أبدأ؟

أجبت به بخفوت:

- منذ البداية... بداية كل شيء..

أجاب (مجدي):

- هذا ما توقعته... لا زالت غريزة رجل الشرطة داخلك تعمل بكفاءة.. لنبدأ إذن من ذلك اليوم الذي قررت أن أدرس فيه التنويم المغناطيسي.. ذلك الجزء المهم من الطب النفسي والذي يمر عليه الجميع مرّ الكرام دون أن يتساءلوا لحظة عن حقيقته... لن أضيع الوقت بشرح أساسيات هذا العلم وتاريخه بل سأدخل على الفور إلى ذلك اليوم الذي قررت فيه تجربة التنويم المغناطيسي بنفسي... أجريت التجربة على إحدى السيدات اللاتي يأتين لي بانتظام ليشكين من حياتهن الزوجية.. أنت تعرف هذا الشق الممل في حياة أي طبيب نفسي، لكنه الشق المريح في الواقع.. المهم، لم أجد صعوبة بالغة، خاصة وأنني استخدمت معها مهدئاً خفيفاً ليرychني من ثرثرتها قليلاً.. وهكذا وجدتني ولأول مرة أمام العقل البشري بكل خباياه وأسواره وقد أصبح طوع يدي.. أدق أسرارها... ذكرياتها المنسية.. مخاوفها.. عيوبها التي تداريها كل يوم.. شرورها التي تكبتها داخلها باستمرار... كل هذا أصبح ملكي... لكن واجهتني مشكلتين. ولهما أن هناك درجات من التنويم

المغناطيسي، ولأصبح المتحكم الأوحـد لعقل هذه السيدة كان عليّ بلوغ درجة معينة من التنويم المغناطيسي لم يبلغها أحد... وهذا بالطبع لم يحدث في المرة الأولى أو الثانية أو حتى الثالثة... لكنني فعلتها أخيراً..

وبرقت عيناه وهو يستعيد تلك الذكرى، ثم واصل:

- وصلت إلى أقصى درجة من درجات التنويم المغناطيسي. لتواجهني المشكلة الثانية... أنت لا تستطيع أن تجبر المنوم مغناطيسياً على فعل أشياء يرفض فعلها في يقظته... لكن ماذا عن الأشياء التي يرغب في فعلها ويمنع نفسه عنها طيلة الوقت؟ ماذا عن النصف المظلم داخل كل آدمي، حيث يدفن شروعه ونزواته وأسراره السوداء؟ والأهم من هذا كله، ما الذي قد يحدث لو أطلقنا هذا النصف المظلم من سجنه وفككنا قيوده؟ ما الذي قد نحصل عليه حينها؟

أصابني الخوف من تصور النتيجة فلذت بالصمت، بينما قالت (مايا) ببطء:

- سيخرج مستر (هايد) ..

هتف (مجدي) طرباً:

- بالضبط... تماماً كما كان يحدث في رواية (دكتور جيكل ومستر هايد) ... ما إن تطلق مارد الشر من عقاله داخل أي آدمي. ليتحول أي كائن آخر تماماً لا يمت بصلة لتلك الواجهة الاجتماعية التي يقدمها لنفسه وللناس كل يوم.. قد يكون الشخص الذي ستجري عليه التجربة هادئاً متحفظاً خجولاً نوعاً ما.. لكن ما إن تجري عليه التجربة حتى يتحول إلى شيطان حقيقي... شيطان قابل للترويض والتحكم..

بصدق وأمانة قلت:

- لم أفهم حرفاً..

ازداد حماس (مجدي) وهو يشرح مفسراً:

- ألم تسمع عبارة مخرج أفلام الرعب الشهير (أفريد هتشكوك) ١٩٩٩.. أي إنسان قد يقتل في لحظة.. هذا حقيقي.. هناك لحظات قد يفقد فيها المرء سيطرته على نصفه المظلم، ليقتل أو يسرق أو يفعل ما هو أسوأ.. يا عزيزي الشر موجود داخل كل آدمي، وكل ما أفعله أنا هو أن أطلق سراحه وأجعله المتحكم... كل ما عليك هو التحديق في برنامج التنويم المغناطيسي الذي صممته بعد أن تحقن نفسك بمزيج خاص من المهدئات وعقاقير الهلوسة، وستكشر شرورك عن أنيابها لتعلن وجودها للجميع..

سألته بحيرة:

- ولكن ما الذي تستفيد أنت من هذا كله ١٩٩٩... إنك تصنع وحوشاً غير قابلة للترويض...

قاطعني (مجدي):

- خطأ... بل قابلة للترويض... لا تنس أن كل شيء يتم تحت إطار من التنويم المغناطيسي.. الناتج الذي تحصل عليه هو مسخ يمكنك تدريبه واستخراج طاقات منه لم يحلم هو بوجودها داخله، ثم استغلالها لتحقيق أهدافك التي تعجز عن تحقيقها بمفردك..

تحدثت (مايا) مفسرة:

- أي أنك تستخدم شرور الناس لتحقيق شرورك الخاصة...

أجابها (مجدي) بغلظة:

- تفسير جاف ويحمل الكثير من الخطأ... أنا لا أملك شرورك، أو فالنقل أنني أجيد السيطرة عليها... ما أفعله هو أنني أستخدم هؤلاء في أغراض أسمى من أن تفهميها بكثير..

جاء دوري لأهتف بعصبية:

- كإرسالي لقتل ذلك الصحفي وعائلته.. وأين؟؟؟.. في مركز الشرطة حيث كنت أعمل!!

هزّ (مجدي) كتفيه ببساطة ليقول:

- قد تصدقتي أولاً... لكن قتلك لذلك الصحفي وعائلته لم يكن بأمر مني على الإطلاق... أنت نفذت هذه المهمة لأغراضك الشخصية.. صرخت بإستكار:

- ماذا؟؟؟!!

فأجابني بهدوء مستفز:

- دعني أحكي لك أولاً عن ما حدث لك إن كان هذا يهمك... حين قمت بتنويمك أنت و(علي) ذلك اليوم، فعلت هذا بفرض التجربة البحت، دون أي نية لاستخدامكما في مخططي، لكن ما إن أصبحت عقولكما طوع يدي، حتى وجدت أن الإغراء أقوى بكثير من أن يقاوم.. ف(علي) يملك بفضل ثراءه الفاحش، نفوذاً وسلطة قد يسهل لي الكثير من الأعمال، أما أنت فلم أكن أتخيل أنك تحمل داخلك هذا القدر من العنف والجرأة... لذا أخذتكما معي إلى هذا المقر لتخضعاً للتدريبات خاصة.. تدريبات جسدية وذهنية، ولن تصدقتي أيضاً لو قلت لك أنك في أسبوع واحد حققت ما قد يحققه البعض في سنوات من التدريب المستمر... لا بد أنك شعرت بهذا.. لا بد أنك شعرت أن أقوى جسدياً على الأقل..

لم أجب، لكنني كنت متأكد أنه لا يكذب في هذه النقطة على الأقل... وتابع هو:

- وهكذا كان عليّ تغيير نسق حياتك ليتناسب مع المستقبل الذي

حددته لك، وكان أول ما قمت به هو أن أقتعتك بأن تطلق زوجتك...
ولا أظن أنك نادم على هذا القرار الآن.. بل أعتقد أنك تسعر في قرارة
نفسك أنني أسديت لك صنيعاً، أليس كذلك؟ ١٩٩

لثاني مرة أكاد أقسم أنه لا يكذب!!... وتابع (مجدي):

- في تلك الليلة أرسلتك لمركز الشرطة لتحضر لي بعض الملفات
الخاصة... ملفات لا يجوز لأحد أن يطلع عليها لكنك لم تكن لتجادلني
وأنت في هذه الحالة.. وكالعادة أرسلت من يراقبك للتأكد أن كل شيء
سيتم على ما يرام.. وهاك ما أخبرني به مراقبك حين عاد.. في
طريقك للمركز اصطدمت سيارتك بسيارة ذلك الصحفي (باهر).
ورد فعل طبيعي خرج الصحفي من سيارته طالباً الشجار معك، أو
تعويض لإصابة سيارته، لكنه لم يكن يتحدث لك حينها... بل كان
يتحدث لنصفك المظلم المدرب جيداً على تخطي أي عقبة في سبيل
تنفيذ المهمة... وهكذا قررت أنت ودون أي تدخل مني أن تقتل الرجل
وعائلته الذين كانوا معه في سيارته، فأخذتهم معك تحت تهديد السلاح
إلى المركز لتقتلهم بكل العنف الذي كان مكبوتاً داخلك والذي حررته
أنا بتجربتي.. ولا بد أن هذا سبب لك صدمة عنيفة، جعلتك تفيق لتجد
نفسك في هذا الموقف.. أنت قاتل ومحتجز لرهائن لا ذنب لهم سوى
أنهم اقتربوا أكثر من اللازم من نصفك المظلم..

قال هذا كله، ثم لاذ بالصمت ليراقب رد فعلي...

أما أنا فكنت في حالة لا توصف من الذهول والمرارة وعدم
التصديق..

إذاً فأنا قاتل في أعماقي دون أن أعرف!!

أنا من قرر ارتكاب هذه المذبحة، لمجرد أنني فقدت السيطرة على

نصفى المظلم... على شروري المدفونة...

على مستر (هايد)..!!

لكن مستحيل!!... لا يمكنني تقبل هذه الفكرة بأي ثمن..!!..

مستحيل!!

ويغضب متخاذل صحت:

- أنت تكذب... تحاول أن تهرب من مسئولية ما دفعتني لفعله.. وحتى

لو لم تكن تكذب، فأنت المسئول.. أنت من حولني إلى هذا المسخ..

هزّ (مجدي) رأسه موافقاً، وقال:

- في هذه النقطة أنت محق... لقد عجزت تماماً من السيطرة على

كم العنف داخلك.. أنت أول حالة فشل للتجربة أواجهها، لكن لا بأس..

لا بد من بعض الخسائر المقبولة لتنفيذ مخططي..

سألته بعصبية:

- أي مخطط هذا الذي تتحدث عنه طيلة الوقت؟؟!!... ما الذي

يحدث هنا بالضبط؟؟

عاد (مجدي) الوجد بيتسم ابتسامته الذئبية، مجيباً:

- ما تراه أمامك الآن هو ذروة نجاح تجاربي... كل من تراهم هنا

من رجال ونساء يعملون بهمة ونشاط وصمت تام دون أن يعرفوا بهذا

قط.. كلهم مرّوا بالتجربة في ظروف مختلفة، وفي كل ليلة يأتون إلى

هنا، ثم يعودون إلى منازلهم مع مطلع الفجر ليتيقظوا دون أن يتذكروا

شيئاً مما حدث.. قد يشعرون بنوع من الإرهاق صباحاً، لكن أحدهم لن

يتخيل أن سبب هذا الإرهاق أنه كان يعمل بلا توقف طيلة الليل..

أدّرت وجهي لأطالع وجوه هؤلاء الرجال والنساء الجامدة، وهم

يعملون بتناسق وتنظيم من المستحيل أن يعملوا به لو كانوا مستيقظين

حقاً!!

أياً كان ما أراه الآن، فهو مخطط مخيف... مخيف!!
سألت (مايا):

- وما الذي يفعلونه بالضبط؟

أجابها (مجيدي) وقد أخذ منه الحماس مبلغه:

- يكونون قاعد ضخمة من المعلومات... معلومات سياسية..
اقتصادية.. فنية.. عسكرية.. كل أنواع المعلومات المتاحة في كل مكان،
ثم يقومون بفهرستها وتقسيمها في قاعدة معلومات خاصة صممها
عابرة كمبيوتر.. باختصار، كل ما يلزم لمنظمة الفوضى..
رددت من خلفه مستغرباً:

- الفوضى؟

أجاب (مجيدي):

- نعم.. الفوضى... ألم تتساءل عن السبب الذي جعلك وجعل كل
هؤلاء يحملون ذلك القدر من العنف داخلهم؟ إنها وليدة الأنظمة
التي نحياها... الحياة المادية التي أصبحت تهيمن على أرواح العالم
كله... الإنسان هو الكائن الوحيد الذي قضى مئات السنوات من التطور،
لتقوده إلى قاع الهاوية الحضارية... انظر للعالم من حولك... حروب...
دمار... مجاعات... أكثر الدول غنى بالثروات الطبيعية هي أكثر الدول
فقراً، وأكثر الدول ذات الواجهة الحضارية الأنيقة، هي أكثر دول ينتشر
فيها العنف والشغب بكل صورته... النصف المظلم في أعماقك هو امتداد
للنصف المظلم في المجتمع ذاته... وأنا قررت أن أحطم هذا النصف
المظلم بأن أحطم الأنظمة ذاتها..

فكرت لحظة في كل ما قاله، ثم قلت:

- حسناً.. أنت مجنون تماماً..

- ربما... لكن الأمر كله يحتاج لدرجة من الجنون ليصبح قابلاً
للتنفيذ..

- وهل تعمل لوحده في هذا كله أم أن هناك آخرون؟
- بالطبع هناك آخرون... في كل مكان في العالم.. أكثر مما يمكن
أن تتصور بكثير..

- وهل الوزير السابق (مراد البحيري) منهم؟
لم يملك (مجدي) نفسه من الضحك، قبل أن يجيب:
- ذلك الوزير لا يعدو عن كونه وسيلة دفاعية.. هو أيضاً مرّ
بالتجربة، وكل مهمته هي أنه لو رأى تلك البطاقة السوداء التي تحملها
(مايا)، فعليه أن يتصل بي ليخبرني بهذا، لأبدأ في إجراءات التخلص
منها.. وهذا ما فعلته حين أرسلت (علي) للتخلص منها، للتخلص أنت
منه..

كل شخص هنا يحمل وسيلة دفاعية خاصة بحيث لو اقترب من فهم
كل ما يحدث تتم تصفيته بهدوء... وكما قلت مسبقاً.. خسائر مقبولة
من أجل نجاح منظمة الفوضى..

هنا... وقد فهمت أخيراً كل شيء، أخرجت مسدسي لأسدده في وجه
(مجدي) قائلاً بهدوء صارم لم يغل من مقت لا حد له:

- عزيزي (مجدي)... أنت وغدا!

ابتسم الوجد أمام فوهة مسدسي وقال:

- وأنت أحمق... أظن أنني لم أضع هذا في حساباني؟!

وقبل أن أفهم ما يعنيه هوت يد ضخمة على يدي لتطيح بالمسدس،
فتحركت (مايا) بغريزية، لتتقض على ذلك الضخم الذي فتح لنا
البوابة، فقامت أنا أيضاً مستعداً للمعركة..

أما (مجدي) فأخذ يرمق هذا كله بهدوء، وقال:
- هيا يا (سامي).. أرني إن كنت تتذكر تدريباتك... أنت من أحدثت
هذه الندوب في وجه هذا الضخم في أحد هذه التدريبات..
صاح هاتف داخلي:

- أنا من أحدث تلك الندوب في وجه هذا الدب؟.. إنني لن أستطع
حتى أن أزرحه من مكانه..!!

لكنني تحركت بسرعة غير طبيعية لأتفادى لكمة سددها لي، وتحركت
أطرافي لا شعوريا لأتخذ وضعاً قتالياً معقداً... ثم... ثم...
ثم تحرك مستر (هايد) داخلي من جديد..!!

لن أصف لكم المعركة، لكنني سأقول أن فرص ذلك الضخم -
البائس!! - كانت شبه معدومة أمامي أنا و(مايا) بكل تلك القدرات
القتالية التي تفجرت داخلنا، وليدة تدريبات عشناها دون أن نذكر منها
شيئاً...

وبعد خمس دقائق، كان الضخم قد سقط وقد فقد وجهه ملامحه،
بينما وقفت أنا ألهث أمام (مجدي) البارد كالقطب الجنوبي، لأقول:
- والآن؟؟

صفق (مجدي) بحبور، ثم قال:

- عظيم... عظيم.. مستواك تحسن بكثير، وأنت يا (مايا).. لم
تفقد مهارتك بعد كل هذه الفترة... رائع.. والآن يا عزيزي (سامي)
هل ستقتلني هذه المرة بإرادتك الحرة، أم أنك ستلقي القبض عليّ
لنذهب سوياً إلى مركز الشرطة لنرى قصة من سيصدقون هناك؟؟
أجبت وأنا أنحني لألتقط المسدس:

- بل سأقتلك... أنا قاتل الآن على كل حال ولن يضيرني أن أضيف

ضحية جديدة لسجل ضحاياي..

وسددت المسدس لرأسه، لكن (مايا) أمسكت بيدي قائلة:

- لا داع لهذا... لقد انتهى أمره بالفعل..

ثم أنها أخرجت من جيبها جهاز اتصال لا سلكي كالذي كنت أحمله أيام كنت شرطياً، وقالت:

- لقد أخذت هذا من زميلك الذي جاء يقبض علينا في العيادة... لا

بد أنهم سمعوا كل شيء الآن، وفي طريقهم لهناء..

التفت لها لأهتف بدهشة فرحة:

- (مايا) ... أنت عبقرية..

أما (مجدي) فقد اربد وجهه، وهبّ من مقعده ليضغط على أحد الأزرار في الحائط من خلفه، لتتحول إضاءة المكان كله إلى اللون الأزرق، فهب كل من في القاعة من أماكنهم ليتجهوا بتنظيم وسرعة إلى المخرج الخلفي للمكان، بينما هتف (مجدي) بغضب لا حد له:

- خائنة..

وضغط على زر في الجدار، فأسرع ثلاث من الحراس ضخام الجسد تجاهنا، ليشير (مجدي) لهم، صارخاً وهو يبتعد:

- اقتلوها فوراً..

وهكذا وجدت نفسي في موقف لا أحسد عليه..

(مجدي) والجميع يهربون.. والثلاث حراس يخرجون مسدساتهم، ليسددوها تجاهنا، وتلك الإضاءة الزرقاء اللعينة تجعل الرؤية غير واضحة بصورة أو بأخرى... والخيار لي هذه المرة..

إما أنا أوهم..

وهكذا رفعت مسدسي تجاههم وأطلقت النار. في اللحظة التي أطلقوا فيها النار هم أيضاً...

أطلقت رصاصة من أجل الخدعة التي رسم (مجدي) تفاصيلها..
ورصاصة من أجل الصحفي وعائلته الذين قتلتهم دون ذنب
جنوه...

ورصاصة من أجل (علي)..
ورصاصة من أجل مستر (هايد)!!!
وأطلقوا هم عشرات الرصاصات..
وحين انتهى الأمر كانت جثث الحراس الثلاثة ملقاة أرضاً، وكانت
الدماء تنزف من ثقب في جانب صدري بإطراد..
للحظة تجمد الزمن... تجمد المشهد كله أمامي في صورة العشرات
يخرجون في صفوف، والإضاءة الزرقاء، وأدخنة الرصاصات ترقص في
السما...

ثم سقطت (مايا)!!!
تهاوت فجأة جواربي والدماء تنز من عدة ثقوب في جسدها ومن ركن
شفتها، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أنحني صارخاً:
- (مايا) ... لا!!!!..

حركت عيناها الرمادتين الساحرتين لتتظرو لوجهي بضعف بالغ،
وقالت:

- آسفة... لم أتمكن من التحرك في الوقت المناسب... يا إلهي.. لقد
أصابوك أنت أيضاً..

كنت في حالة لم تسمح لي بالشعور بإصابتي ولا بالدماء التي أفقدها
بلا توقف.. كنت في حالة لم تسمح لي سوى أن أقول:

- (مايا) ... أنا... لكن..

ابتسمت لأول وآخر مرة لتقول:

- لا وقت لهذا.. اصغ لي جيداً.. (مجدي) يكذب.. لقد أرسلك
لقتل ذلك الصحفي وعائلته لأنه كاد يكشفه، وجعلك تفعل هذا في مركز
الشرطة ليتخلص منك أنت أيضاً، بعد أن استنفذ حاجته منك..
لم أملك نفسي من أن أسألها سؤالي الأخير:
- كيف عرفت؟؟

أجابتنى بأخر بطاقة للحياة داخلها:
- لأنه جعلني شريكته في كل ما حدث... هذا هو ما فعلته.. أسفة..
ثم أنها حاولت قول المزيد، لكن... لكن..
لكن الوهج في عينيها الرمادتين انطفأ..
والآن (مجدي) هرب...

والآن المكان أصبح خاوي على عروشه، يحمل آثار أشخاص لن
يعرفوا أنهم كانوا هنا من قبل..

والآن أنا أتحامل على نفسي لأحمل جثة (مايا) المسكينة لمتزج
دماءنا، لأخرج من المكان، حيث بدأ صفير سيارات الشرطة في
التعالي...

وحين خرجت أخيراً كانت أضواء سيارات الشرطة تنعكس على
وجهي وهي تتوقف، ليخرج منها الكثير، دون أن أستطع تمييز ملامح
أحد...

في الواقع أنني لم أصبح قادراً حتى على حمل جثة (مايا) أكثر
من هذا...

في الواقع أنني لم أعد أقدر حتى على الوقوف... وبدأ لي أن الأصوات
من حولي تأتي من بعيد... بعييد...!!

كان هذا آخر ما أذكره قبل أن أتهاوى أرضاً لأغيب عن الوجود..

الإثنين ١٤ / ٩ - الساعة ١٥، ٢ عصرًا
المكان: وزارة الداخلية..

بالطبع لم أمت ليلتها، بما أنني من يحكي لك كل ما حدث... لكنني
كنت أتمنى الموت ألف مرة كل ليلة أتذكر فيها (مايا) ...
الطلب الوحيد الذي طلبته مني في حياتها هو ألا أدعهم يقتلوها، وأنا
فشلت في تحقيق أمنيتها الوحيدة..
والآن... أشعر وكأنني فقدت شيئاً لن أجده في حياتي مجدداً..
بالطبع تم نقلي للمستشفى حيث أجروا لي عملية جراحية عاجلة،
ثم فترة في العناية المركزة، ثم المزيد من الفحوصات والإجراءات.. إلى
آخر هذا الهراء، لكن الغريب أن هذا كله تم بشكل سري، وفي مستشفى
عسكري خاص..
بعد هذا بدأت مرحلة الاستجواب والتحقيق، وفحوص خاصة من
أساتذة الطب النفسي، وكل تلك الأشياء التي تجعلك تتدم أنك لم تلق
مصرك تلك الليلة..
وفي النهاية أرسلوا لي من يخبرني بأن وزير الداخلية يرغب في
مقابلتي... وبالطبع وافقت... كأنني أملك الخيار!!

وها أنا أجلس أمامه الآن، وقد أصبحت أحمل في أعماقي أطناناً من
المرارة التي تجعلني عاجزاً عن التركيز في شيء...

بدأ هو الحديث ليقول:

- عزيزي (سامي)... أعرف أنك لا زلت تتعافى من إصابتك، لكن
ما أود أن أعرضه عليك الآن لا يحتمل التأجيل... في الواقع لقد جئت
لأعرض عليك صفقة..

رددت من خلفه في حذر:

- صفقة؟؟؟

أجابني الوزير:

- نعم.. صفقة... أو فلنقل اقتراح قدمه لنا الخبراء... أنت تعرف
بالطبع تفاصيل كل ما حدث، لذا لن أطيل عليك بإعادة سردها... ما
لا قد تعرفه أن الدكتور (مجدي) هرب من البلاد قبل أن نتمكن من
اللاحاق به، ودون أن نعرف الوجهة التي هرب لها وإن كان لدينا اعتقاد
خاص أنه في (فرنسا).. المشكلة أن تلك المنظمة التي صنعها حقيقية وفي
منتهى الخطورة... لقد قمنا بفحص أجهزة الكمبيوتر التي تركها في
المقر من خلفه، وقمنا باستجواب بعض ممن عملوا معه دون أن نحصل
منهم على شيء، فلا أحد منهم يذكر أي شيء مما حدث، والأسوأ من
هذا كله أن بعض هؤلاء الأشخاص يعملون في مناصب حساسة ويطلعون
على أسرار في غاية الخطورة والخصوصية، ولو كان الدكتور (مجدي)
قد حصل عليها، فتحن في مأزق حقيقي..

سألته وقد بدأت أشعر بالشك:

- وما المطلوب مني بالضبط؟؟

صمت الوزير برهة، ثم أجاب ببطء:

- الواقع أن وضعك معقد قليلاً... نحن نعرف أنك ارتكبت جريمتك تحت تأثير التجربة التي أجراها عليك دكتور (مجدي)، لكن هذه القصة من الصعب شرحها للعامة، وبالتالي من الصعب أن تعود لعملك أو لحياتك التقليدية كما كانت..

سألته وقد تعاضم شكى أضعافاً وأضعافاً:

- ما الذي تقصده بالضبط؟؟

- أقصد أن حياتك ك (سامي محمود) قد انتهت في تلك الليلة، وهذا ما أعلنه للجميع، ووجودك هنا وعلاجك وكل هذا تم بشكل سري بحث، فلقد قرر الخبراء أن أفضل ما يمكن أن يحدث لك هو أن تحصل على هوية جديدة ووظيفة جديدة في مكان بعيد... تماماً كما يحدث في برنامج حماية الشهود في الخارج..

هكذا إذن...

إذن فهذا هو ثمن المعرفة الذي وعدني به (مجدي)... ويا له من

ثمن!!

أن أخسر هويتي... أن أخسر ماضي بكل ما حدث فيه لأبدأ من جديد بلا أمل في العودة..

سألت وأنا أشعر بثقل مخيف يجثم على صدري:

- وماذا لو رفضت؟؟

أجابني بلهجة محايدة:

- سيكون هذا خيارك، وستضطر لتحمل عواقب هذا الاختيار..

فحتى لو مررت من المحاكمة وتم تبرئتك، لن يفر لك العامة ما فعلته أبداً.. على كل حال فكّر فيما قلته..

سألت:

- وما هي الوظيفة التي سأحصل عليها لو وافقت؟
أجابني بلهجة خاصة:

- مسئول أمني للسفارة المصرية في (فرنسا)..
~~~~~م....

الآن فهمت!!

يريدونني أن أبحث لهم عن (مجدي)...

أن أتحول من طريد إلى مطارذ..

"هه... ما هو رأيك؟"

سألني الوزير، فلذت بالصمت قليلاً ثم قلت:

- موافق..

كأنني أملك الخيار!!!

\*\*\*

هذه هي قصتي... أو فلنقل قصة (سامي محمود)، فلم أعد أمت  
لهذا الرجل بصلة بعد أن خرجت من مكتب الوزير..  
أنا الآن (أكرم رشوان) مسئول الأمن في السفارة المصرية في  
(فرنسا)، يعرفني الجميع بكوني رجل صامت يفضل العزلة على  
مصاحبة البشر..

ما لا يعرفه أحد هو أنني أصبحت أخشى الاقتراب من البشر، فكل  
ما أراه الآن هو أنصافهم المظلمة، مغلفة بغلاف اجتماعي أنيق..  
في كل ليلة أسير وحيداً في الطرقات بحثاً عن (مجدي)، أو عن أي  
شخص يخرج من منزله بملامح جامدة ليذهب لعمل - لن يذكر عنه  
شيئاً - في مكان مهجور...

وفي كل ليلة أرى وجهها في ضوء القمر... (مايا)... لكم أفتقدها  
الآن!!... ولكم أعرف أنني لن أراها مجدداً!!  
هذه هي قصتي أيها السادة... ماضي مخيف... بحث مستمر...  
وعذاب بلا نهاية...  
ربما قابلتني يوماً لوزرت (فرنسا)...  
ربما كنت أنت أحد أصحاب الوجوه الجامدة... تستيقظ كل ليلة  
دون أن تدري. لتعمل فيما لن تذكر عنه شيئاً في الصباح... فقط مجرد  
إرهاق بسيط ستشعر به، وستظن أنك لم تحظ بقدر كاف من النوم!!  
ربما كنت تحمل نصفاً مظلماً داخلك دون أن تعرف حتى بوجوده...  
ربما..  
ما أعرفه أنا هو أنني أحمل بين ضلوعي نصفي المظلم، أخذه معي في  
كل مكان... يذكرني دوماً... وبلا توقف...  
بالذي فعلته...

سامي محمود

٢٠٠٣/١٠/٢

(فرنسا)

الورقة الثانية

**قصة فرنسية**



الفصل الأول

**أشياء حدثت**



كان اسمي (سامي محمود)...

كنت ضابط شرطة ومتزوج من امرأة عادية، أحيا معها حياة مملة. والأيام تمر بي مر الكرام، دون أن أضيف لها شيئاً، أو أن تضيف هي إليّ شيء..

كنت كذلك حتى قمت ذات ليلة بزيارة صديقي الدكتور (مجدي) الطبيب النفسي، أنا وصديقنا المشترك (علي)، رجل الأعمال الناجح، حين قرر (مجدي) أن يجري علينا تجربة تنويم مغناطيسية حمقاء، فوافقت أنا و(علي) على أساس أن الفكرة سخيفة إلى الحد الكافي، الذي يثبت أنها لن تسبب أي ضرر... هذا ما ظننته حينها!

بالطبع نمنا بعد أن حقننا (مجدي) بمهدئ خفيف، وطلب منا أن نحرق في شاشة كمبيوتر، وحين استيقظت مجدداً، كان الوضع قد اختلف بكثير..

كنت أقف في قسم الشرطة الذي أعمل فيه، وأنا أمسك ببندقية أسدها إلى بعض الرهائن، وفي الغرفة بجواري كانت جثث ضحاياي تنتظرنني..!!

نعم أيها السادة، لقد استيقظت لأجد نفسي قاتل ومحتجز رهائن، والأدهى من هذا أن هناك أسبوع كامل قد مرّ عليّ منذ أن نوّمت - الوغد - (مجدي) في عيادته، دون أن أذكر عن هذا الأسبوع شيئاً..

وبعد هروبي من القسم في هذه الليلة، كان عليّ أن أبدأ رحلة بحث شاقة وعنيفة لأعرف ما الذي فعلته... وهاك ما عرفته..

لقد طلقت زوجتي... لقد تركت عملي.. لقد قتلت صحفي وزوجته وطفليه.. لقد دمرت حياتي دون أن أفهم حتى لماذا؟!!  
ثم ظهرت (مايا) في الأحداث..

(مايا) كانت ممرضة الدكتور (مجدي) وكانت تليق بأن تكون مريضة عنده، لكنها كانت من ذلك الطراز من الأشخاص الذين يملكون حضوراً وتأثيراً، قد يغيرا مسار أحداث أي قصة.. وهذا ما فعلته هي دون تقصير..

لقد أجرى (مجدي) عليها تجربته هي أيضاً، وكانت تملك أول الخيط للبحث عنه، متمثل في بطاقة صغيرة، ووزير سابق، وقاتل يسعى خلفنا...

وكان هذا القاتل هو صديقنا المشترك (علي) بعد ما أجرى (مجدي) عله تجارب من نوع مختلف...

أذكر أنني فعلت الكثير والكثير في هذه القصة..

لقد قتلت (علي) دون أن أعرف أنه هو، وواجهت (مدحت) زميلي في العمل، وكدت أقتله هو الآخر لأهرب منه، واستطعت الحصول على خيط جديد من كمبيوتر (مجدي) في عيادته، إذ عثرت على البرنامج الذي استخدمه معي أنا و(علي)، وقررت (مايا) أن تخضع للبرنامج مرة أخرى، لتعرف هي الأخرى ما الذي فعلته، بعد ما أجرى عليها (مجدي) تجربته في الماضي..

ونفذت التجربة عليها، واستعادت هي ذلك الجزء المظلم من ذاكرتها، لتقودني إلى مقر (مجدي)، حيث كانت المواجهة الأخيرة..



وهناك توالى المفاجآت على نحو غير مسبوق... (مجدي) جزء من منظمة جديدة تسعى لتحطيم الأنظمة ونشر الفوضى، ولقد قام بإعادة برمجة عقول الكثيرين ليجمعوا له كمًّا غير محدود من المعلومات.. معلومات عن كل شيء وأي شيء..

وكل من يعملون لجمع هذه المعلومات لا يعرفون أي شيء عمَّا ما يفعلوه.. مجرد إرهاق بسيط في الصباح حين يستيقظون، وسيظنون أنهم لم يحظوا بالقدر الكافي من النوم..

وأنا و(علي) كنَّا جزء من هذا الكيان، بعد أن عبث (مجدي) بعقولنا، مطلقًا ما أسماه بالنصف المظلم. داخل كل إنسان.. ذلك الجزء الذي يحمل كل شرورنا، والذي لو أطلق سراحه، قد يتحول أي واحد منا إلى كابوس حقيقي... لكنه استغلني أنا و(علي)، في مهام من نوع مختلف لم نعرف عنها أي شيء حتى الآن، انتهت بإفريقي من التجربة، وبموت (علي) على يدي بعد أن كاد يقتلني أنا و(مايا)...

(مايا) التي اكتشفت أن دورها كان أسوأ من هذا كله بكثير...

كانت شريكته - غير الواعية - في هذا المخطط العجيب..

المهم.. انتهت الليلة، بموت (مايا) بين ذراعي بعد أن فشلت في تحقيق أمنيته الوحيدة التي طلبتها مني وهي ألا أتركهم يقتلوا، وهرب (مجدي)، وأصبحت أنا إصابة بالغة استيقظت بعدها لأعرف أن حياتي القديمة قد انتهت إلى الأبد...

صحيح أنني قتلت تحت تأثير التنويم المغناطيسي وبتجربة (مجدي) الرهيبة، لكن ما خسرت لم يعد من الممكن تعويضه، لذا عرضوا عليَّ تلك الصفة..

أن أذهب إلى (فرنسا) - المكان الذي يظنون أن (مجدي) قد هرب إليه - لأعمل في سفارة مصر هناك، كمسؤول للأمن، بهوية جديدة ودون أن يعرف أحد عن ماضيّ شيئاً.. وبالطبع وافقت.. كأنتي كنت أملك الخيار.. لكن هذا ليس كل ما حدث... هناك المزيد..

\*\*\*

اسمي الجديد هو (أكرم رشوان).. وهو اسم سخيّف ذو رنة قصصية مميزة. لكنه لم يكن اختياري على كل حال.. يبدو أن المخابرات هي الجهة المسؤولة عن نقلي إلى هنا.. من غيرهم يستخدم مثل هذه الأسماء؟

لقد انتقلت إلى السفارة المصرية في (فرنسا)، منذ شهرين لتنتهي حياتي في مصر إلى الأبد، ولم آسف كثيراً لهذا، فلا يوجد من سيفتقدني على كل حال..

لقد طلقت زوجتي حين كنت تأثّر تجربة (مجدي) - وهو الجميل الوحيد الذي أسداه لي في الواقع - ووالداي متوفيان منذ زمن، ولا يوجد من لديه استعداد لصداقة قاتل، أصبح لا يملك كل ذكرياته.. لكن عملية الانتقال ذاتها لم تكن بهذه البساطة..

هناك الإجراءات القانونية، وعملية صناعة ماضي منمق لهذا الـ (أكرم رشوان)، ثم جاء دور تعلم اللغة الفرنسية، وهي لم تكن عملية صعبة.. في الواقع لم تكن مشكلة تعلم أي شيء جديد صعبة بالنسبة لي...

لقد أطلقت تجربة (مجدي) طاقات جديدة في عقلي وجسدي، لا

أعتقد أنني سأتعرف عليها كلها في وقت قصير، لكن هاك ما اكتشفته حتى الآن..

لقد أصبحت خارق الفهم، أستطيع تعلم لغة مثل الفرنسية وإلى درجة الإتقان في شهر واحد فقط، وأصبحت قدرتي على التركيز مبهرة، حتى أنني أستطيع القيام بخمس أعمال في الوقت ذاته، والجزء الممتع في الموضوع هو أن جسدي أصبح أكثر قوة ومرونة وكأنني أعرف مكان كل عضلة في جسمي وأجيد السيطرة عليها تمامًا، لكن لم تأت أي فرصة لتجربة هذه القدرات في مواجهة مباشرة حتى الآن.. لكنها ستأتي حتمًا..

فهذا هو سبب إرسالني إلى (فرنسا) في المقام الأول.. البحث عن (مجدي)...

لسبب ما يعتقدون أنه جاء إلى (فرنسا)، لكنهم لم يخبروني بالتفاصيل كلها.. وعلى الرغم أنهم قاموا باستجوابي وإخضاعني لكل أنواع تجارب التنويم المغناطيسي - ومنها تجربة (مجدي) ذاته بعد أن حصلوا على برنامجهم - إلا أنهم لم يحصلوا مني على شيء مفيد عن الفترة التي قضيتها مع (مجدي) حين كنت تحت تأثير تجربته، التي انتهت بكارثة قسم الشرطة..

سيظل هذا الأسبوع من حياتي مجهولاً إلى الأبد..

لكن لا بأس.. سأبحث عنه كل ليلة وكل لحظة ومع كل نفس يتردد في صدري..

الانتقام هو الدافع الوحيد الذي يحركني، وإن لم يكن من أجلني، أو من أجل ضحاياي، فليكن من أجلها هي..  
(مايا) ..

لكم أفتقدها... ولكم أحتاج إليها الآن..

لا.. لم يكن حباً أفلاطونياً، لكنها كانت - وفي أخطر مراحل حياتي - أقرب الناس إليّ، وأكثر من احتاج لمساعدتي دون أن أستطع أن أقدم لها شيئاً..

لكن هذا أيضاً ليس كل شيء، ف (باريس) مكان جميل لتحيا فيه، وقادر على إلهائك عن ذاتك نفسها، لولا بضعة أشياء حدثت، لم تكن في الحسبان...

نعم.. هناك المزيد من الأشياء التي حدثت، لكن دعني أعرفك على حياتي في بلد النور والجمال كما يسمونها..

\*\*\*

عملي في السفارة هو الهراء ذاته..

كل المطلوب مني هو أن أقف في عدة أماكن وفق جدول زمني رتيب، والتدخل في حالات الطوارئ التي لم تأت حتى الآن.. ولن تأتي إلا لو قررت أنا تفجير نفسي قتلاً للوقت!!

التغيير الوحيد الذي كنت أحصل عليه، كان يحدث حين أرافق السفير المصري (صلاح الغريب) في زيارته الخارجية لبعض المسؤولين، ولعقد بعض الاتفاقيات، وكل هذه الأمور الرسمية التي لا أحسب أن أحداً سيهتم بفهمها..

السيد (صلاح) كان يعرف قصتي بالطبع، مما ولد نوع من الألفة بيننا، أضف إلى هذا أن الرجل لم يتزوج قط، وبالتالي لا أبناء له، ويبدو أن استراح لفكرة أن ينصب نفسه والدًا لي، يقربني منه بلا تحفظ، وينظر إليّ بنظرته الأبوية، وهو يسألني عن أحوالي كل ليلة حين تجمعنا استراحة السفارة..

صحيح أنني كنت أفضل أن أحتفظ بوحدي المقدسة، لكن هذا الرجل يستحق استثناءً خاصاً به، فهو ممتع طالما لا يحمل هموم العمل على كتفيه، ولا يتأخر في مد يد العون إليّ إن احتجت إليه...

لم يكن لي احتكاك بباقي موظفي السفارة، وكان قربي من السفير، يجعلهم يظنون أنني أتكبر عليهم، مما دفعهم لتجنبي هم أيضاً، وهكذا تحققت لي الصفقة التي كنت أريدها..

العمل يستمر منذ الساعات الأولى للصبح وينتهي في الثامنة مساءً، بعدها يمكنني أن أتجول في (باريس) ما شئت، والمدينة - والحق يقال - جنة حقيقية في الليل..

لست من هواة الجمال والمتاحف والمناطق الأثرية، بل أنني حتى لم أفكر في زيارة المتحف المصري. حين كنت في مصر ولول مرة واحدة، لكن (باريس) مدينة جميلة حقاً..

ثمة سحر تمتلكه بعض المدن.. شيء في الهواء ذاته.. شيء لا يمكن وصفه..

لكنه شيء قادر على مساعدتك على نسيان همومك ولول لفترة، وأنا لم أجد هذا الشيء إلا في الإسكندرية وهنا في (باريس)..  
لكن الحياة لا تكتمل بدون منغص، وكان هذا المنغص امرأة اسمها

..(لارا)

\*\*\*

(لارا) هي طبيبتي النفسية، التي اختاروها لتواصل رحلة انتزاع المعلومات من رأسي، وهي طبيبة نفسية خبيرة، حائزة على شهادات دولية تثبت أنها تفهم ما الذي تقوله بالضبط، حتى لو بدا ما تقوله مجنوناً غير منطقياً لغير المتخصصين..

(لارا) لها مهمة واحدة مدفوعة الأجر، وهي أن تُحيل حياتي إلى

جحيم!!

مرتين في الأسبوع أذهب إليها، لتبدأ هي في جلسات النفسية، التي لا تكف فيها عن ترديد جملة (أرجوك تذكر.. أنت تعرف ما حدث، لكن عقلك يعرف أنك خائف من معرفة الحقيقة)..

وفي كل مرة أذهب إليها، نصل إلى ذات النتيجة... لا شيء!  
أنا لا أذكر شيء عن الأسبوع الذي قضيته مع (مجدي)، ولست خائفاً من معرفة ما حدث - لا يوجد ما هو أسوأ مما أعرفه حتى الآن - لكن لا يوجد شيء في ذاكرتي عن هذه الفترة...  
هناك ثقب أسود كما تسميه (لارا)، يلتهم هذا الجزء من ذكرياتي..

واليوم أنا ذاهب إليها، لنحاول للمرة الألف، اقتحام هذا الثقب والعودة منه سالمين..

\*\*\*

أنهيت عملي في السفارة في تمام السابعة، لأرتدي معطفي الجلدي الأسود، ثم اتجهت إلى شوارع (باريس) الباردة الفاتية، متجهاً إلى عيادة (لارا)..

بصورة أو بأخرى أستطيع أن أزعم أن ما حدث لي لم يكن السوء المطلق، وأنه كان يحمل بعض النقاط الإيجابية.. فلولا ما حدث، لكنت الآن لا زلت متزوجاً، أعود من عملي في القسم مع ثلة الأوغاد، وأبحث الآن عن ثغر لأوقف فيه سيارتي.. أما الآن أنا في شوارع (باريس) التي لا تتوقف فيها الحياة لحظة، أمامي بضعة ساعات من السخف، وبعد هذا

الليل لي أفعل فيه ما يحلو لي..

استغرق مني الطريق نصف ساعة من السير، حتى وصلت للبناية التي تحوي عيادة الدكتورة (لارا)، وانتظرت حتى قاربت الساعة الثامنة إلا الربع، قبل أن أبدأ في صعود الدرج..

الفرنسيون ليسوا قومًا ودودين إلى هذه الدرجة التي يظهرون بها في الأفلام، ولا يطبقون من يأتي قبل ميعاده ولو بدقيقة، ويعتبرون هذا نوع من قلة الذوق.. لذا كان عليّ الانتظار في الممر أمام عيادة الدكتورة (لارا) حتى دقت الساعة تمام الثامنة لأدخل إلى عيادتها.. و.. وأنتم تعرفون أنني أهوى منح النصائح المجانية، لذا هاكم نصيحة مجانية أخرى..

أي شيء تراه في الأفلام الفرنسية هو محض هراء... فالنساء في (فرنسا) لسن بهذه الفتنة التي يظهرن بها على شاشات السينما، إلا لو كانوا قد انتقوا لي الدكتورة (لارا) خصيلًا من وسط كل النساء في (فرنسا)...

بدينة هي (لارا)، تلك البدانة التي تجعلك تخشى أن تصطدم بك وهي تحرك محيط جسدها الهائل، وإلا سحقتك تمامًا... وهي تحمل على رأسها شعر أسود منكوش، وترتدي منظار طبي صغير جدًا، من باب الأناقة، تبدو عيناها من خلفه تحدقان فيك، بثبات يجمد الدم في عروقك، والمفروض مع هذا كله أن تشعر أمامها بالأمان إلى الحد الكافي، لتمارس هي مهنتها كطبيبة نفسية!!

المفروض أن أجلس أمام هذه المخلوقة، مرتين في الأسبوع، لأتذكر ما الذي فعلته مع (مجدي)، لكن ما يحدث كل مرة هو أنني لا أتذكر سوى أهوال الحرب العالمية الثانية، وبعض الكوارث الطبيعية الأخرى التي يتعذب فيها الضحايا قبل أن يموتوا ميتة شنيعة..

دخلت عليها فابتسمت هي ابتسامتها الروتينية التي تمنحها للجميع  
بلا مقابل، وأشارت إلي بالجلوس، قائلة:

- مسيو (أكرم) .. أم تفضل أن أناديك مسيو (سامي) ..
- مسيو (أكرم) من فضلك، فلم أعد أمتّ لـ (سامي) بصلة ..
- خطأ ... مهمتنا هنا أن نتذكر ما الذي فعلته حين كنت (سامي) ..
- لا تنس هذا ..
- لنبدأ إذن ..

تبعتها إلى الشيزلونج المعتاد، وشغلت هي بعض الموسيقى الفرنسية  
التي تقطر عذوبة، ثم قربت وجهها من وجهي، لتلفحني بأنفاسها  
المفعمة برائحة الكحول، قائلة:

- حاول أن تسترخي ... أغمض عينك. واطرد جميع الأفكار من  
رأسك ..

- أغمضت عيني، حتى لا أنفجر في البكاء، وواصلت هي:
- والآن حاول أن تعد بذاكرتك إلى الوراء ... أن تتذكر ... أنت  
(سامي) وها هو مسيو (مجدي) يقف معك .. هل ترى أين تقفان؟
- في جهنم!

- عظيم ... ركّز أكثر وستتمكن من وصف جهنم هذه لنا .. هذا هو  
المطلوب

- أنا في أقصى درجات تركيزي ..
- حاول أكثر ..

والحقيقة هي أنني كنت أحاول حقاً ... كنت أعصر رأسي بحثاً عن  
أي ذكرى تمت للأسبوع الذي قضيته مع (مجدي) بصلة .. لكنني كنت  
عاجز تماماً عن الحصول على طرف أي خيط ..



أقصى ما أستطيع الوصول إليه ه وأن أراه يقف أمامي مبتسماً بانتصار، وهي يرتدي معطفه الطبي الأبيض، والخلفية من خلفه ومن حوله بيضاء تماماً..

وكانت هذه الصورة تصيبني بالغضب الكافي لأفقد تركيزي على الفور..

يجب أن أتذكر... يجب... أريد أن أنتهي من هذا العذاب.. أريد أن أنتقم... أريد أن أتخلص من أنفاس الكحول هذه!! وبعد عشر دقائق كاملة، هزرت رأسي لأقول في أسف:  
- لا شيء..

مطت (لارا) شفيتها، كأنما كانت تتوقع هذا، وقامت من مكانها وهي تقول:

- حسناً.. لم أكن أريد أن أُلجأ إلى هذا الحل.. لكن يبدو أننا لا نملك سواه..

- أي حل؟!

- التنويم المغناطيسي..

- لقد جربوا معي كل الطرق...

- لكنهم لم يجربوا طريقتي...

قالتها، ثم غابت في الغرفة المجاورة للحظة، قبل أن تعود وهي تحمل محقن يحوي سائل شفاف، أخذت تفرغ الهواء منه بهدوء، وهي تقول:  
- اكشف لي ذراعك من فضلك..

شعرت بنوع من القلق، يتحرك داخلي، وأنا أنظر إلى هذا المحقن، متذكراً تجربة (مجدي) التي أجراها عليّ، لأقول:

- ما هذا؟!

- مهدئ.. سيساعدك على الاسترخاء..  
 - تمامًا كما قال لي (مجدي) حين أجرى تجربته..  
 - لا تقلق، والآن...  
 وببساطة تامة، دست المحقن في ذراعي، لأشعر بتلك الوخزة  
 القصيرة، ثم بالسائل البارد، يقتحم وريدي، ثم...  
 ثم بدأ الخدر يغزو ذراعي، يبطء أولاً، ثم انتشر في حسدي كله...  
 ومن بعيد أتي صوت (لارا)، يقول:  
 - أنت الآن في حالة استرخاء تامة، كل ما أطلبه منك، هو أن تغلق  
 عينيك، لكن لا تستسلم للنوم مهما كان السبب... كل ما ستفكر فيه الآن  
 هو(مجدي).. أنت معه الآن، ولو استسلمت للنوم سيقظتك، لذا يجب أن  
 تقاوم النعاس الذي تشعر به..  
 كنت بالفعل أشعر بنعاس عجيب يجذبني إليه ببطء واثق، لكنني  
 حاولت الاحتفاظ بقدرتي على التركيز، وأخذت أتخيل نفسي أقف مع  
 (مجدي) في عيادته، و... و...  
 وبدأ شعور قديم يستيقظ في أعماقي...  
 شعور بالسقوط، والضوء المبهر يغمرنني من كل اتجاه، على نحو  
 أغشى عيني...  
 تمامًا كما حدث لي حين أجرى (مجدي) تجربته علي...  
 (مجدي)... أنا أراه الآن في وقفته المستفزة، ينظر إليّ مبتسمًا  
 ببرود...  
 أراه وأسقط أكثر...  
 ثم أراها... (مايا)... تنفث دخان سيجارتها، فيتخذ الدخان

أشكال عجيبة تحلق حولي، وأنا أستمر في سقوطي اللانهائي، ثم تتبدد الأشكال، ويتبدد الضوء...

ثم أرى ذلك الحلم العجيب الذي كان يراودني منذ التجربة... قاعة ينحني فيها طيف رجل على جثة رجل ملقاة على أرض القاعة... لسبب ما أشعر أن لهذا الحلم أهمية خاصة. لكني لا أستطيع أن أحدد كيف..

من هذا الرجل؟؟ ومن هذه الجثة؟؟ وأين هذه القاعة؟؟  
أسئلة كثيرة لا إجابة لها كالعتاد. ولم ينقذني منها سوى يد الدكتورة (لارا) الغليظة، إذ أخذت تهزني بعنف، وهي تقول:  
- مسيو (سامي).. استيقظ... أنا لا أملك الليل بطوله..  
فتحت عيني بصعوبة، لتطالعني هي بوجهها السمع، وهي تسأل:  
- هل تذكرت شيئاً؟  
- لا.. لا..

- لا بأس.. سنواصل في المرة القادمة..  
هزرت رأسي موافقاً، ثم تحاملت على نفسي، لأغادر المكان بخطوات غير متزنة، وصوت (لارا) يدوي من خلفي:  
- مسيو (سامي).. سأنتظرك..  
لكني لم أقف على الرد، بل واصلت طريقي إلى خارج المبنى، لتستقبلني (باريس)، بليلها البارد..  
يجب أن تنتهي هذه المأساة.. يجب..

لكن كيف؟؟

هذا هو السؤال..

\*\*\*

حين عدت إلى السفارة، كان عقارب الساعة تشير إلى بعد منتصف الليل بقليل. وكان مبنى السفارة من الداخل شبه خاليًا، وقد استبدلت الأضواء الساطعة، بإضاءة خافتة مريحة للعين، فاتجهت إلى الاستراحة، وأنا أشعر بإنهاك عجيب..

وبالطبع وجدت السيد (صلاح) هناك، كماداته يحتسي فنجان من القهوة - التي تساعد على النوم كما يقول - ويقرأ في كتاب ضخمة، وما إن رأيته، حتى أشار إليّ بالجلوس قائلاً:  
- عدت أخيراً... تعال..

ألقيت بجسدي المنهك على الأريكة أمامه، فترك هو الكتاب، ومال عليّ ليسألني بصوته الهادئ:

- هل ذهبت إلى الجلسة مع الدكتورة (لارا)؟  
أومأت برأسي إيجاباً، فربت هو على ركبتي، قائلاً:  
- أدرك صعوبة الأمر عليك.. لكن لا بأس.. سينتهي هذا كله في يوم ما..

- هذا لو ظلت حياً حتى يأتي هذا اليوم..  
- لقد عانيت أكثر مما ينبغي، وهذا لا يعني إلا شيء واحد، أن القدر قد اختارك لشيء ما، وأنه يعذك لهذا الشيء بكل ما تمر به..  
- هل لي أن أسألك شيئاً؟  
- بالتأكيد..

- ألا توجد طبيعة نفسية أكثر أنوثة من (لارا) هذه؟  
انفجر السيد (صلاح) في الضحك. وقام ليربت على رأسي، قائلاً:  
- ألم أقل لك أنك شقي؟... لا ترهق نفسك بالسهر، فسأحتاج إليك غداً.. سنذهب إلى غداء عمل..

- أين؟

- في (ماكسيم) يا فتى... أشهر مطعم في (باريس) على الإطلاق..  
لكوني سفير، مميزات كما تعلم..

ثم إنه لوح بيده، وغادر الاستراحة، لأبقى أنا وحدي مجدداً...  
لو كان القدر قد انتخبني لشيء ما كما يقول، فمتى يأتي هذا  
الشيء؟

لا يهم ما هو هذا الشيء، فلا يوجد ما هو أسوأ مما أنا فيه الآن،  
المهم أن أرتاح...  
المهم أن أجد إجابات لأسئلتني...  
المهم أن....

\*\*\*

استيقظت في اليوم التالي مع الساعات الأولى للصباح، لأتناول  
فطوراً فرنسياً من القهوة الفرنسية الشهيرة، وقطع (لكرواسون)  
التي لا تمت بصلة لذلك الهراء الذي كنت أتناوله في مصر... هنا بلد  
(الكرواسون) الأصلي، والمجدل (فرنسا) !  
بعد ذلك بدأت أمارس عملي الجديد، في التنقل من مكان لآخر  
داخل السفارة، دون أن أقدم خدمة لأحد، أو أن أكون ذو فائدة حقيقية  
لأحد..

وفي الثانية عشرة ظهرًا، طلبني السيد (صلاح) لأستعد لرحلتنا إلى  
(ماكسيم) أشهر مطاعم (فرنسا) على الإطلاق.. سيجتمع هو وبعض  
السادة الفرنسيين لعقد سلسلة من الاتفاقيات، التي يهز الجميع فيها  
رأسهم بامتنان، دون أن يصلوا إلى شيء مهم، ثم ينهون عملهم بوعد  
بغذاء جديد في مطعم آخر..

كل المطلوب مني أن أجلس على مقربة من السفير، تحسباً لأي طارئ، وسأتناول غذاء فاحشاً على نفقة السفارة، ثم أعود لأمارس حماقتي المهنية، في السفارة من جديد..

استعددت بأن ارتديت أبهى حلة أمتلكها، وأخذت أنتظر في سيارة السفارة، حتى وصل السيد (صلاح)، الذي لم يكذبني بهذه الأناقة، حتى قال مبتسماً:

- (أكرم).. إذن فلقد قررت أن تستغل الفرصة للتعرف على حسناوات

- أتعرف على فتاة تتناول طعامها في ماكسيم؟ أنا لم آتي هنا لاستثمار ثرواتي كما تعلم..

- ولم لا؟ هنا لا يوجد ذلك السخف المتعلق بالماديات..

وتحركت بنا السيارة لتجوب شوارع (باريس). متجهة إلى المطعم، وأخذت أنا أرمق الشوارع والمنازل والمارة، مستسلماً لحالة من الشرود..

ورغماً عني تذكرت زوجتي....

المرأة التي جعلتني أدرك أن السخف المتعلق بالماديات، قد يكون مهماً بحق...

من الغريب أن تكون مطلقاً من امرأة، لا تذكر حتى لماذا تزوجتها... وهنا تأتي نصيحة جديدة مجانية أمنحها لك...

لا تتزوج!!

ثم حدث ما جعلني أنتفض من حالة الشرود التي كنت فيها، وجعل قلبي يخفق بأضعاف سرعته الطبيعية..

فلقد رأيته...

رأيت (مجدي)!!!!!!

\*\*\*

كان يقف هناك...

كان يقف أمام متجر صغير لبيع الصحف. يقلب في صفحات أحد المجلات، بهدوء حين رأيته ورآني، ليأخذ أغرب ردة فعل ممكنة..  
ابتسم...!!!!... الوغد الحقيق كان يبتسم، قبل أن يلقي بالمجلة التي في يده، ليختفي عند الناصية التي يقف بالقرب منها، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ في السائق ليتوقف، بينما انتابت الدهشة السيد (صلاح) الذي هتف:

- (أكرم).. ما الذي حدث؟!

لكني لم أجبه، بل انتهزت لحظة توقف السائق، لأقفز من السيارة، متجاهلاً أبواق السيارات التي أخذت أجري أمامها كالمجنون، لتغطي على هتاف السيد (صلاح) من خلفي..  
إنه هو... هو... هو..  
(مجدي) ..

أخذت أتقافز بين السيارات التي بدأ سائقها في إمطاري بالسباب الفرنسي المذهب، حتى وصلت إلى الناصية التي اختفى عندها (مجدي). فرأيت في نهاية الشارع يستعد لركوب سيارته بتمهل شديد، كأنه كان ينترني حتى أراه.. وما إن رآني حتى لَوَّح إليّ بيده كأنه يودعني، ثم انطلق بسيارته، بينما أنا ألهث بعنف وأنا أجري بأقصى سرعتي تجاهه..

إنه هو.. هو.. وسيهرب مني مجدداً!!!

من المستحيل أن أهاجم على أحد السيارات لأنزع قائدها من مكانه، ولأبدأ في مطاردة (مجدي) في شوارع (باريس) كأننا في قصة بوليسية، دون أن أجلب نصف شرطة (باريس) خلفي، لذا فلا يوجد أمامي سوى فرصة أن يتوقف (مجدي) أو يهديء من سرعته، في هذا الزحام، وهذا يعني أنه عليّ ألا أتوقف عن العدو مهما كان السبب..

يجب أن تساعدني قدراتي هذه المرة... يجب..

كيف ظهر؟.. إن الأمر يبدو كأنه كان ينتظرني، فأنا لم أعتد الصدف السعيدة من هذا النوع، لكن كيف ولماذا؟!

كيف عرف أنني سأراه، ولماذا ظهر أمامي بهذه الصورة؟!!!

إنه يعرف أنني هنا إذن..

يجب أن أواصل يجب أن أحتمل..

السيارة تبتعد أمامي. وقد خلا الشارع أمام (مجدي) بمعجزة، ليزيد من سرعته أكثر فأكثر، بينما أخذت سرعتي أنا تتباطأ تدريجياً، وأن أشعر بعضلات ساقي تكاد تتمزق..

وأخذت المسافة بيننا تتزايد، وأخذت أنا أشعر بالدماء تتصاعد إلى رأسي، وقد تحول لهائي إلى ما يشبه شهيق الغريق حين ترتفع رأسه لثانية فوق سطح الماء، قبل أن يعاود الغرق..

وفي النهاية - وأياً كانت القدرات التي كنت أوقعها - انهار جسدي على الأرض، لأسقط على ركبتي، وأنا أضع يدي على صدري، أجاهد لأتنفس، وقد بدأ خفقان قلبي يدوي في رأسي كالطبول..

لقد فشلت وهرب (مجدي)... هذه هي الحقيقة التي يجب أن أعايش معها في الفترة القادمة.



لكنني سأراه مجدداً.. أشعر أن هذا سيحدث.. المهم الآن أن أحاول الوقوف و..

"(أكرم)... ما الذي حدث؟"

أتاني صوت السيد (صلاح) فالتفت لأجد سيارته تقف جوارى، وقد خرج هو منها محاولاً السيطرة على أعصابه... على الأقل ناداني (أكرم) أمام السائق!

كنت ألث بشدة فخرجت إجابتي، على أجزاء:

- (مجدي)... رأيته.. هرب..

- ماذا تقول؟!!

- رأيت (مجدي) ..

- حسناً.. تماسك وادخل معي السيارة، وستحدث فيما بعد.. إننا

نلفت الأنظار إلينا بهذه الصورة..

- ولكن..

- سنذهب إلى المطعم كما خططنا، وستترك موضوع (مجدي)

للمساء... هيا..

وهكذا تبعته صاغراً عائدين إلى العربية لنواصل طريقنا.. أنا أتفهم

موقفه على كل حال.. إنه السفير، ولا يليق به أن يتورط فيما يحدث...

لقد رأيت (مجدي) اليوم...

وهذا يعني أنني في الطريق الصحيح..

\*\*\*

للأسف لم تنته أحداث هذا اليوم عند هذا الحد...

كنت في مطعم (ماكسيم) أجلس على تلك المائدة في الزاوية، قرب

نافذة المطعم، في انتظار السيد (صلاح) الذي انهمك في حديث هامس مع مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين. بينما أخذت أنا أحرق في غذائي الفرنسي، المكون من أشياء، أقسم أنني لا أعرف عنها شيء... لست أفهم هذه المطاعم الفخمة على الإطلاق... إنهم يطلبون منك أخذ موعد قبل المجيء بأيام، ثم أن تأتي بملابس رسمية كاملة، كأن رئيس وزراء (فرنسا) هو الذي سيقدم لك الطعام، ثم في النهاية يضعون أمامك طبقاً عليه قطعة أو قطعتان من أشياء لا يمكنك التعرف عليها، إلا لو كنت خبيراً، وكل هذه المتع بأسعار خرافية!!

لم أكن على استعداد لتناول أي طعام، وأنا منهمك في التفكير بشأن ما حدث اليوم، لذا أخذت أعبث في طبقي بالشوكة، وأنا أضع تصورات عديدة للموقف..

(مجدي) هنا كما توقعوا... عظيم... لكن لماذا؟؟

لماذا (فرنسا)؟؟... ما هي خطواته التالية؟؟

هل هنا مقر منظمته العجيبة هذه.. منظمة الفوضى؟؟

ولماذا لم يبد أنه يخشى مواجهتي إلى هذا الحد؟

هذا السؤال بالذات كان يثير خوفي.. بالمنطق.. لو كنت أنا قد اكتسبت هذه القدرات من تجربته عليّ، فأني قدرات قد يمتلكها هو؟؟

وهل هناك آخرون؟؟... هنا في (فرنسا)؟؟

هل تعمل المنظمة الآن في الخفاء، لتعد للعالم مفاجأة جديدة؟؟

كنت غارقاً في هذه الأسئلة، أبحث عن جواب لأي منها. معتصراً ذاكرتي قدر الإمكان، عليّ أتذكر شيئاً عن تلك الفترة المظلمة في حياتي. حين رأيت ذلك الرجل عبر النافذة متجهاً إلى المطعم..

كان عجوزاً أشيب الشعر، ويبدو من خطواته المتثاقلة، وتلك العصا

التي يستند عليها أنه ليس في أتم صحة.. لكن عينيه كانتا تعكسان  
حزماً وقوة لا يتماشيان مع جسده، كأنه لواء متقاعد، رأى ما يكفيه من  
الأحوال، ولم يعد هناك ما يهمه..

كان يدق الأرض بعصاه العاجية وهو يتجه إلى مدخل الطعم،  
ليستقبله ثلاث من الخدم، هلّوا قائلين:

- مسيو (فرانسوا)... مرحباً بعودتك..

لم يجبههم (فرانسوا)، بل ترك الخدم ينزعون عنه معطفه، ثم تولى  
أحدهم إرشاده إلى طاولة أجلسه عليها باحترام بالغ، ثم وقف أمامه  
بأدب، حتى تكرم عليه مسيو (فرانسوا) ليقول:

- كالمعتاد..

- كما تأمر مسيو (فرانسوا)..

وابتعد الخادم بخطوات سريعة، ليحضر هذا (المعتاد)... إنه زبون  
مستديم إذن..

لست أدري بالضبط ما الذي دفعني إلى مراقبته، لكن شيء ما في  
وجهه، كان يدفعني إلى مراقبته بدقة.. ربما هي تلك النظرة العجيبة  
التي أراها في عينيه، لكن لا يهم.. فلا يوجد ما أفعله هنا على كل  
حال..

وهكذا أخذت أراقبه خلسة، حتى جاء كبير طهاة المطعم شخصياً،  
ليضع أطباقاً، تحمل أجسام مجهولة على أنها طعام، وأخذ يوزع هذه  
الأطباق على المائدة بمهارة وسرعة، وهو يردد عبارات الترحيب، التي  
تجاهلها (فرانسوا) تماماً، بل ظلّ محتفظاً بصمته إلى أن تركه كبير  
الطهاة في حاله، فتناول شوكة وسكين، وأخذ يشق طريقه عبر المائدة،  
راشفاً من كوب الخمر على يمينه، من حين إلى آخر..

صحيح أنه رفع عينيه إليّ مرة أو مرتين، ورآني أراقبه، إلا أنه لم يلق إليّ بالاً. بل استمر في تناول طعامه، وانتهى منه، ثم أخرج غليوناً صغيراً من جيبه، وبدأ في إشعاله، رغم قوانين المكان الصريحة بمنع التدخين..

هذا الرجل ذو نفوذ صريح، وأصحاب النفوذ يتشابهون في كل شيء، حتى أنني لن أستغرب لوجاء صاحب المطعم شخصياً ليعرض عليه أنواع تبغ مختلفة لغليونه... لهذا لم يهتم هو بمراقبتي له.. إنني بالنسبة له لا أشكل أي تهديد، ولن يضيره أن تحرق حشرة مثلي فيه طالما لن أزعجه بتعامل مباشر...

انتهى الكونت (فرانسو) - كما قررت أن أسميه - من تعكير سماء المطعم، فأعاد الغليون بعد إفراغه إلى جيبه، ونهض وقد وضع حفنة من الأوراق المالية على الطاولة، دون أن ينتظر حتى أن يأتي إليه أحد، ثم اتجه نحوي!!

نعم نحوي... بالطبع ارتبكت أنا مع هذا التصرف المفاجئ، وأشحت بنظري عنه كأنني لم أكن أراقبه طيلة الوقت، بينما أخذ هو يدق الأرض بعصاه العاجية متجهاً نحوي، حتى أصبح أمام الطاولة، ليضع يده في جيبه، فتحفزت أنا، مستعداً للأسوأ، لكنه أخرج بطاقة صغيرة، وضعها على الطاولة، دون أن ينطق بحرف، قبل أن يدق الأرض بعصاه مبتعداً!!!

هنا أخذت أصدق فيه ذاهلاً، وهو يغادر المطعم، دون أن ينظر إليّ كأن شيئاً لم يحدث. ثم مددت يدي لأتناول البطاقة الصغيرة التي لم تكن تحمل سوى رقم هاتف وكلمة واحدة...

( اتصل... )!!!

مهلاً... اتصل ١٩٩... هذا الرجل يعرفني!!!  
هذا الرجل يعرفني... أنا لا أعرفه... هذا يعني أن التعارف حدث  
في الفترة التي كنت فيها تحت تأثير التجربة... هذا الرجل قد يحل لي  
اللفز...

هذا الرجل رحل!!!... غادر المطعم، ولم يعد بالإمكان أن ألحق به...  
لكن لا بأس. فلقد ترك طرف خيط لأجذبه... رقم هاتف - يبدو أنه  
رقم هاتفه المحمول - وكلمة واحدة صريحة..  
اتصل... وهذا ما سأفعله بالتأكيد...

\*\*\*

"حسنًا... نحن في انتظار المعلومات.."  
قالها السيد (صلاح). ثم استرخى في كرسيه، وشبك أصابعه خلف  
رأسه، ليقول:

- أنت متأكد أنه كان (مجدي)؟  
أجبت أنا وأنا أذرع مكتبه جيئةً وذهابًا، بخطوات عصبية:  
- نعم هو... أنا صديق طفولته ويمكنني أن أتعرف عليه جيدًا... ولو  
لم يكن هو، فلماذا هرب حين رأيته؟  
- أريد فقط ألا أترك مجالاً للخطأ... حسنًا.. وماذا عن ذلك  
الفرنسي؟

- كما قلت لك.. لقد ترك لي رقم هاتفه، ولا بد أنه ينتظر اتصالي،  
لكنني قررت عرض الموقف عليك أولاً..  
- خيرًا فعلت، فلا نريد أي تصرفات متهورة بعد ما فعلته اليوم..  
لقد أرسلت رقم التليفون لرجالنا، وسنحصل على كل المعلومات المتاحة

عن هذا الرجل بعد قليل..

وهكذا عدنا، يغلفنا الصمت والترقب، ننتظر الفاكس الذي سيحمل إجابات لبعض الأسئلة التي لا تنتهي..  
سمعنا طرقات على باب مكتب السيد (صلاح) حيث كنا نجلس،  
فهتف:

- ادخل..

دخل علينا مسئول العلاقات العامة، وقد بدا عليه التوتر والانفعال،  
كأنما قد خرج لتوه من معركة، وأخذ يقول:  
- سيد (صلاح)... هناك امرأة فرنسية ترغب في مقابلتك...  
حاولت منعها، لكنها ثارت وأخذت تصيح بغضب أن الأمر غير قابل  
للتأجيل.. ولست أدري ما الذي يجب عليّ فعله..  
- دعها تأتي... لنرى ما الذي تريده..  
- كما تأمر يا سيد (صلاح)..

ثم إنه خرج ليغيب بضع دقائق، عاد بعدها ومعه حذاء فرنسية،  
بدت الثورة واضحة في ملامحها الجميلة، وهي تنظر لمسئول العلاقات  
العامة بحقد، بينما أشار لها السيد (صلاح) بالدخول، وهو يقول  
بهدوء:

- تقضي يا آنستي..

أجابته الحذاء الفرنسية بسرعة:

- لست آنسة... ولقد جئت من أجل هذا الرجل..

ثم إنها - وكأن هذه الليلة لا تريد أن تنتهي - أشارت إليّ، قائلة:

- لقد تبعتك إلى هنا... لست أعرف ما الذي تفعله هنا، لكني لم  
أخش كونك في سفارة..

كنت أنا قد ارتسمت إمارات الذهول على ملامحي كأوضح ما يكون، فلم أنطق بحرف، بينما قال السيد (صلاح) وقد أخذته الدهشة:

- هل تعرفين هذا الرجل؟

- نعم أعرفه... إنه زوجي..

—————

\*\*\*





## الفصل الثاني

# أشياء تحدث!



أنا الآن أتمدّد على الشيزلونج، في عيادة الدكتور (لارا)، أستمع إلى الموسيقى المعتادة، وأرتجف...

وكانت هي تفرك جبهتها بعصبية، وهي تجلس جوارى، عاجزة عن النطق، وقد وصلت إلى المرحلة، التي أدركت فيها أن ترديد عبارات المواساة والتشجيع لن تجدي نفعاً، وأنها ستضطر لممارسة عمل حقيقي أخيراً...

تتهتد بأسى، ثم سألتني:

- إذن فلقد رأك رجل لم تراه أنت من قبل، في المطعم، ومنحك رقم هاتفه، لتتصل به كأنه يعرفك، ثم جاءت هذه المرأة التي تدعي أنها زوجتك إلى السفارة... عظيم... هل لي أن أفهم ما الذي يحدث هنا؟!!

- ظننت أن هذا دورك أنت... أنا هنا للحصول على إجابات..  
- وأنا لا أملك هذه الإجابات.. أنت من يملكها، في ذلك الجزء المظلم من ذاكرتك، ومسئوليتك أن تساعدني على إنارة هذا الجزء..  
اقترحتي على الفور:

- لنجرب التنويم المغناطيسي مرة أخرى..

فأجابتنني:

- لم نعد بحاجة إلى هذا الآن... هذه المرأة التي تدعي أنها زوجتك..

لو كانت كذلك حقاً، فهي قد تكون مصدر عون كبير بالنسبة لنا، أين هي الآن؟!!

استرخيت في الشيزلونج أكثر وأكثر، لأجيب:

- لن تصدقيني لو أخبرتك...!

\*\*\*

- إنه زوجي

قالتها الحسنة الفرنسية، فساد الصمت البليغ على المكان، وقد شعرت أنا برغبة عارمة لأفقد الوعي على الفور، بينما تدلى فك السيد (صلاح) بذهول، لم يستطع مقاومته، وهو يردد خلفها بصورة آلية:

- زوجته؟!!

- نعم زوجته... وأنا هنا للحصول على الطلاق... تماماً كما اتفقنا..

زوجتي!!... تريد الطلاق؟!!!!

ما أريده الآن هو أن أفقد الوعي - أو الحياة.. لا فارق!!- وأن أستيقظ، لأجد أن البشر قد اختفوا تماماً من على سطح الأرض، وبلا رجعة!!

لكن الحسنة الفرنسية، قالت الكلمة السحرية، التي جعلتني أحتفظ بوعيي، وجعلت السيد (صلاح) يهب من مكانه، بكل انفعال:

- نعم زوجي... أأست (سامي) صديق الدكتور (مجدي).. دكتور الطب النفسي؟!!

هتف السيد (صلاح):

- تعرفين الدكتور (مجدي)؟!!

- نعم.. إنه من زوجنا، حين كنت في مصر، و..

- أين هو؟

- لست أعرف...

بدا نوع من الإحباط في صوت السيد (صلاح)، وهو يجلس مجدداً، مشيراً للفرنسية بالجلوس هي الأخرى، قائلاً، وقد قرر تولي زمام الأمور:

- معذرة يا سيدتي، لكني لم أعرف اسمك..

- (جين) ..

- حسناً... أنت تقولين أن هذا الرجل زوجك، هل لديك ما يثبت

هذا؟

- بالطبع... إنني لا أمزح

ثم أنها أخرجت من حقيبتها مجموعة من الأوراق، ناولتها لسيد (صلاح)، فأخذ هو يتفحصها بدقة بحثاً عن أي خطأ محتمل، بينما شرحت، وصوتها يأتي إليّ من بعيد:

- لقد حدث هذا حين كنت في مصر... المفترض أنني كنت سأتزوج لمدة أسبوع ينتقل فيه معي إلى (باريس)، ثم أحصل أنا على الطلاق، وعلى المبلغ الذي اتفقت عليه..

- مبلغ؟

- بالطبع.. هكذا كان الاتفاق الذي عقده معي صديقه، الدكتور (مجدي)، ولقد استلمت المبلغ كله قبل إتمام الزواج، وبهذا ينتهي دوري في الاتفاق، لكنه..

ثم أشارت عليّ بأشمئزاز يؤكد أنها تلقت مبلغ مغري حقاً لتقبل الزواج بي، وهي تواصل:

- لكنه اختفى فجأة، هو وصديقه الدكتور.. وأنا الآن أريد أن أنتهي من هذا كله..

نظر إلي السيد (صلاح) ليلقي الكرة في ملعبه، لكنني كنت في حالة لا تسمح بالنطق، فتطوع هو، ليقول:

- حسنًا يا سيدتي.. ستحصلين على ما جئت من أجله، لكن ليس الآن، ربما لو تركت لنا بياناتك، ومررت علينا لاحقًا، فقط لنحصل على الوقت الكافي للتخلص من الأوراق والتفاصيل القانونية مطت (جين) شفيتها كأنما تقلب الأمر في رأسها، ثم هبت من على مقعدها قائلة:

- لا بأس... لكن أريد الانتهاء من هذا كله بسرعة من فضلك.. ثم إنها رمقتني بذات الاشمئزاز مرة أخرى، وتركتني أحدث الشياطين التي أخذت تتصارع في رأسي... حسنًا... ها أنا متزوج من امرأة لا أعرفها. وهو شيء جديد لم أضعه في الحساب..

المهم فيما قالته أن (مجدي) فعل هذا، لأنه كان ينتوي نقلي إلى (فرنسا)، منذ زمن، لكنني أفسدت خططه، وهذا يعني شيء واحد فحسب....

أن (باريس) هي مقر منظمته هذه حقًا... وأنني في الطريق الصحيح..

خيم الصمت علينا، فلم أكن في حالة تسمح لي بالكلام، وكذلك كان السيد (صلاح) يقلب الأمر في رأسه من عدة أوجه، وهو يردد في سره بحماس:

- لولم أر هذا بنفسه لما صدقته..

حسنًا يا عزيزي، صدقه... فحياتي أصبحت مهزلة منذ تلك الليلة التي أجريت فيها التجربة..

مهزلة عليّ أن أدفع ثمن كل خطأ اقترفته فيها دون أن أتذكره... ارتفع صوت الفاكس أخيرًا، ليبدد حالة الصمت هذه، فتناول السيد (صلاح) الورقة التي خرجت، وتحنن قبل أن يقول:  
- (سامي)... إنها بيانات الرجل التي قابلته في المطعم.. لقد حصل رجالنا عليها..

رفعت إليه عينين متسائلتين، فأعاد هو النظر إلى الورقة. قبل أن يقول:

- هل أنت متأكد أنك تريد أن تعرف الآن؟  
أجبت ساخرًا لأقاوم رغبتني في البكاء:  
- ما دام ليس والد زوجتي العزيزة، فلا بأس..  
- حسنًا... إنه أسوأ من هذا.. إنه (فرانسوا دوبوا).. رجل مخاطر سابق..

\*\*\*

عند هذا الحد كانت طبييتي النفسية (لارا) قد بدت وكأنها ستفقد عقلها. وستبدأ في الصراخ الهستيري، إلا أنها أشعلت سيجارة، لتضيف إلى أنفاس الكحول التي تبثها رائحة جديدة، وقالت:  
- عظيم... الآن يمكنني أن أقول أن الموقف تعقد أكثر..  
- أنت مفيدة حقًا...!!  
- وهل اتصلت بالرجل كما طلب منك؟  
- بل جئت إليك على الفور قبل أن أفقد عقلي... كما أن السيد

(صلاح) اقترح أن تكون هذه الصدمات المتوالية، كافية لتحفيز ذاكرتي..

- دعك من هذا... هذه المرأة التي تزوجتها، حدثني عنها قليلاً..

- أهذا وقته؟!!

- بالطبع وقته... لقد تزوجتها ولو لساعة، لا بد أن حدث بهذه

الأهمية يرتبط بأحداث أخرى في ذاكرتك.. هيا.. صفها لي..

أغلقت عيني محاولاً تخيلها - والواقع أنني أصبحت أملك ذاكرة فوتوجرافية مبهرة - وأخذت أقول:

- شقراء هي... في أواخر العقد الثاني من العمر، خمرة البشرة،

وتملك غمازتين في وجنتيها حين تبسم. عينيها زرقاوتان، لكنها زرقة

قاسية أبعد ما تكون عن الرقة، ممثلة الجسد، لكنها ليست بدينة...

واسمها (جين).. (جين مونتان)..

عند هذه النقطة وجدتني أنتفض... هي لم تخبرني أن اسمها (جين

مونتان)!!

أنا أعرف هذه المرأة حقاً...!!

أغمضت عيني محاولاً تذكر المزيد من التفاصيل، محاولاً رسم

صورة لها في خيالي..

ها أنا أراها تقف معي ومع فارس كواييسي (مجدي) في أحد

الفنادق في القاهرة... أراها تتحدث إليه باهتمام... أراها تأخذ منه

نقوداً... نقوداً كثيرة..

ثم زواجها مني لحين وصولنا إلى (فرنسا)، بعد ذلك... بعد

ذلك..

بعد ذلك تنتهي الصفقة، ويتم الطلاق... هذا هو الاتفاق..



(مجدي) كان يريد نقلي إلى (فرنسا). بأي ثمن... لقد كان هذا مخططه الذي أفسدته، والسؤال الآن ممتع بحق..

أنا فقط، أم أن هناك آخرون؟

هل هناك الآن من خضع لتجربة (مجدي) بنجاح حتى تم نقله إلى هناك؟

وأي قدرات سيمتلكها في هذه الحالة؟

قطعت (لارا) حبل أفكارني لتسأل:

- هيا أخبرني... جين مونتان).. ماذا تعمل؟ أجبت ببطء:

- نادلة في أحد المطاعم.. لقد كانت تزور القاهرة للسياحة، حين التقت بـ(مجدي) وعقدت معه صفقة الزواج مني...

- لا شيء عن مكان لقاءكم أول مرة؟.. لا شيء عما حدث هناك في القاهرة؟

هزرت رأسي نفياً ببطء، فتفتت (لارا) المزيد من الدخان وقالت:

- عظيم.. وما هي خطوتك التالية إذن؟

هذه المرة استغرقت في تفكير عميق طال لبضع دقائق، ثم أجبت بحسم:

- سأتصل بالكونت (فرانسو)... يجب أن أعرف ما يعرفه..

\*\*\*

كان أقصر اتصال عرفه التاريخ..!

طلبت الرقم، وانتظرت حتى جاءني الصوت العجوز يقول بالفرنسية:

- فرانسوا..  
- أنا من تركت له البطاقة في..  
- انتظرنى في الكنيسة المقدسة في جزيرة (لاسييتيه) ... غداً..  
الثامنة صباحاً..  
ثم أنهى الاتصال دون أن يمنحني فرصة لنطق حرف..  
حسناً... غداً في الثامنة صباحاً..  
الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل، وهذا لا يمنحني سوى  
خمس ساعات للنوم..  
هذا إن عرفت أن أنام في الأيام القادمة!!

\*\*\*

في صباح اليوم التالي كان السيد (صلاح) يقف معي في غرفتي،  
يردد النصائح بلا انقطاع، مما ذكرني بأبي حين ذهب لأول مرة إلى  
الجامعة، حين كان يردد بلا انقطاع:  
- إياك والفتيات... إنهن أسرع طريق إلى الفشل..  
هذه المرة كان السيد (صلاح) يردد:  
- إياك والتهور... حاول أن تحصل منه على أكبر قدر من المعلومات،  
دون أن تمنحه شيئاً.. لا أريد أي ردود أفعال عنيفة أو تصرفات متهورة..  
كما أنك لن تأخذ سلاحك معك هذه المرة..  
هتفت بانزعاج رجل الشرطة الذي لا يقبل تجريده من سلاحه:  
- ماذا؟!!  
- لن يسمحوا لك بالدخول ومعك سلاح على أي حال.. كما أنني لا  
أريد أن أترك لك فرصة لتزج بنفسك إلى السجن..

- ولكن..

- هذا أمر... المفترض أنك ذاهب للحصول على معلومات لا أكثر.. وهكذا اضطررت أسفاً أن أتخلى عن سلاحي، وتدنّرت بأثقل معطف أمتلكه لأتقي هواء (باريس) المثلج في مثل هذا الوقت من الصباح، وغادرت السفارة متجهاً إلى جزيرة (لاسيثيه)..

أخذت سيارة أجرة، فلم أكن أريد التأخر على الكونت (فرانسو)، وتوقفت أمام قصر العدل الضخم وسط الجزيرة، الذي يخفي خلفه تلك التحفة القوطية التي تعود لعام ١٢٤٨ والمسماة بالكنيسة المقدسة ... (Saint Chappelle)

لو كنت في مزاج رائق لأخبرتكم المزيد عن الجزيرة وعن هذه التحفة المعمارية التي على وشك أن أدخلها، لكنني في حالة لا تسمح لي سوى بالتماسك، على أمل أن يأتي لقاء اليوم بجديد..

حين صعدت إلى الطابق العلوي، عرفت سر اختيار الكونت (فرانسو) لهذا المكان على وجه التحديد...

فمع ضوء النهار الذي أخذ يتوهج عبر خمسة عشر نافذة تغطي الجدران، شعرت وكأنني أقف في كتلة من النور، لا يمكنني تمييز أحد فيها، بل لا يمكنني تمييز شيء على الإطلاق...

من بنى هذا الطابق بناء ليكون أعجوبة من الأضواء والألوان. لكنه لم يخطر له على بال أنه سيكون نقطة ضعف حقيقية لأي رجل أمن، يجد نفسه في هذا المكان، فهنا لا يمكنني رؤية من يقف على بعد بضعة خطوات مني..

كنت أقف في هذا النور، حين سمعت العصا العاجية تدق الأرض بالقرب مني، فأخذت أتلفت حولي، بحثاً عن مصدر الصوت، حين ظهر

الكونت (فرانسو) فجأة خلفي، ليقول بهدوء أرسقراطى:

- مرحباً مسىو(سامى)..

التفت إليه منتفضاً، وأنا أهتف:

- أنت... أنت تعرفنى..

ارتكز العجوز براحتىه على عصاه العاجية، وقال بذات الهدوء:

- بالطبع أعرفك، وأعرف كل ما حدث لك... والأهم من هذا كله

، أعرف ما الذى تريده أنت منى...

هتفت منبهراً هذه المرة:

- تعرف!!؟

- بالطبع... هذا ما جئت من أجله.. أن أمنحك ما تريده وأن أحصل

أنا على ما أريده..

تساءلت فى شك:

- وكيف أعرف أنك صادق!!؟

اتسعت ابتسامته أكثر، كأنما كان يتوقع هذا السؤال بالذات، ومد

يده ليخرج من معطفه ظرف أصفر، ناولنى إياه دون أن ينطق بحرف..

أخذت منه الظرف، وفتحته لأجد مجموعة صور، لم تكد عيناى

تسقطان عليها، حتى شهقت فى ذهول، رددته جدران القاعة...

فما كنت أمسكه فى يدي الآن كان المستحيل بعينه..

أسوأ المستحيلات...!!!

\*\*\*

كان الظرف مليئاً بالصور... صور لى وأنا فى القاهرة أعمل... صور

لى مع زوجتى المصرية ونحن فى أحد العطلات... صور لى مع (مجدى)

و(علي)... صور لي وأنا في عيادة (مجدي) وأنا خاضع للتجربة،  
(علي) متسلق جوارى، بنما (مجدي) يحقننا بسائل ما.. صور لي وأنا  
في القاعة التي وجدت فيها (مجدي) أتدرب... صور لي مع أشخاص  
أعرفهم، وأشخاص لا أعرف عنهم شيئاً... صور لي مع (مايا)... صور  
لي مع زوجتي الفرنسية... صور لي في (فرنسا)..

تاريخي كله في صور!!!

أخذت أقلب في الصور وأرتجف، فأمسك الكونت (فرانسو) بذراعي،  
ليسحبني خلفه، وه ويقول:

- دعنا نتحرك... فهناك المزيد لتعرفه..

تبعته كالمأخوذ عبر طرق طويلة ومعقدة، حتى وصلنا للساحة  
الخلفية، حيث كانت سيارته تنتظرنا، وسائق أنيق الهندام، يفتح لنا  
باب السيارة في احترام، فاتخذت مكاني جواره، عاجزاً عن النطق،  
بينما قال هو:

- أنا أعرف كل شيء عنك يا مسيو (سامي).. والواقع أنني أعرف  
أكثر مما توقعه بكثير..

نطقت بصعوبة لأقول:

- من أنت؟!!

- اسمي هو(فرانسو)... واليوم سأحكي لك قصة لن تصدقها  
بسهولة... قصة كيف بدأ صديقك الدكتور (مجدي) هذا كله..

\*\*\*

وضع الكونت (فرانسو) عصاه العاجية على المائدة بيننا، وقال:  
- أنت تعرف بالطبع أنني رجل مخبرات سابق.. لا داع للنكار..

لقد أعطيتك رقمي الشخصي، ولا بد أن أصدقاءك في السفارة، قد أبلغوك بهذا، على كل حال.. سأحكي لك كل شيء.. القصة بدأت منذ عام ونصف، حين جاءني الدكتور (بيير موروا) وهو متخصص شهير في جراحة المخ والأعصاب، ليبلغني بأمر نظرية مثيرة للاهتمام، أرسلها له صديقه مصري، وهو الدكتور (مجدي) بالطبع.. النظرية كانت تعتمد على أساس علمي يقول أن الإنسان الطبيعي يستخدم ما يقارب الاثنان في المائة من قدرات عقله الفعلية.. ماذا يحدث إذن لو تضاعفت هذه القدرة؟!! ما الذي يحدث لو أصبح لدينا إنسان يستخدم خمسون في المائة من قدرات عقله الفعلية؟ ثمانون في المائة؟!!.. الواقع أن هذه الفرضية أثارت فضولي، فقررت لقاء (مجدي) في القاهرة على أنني رجل أعمال متحمس، قرر تمويل أبحاثه، على أساس أن تظفر مخبراتنا بالنتائج أولاً فأول، وبعد ذلك سأترك لهم الخيار في كيفية استغلال هذه النتائج... أنت تعرف أن صديقك (مجدي) كان يستخدم التنويم المغناطيسي كأساس لتجاربه، ولإطلاق طاقات العقل الكامنة... لكن ثمة مشكلة واجهها، دون أن يجد لها حلاً، وهي أن من يخضع لهذه التجارب يخرج معها كل العنف والشر المدفونين في أعماقه، شيء وجد له الدكتور (مجدي) مسمى أدبي يعتمد على رواية إنجليزية، تدعى...

- الدكتور (جيكل) ومستر (هايد) ..

- بالضبط.. تجاربه هذه تنتج شخص خارق القدرات، لكنه شرير وبغيض كمستر (هايد)، الأمر الذي يتنافى مع الأساس الذي مؤلت من أجله هذه التجارب، وهو الحصول على شيء قابل للاستغلال والاستخدام، وهكذا قررت الانسحاب من هذا كله، وأدركت أنني كنت أضيع وقتي في عبث لا طائل منه، حتى عرفت بعد ذلك، أن (مجدي)

وجد طريقة للسيطرة على أجرى عليهم التجربة، وجعلهم يعملون طوع أمره ، وحين حاولت الاتصال به لمواصلة ما بدأه بنقودي، اختفى فجأة كأنه لم يكن، لكنني كنت أحمل نسخ من كل ملفاته، وكل تجاربه، فبدأت أتتبع خطاه، لأصل إلى التالي... أولاً.. (مجدي) حوّل تجاربه إلى بداية مشروع مجنون بتكوين منظمة، أسماها منظمة الفوضى، وهي منظمة تهدف لتدمير الأنظمة وإثارة الشغب وربما ما هو أكثر... ثانياً.. (مجدي) هنا في (فرنسا). حيث كان يعمل طبيب شخصي للسيد (نيكولاس ساركوزي) أحد أثري أثرياء (فرنسا)، والذي توفى إثر أزمة قلبية، وخمن إلى من آلت ثروته الهائلة..

- إلى (مجدي)؟

- نعم وهكذا أصبح (مجدي) يمتلك النقطة التي يبدأ من عندها والتمويل الكافي ليفعل، فبدأ في الإعداد لمقر سري له هنا، وبدأ في نقل رجاله ومعلوماته إلى هنا شيئاً فشيئاً، حتى أفسدت أنت مخططاته باستيقاظك المفاجئ من تأثير التجربة.. بالطبع أنت لا تعرف، لماذا أرسلك (مجدي) لقتل هذا الصحفي وعائلته، أليس كذلك؟

عند هذه النقطة، كدت أصرخ:

- لماذا أرجوك؟

إلا أن الكونت هز رأسه، وهو يشعل غليونه، ونفس سحابة الدخان في وجهي، ليكمل:

- لأن لكل تجربة أخطاء، ولكل قاعدة شواذ، وأنت كنت أحد هذه الشواذ... فأنت الوحيد الذي لم يتمكن من السيطرة عليه تماماً، والأخطر أنك الوحيد الذي بلغت قدراته العقلية، حدًا لم يتوقعه أحد.. لذا وجب التخلص منك..

- لكني لا أملك أي قدرات خاصة.. فقط أصبحت أسرع وأقوى..  
- هذا ما اكتشفته أنت حتى الآن، لكن صدقتي.. أمامك الكثير  
لتكتشفه. ومع الوقت ستدرك هذا جيداً.. المهم هو أن (مجدي) الآن  
يخطط لشيء ما، أعتقد أنني أملك تصور عنه، لكن لو صدق ظني حقاً،  
لأصبحنا في كارثة..

- ماذا؟

لاذ الكونت (فرانسو) بالصمت لدقيقة، لم يتوقف فيها عن نفث  
الدخان، ثم بدأ يشرح لي مخاوفه، وأخذت عيناى تتسعان هلعاً..  
من الأفضل أن يكون هذا الرجل مخطئاً فيما يظنه..  
من الأفضل لنا كلنا...

\*\*\*

كان عليّ أن أجد مكان لأجلس فيه وأفكر...  
كان عليّ أن أعد نفسي للمرحلة القادمة...  
الآن أنا أعرف القليل عما حدث لي في ذلك الأسبوع الذي قضيته  
مع (مجدي)، فالكونت (فرانسو) لم يكن على علم بكل شيء كما  
هو واضح...

الآن يمكنني أن أنظم تفكيري في نقاط كأى رجل شرطة...  
أولاً... أنا الآن متزوج. وهي نقطة يجب أن أنتهي منها سريعاً، فلا  
أريد أي نقاط ضعف في المرحلة القادمة... لكن يجب أن أحصل على ما  
يمكن الحصول عليه من معلومات من زوجتي العزيز (جين)، قبل أن  
أخرجها - نهائياً - من حياتي..  
ثانياً... (مجدي) هنا، ويبدو أنه لا يضيع وقته، بل يسير وفق مخطط



زمني دقيق، ومهمتي هي أن أدمر له هذا المخطط، مهما كان الثمن، بعد ذلك سأجعله يدفع الثمن كاملاً، وربما أكثر..

ثالثاً.. السيد (فرانسو) لم يكشف لي عن كل أوراقه، وهذا بديهي... إنه رجل مخبرات سابق، والكتمان جزء من طبيعته... هو لم يخبرني إلا بما أراد لي أن أعرفه، والهدف واضح... أن أتخلص له من (مجدي)...

لماذا لا يقوم هو بهذا. أو لماذا لا يستعين بمخابراته؟؟؟... لأنه متورط في شيء ما.. هذا أيضاً بديهي، وإلا ما كان قد لجأ لي... أيّا ما كان الأمر، يجب أن أحذر من هذا الرجل، وألا أمنحه ثقتي كاملة...

رابعاً... من الواضح أن هناك المزيد من القدرات التي أمتلكها، دون أن أعرف عنها شيئاً حتى هذه اللحظة. وهذه ليست مشكلة، لكن الفضول يقتلني، لأكتشف ما الذي أستطيع فعله على وجه الدقة..

خامساً... لا يجب أن أخبر السيد (صلاح) بهذا كله، فهو إما سيحاول منعي وربما إرسالني إلى مكان بعيد، أو سيتورط معي فيما لا طاقة له به. وهذا لا يعني سوى شيء واحد..

يجب أن أبتعد... يجب أن أترك السفارة في الفترة القادمة... ولكن إلى أين؟؟؟

\*\*\*

بعد بحث طويل مضني عثرت على فندق رخيص في الحي اللاتيني، وأجمل ما فيه هو أن صاحبة الفندق العجوز لم تكن من هواة الأسئلة بأي صورة من الصور، وهي بالتالي لن تقدم لك أي رفاية تذكر... إدفع ما عليك، وستحصل على فراش جاف في المساء، ولا تحاول أن تطالب بأكثر من هذا، لأنك لن تحصل عليه بأي حال...

بالطبع اتصلت بالسيد (صلاح) واختلقت له قصة وهمية ملخصها أنني لن أعود للسفارة الفترة القادمة لأن الدكتوراة النفسية (لارا) نصحتني بالتغيير كجزء من العلاج ... بالطبع ثار وهاج وماج، إلا أنني لم أعطه الفرصة للرد بل أنهيت الاتصال... لو ظلت حياً، سأعتذر له بأسلوب لائق، أما الآن..  
أما الآن فلننتقل إلى الخطوة التالية...

\*\*\*

في المساء كنت أجتاز باب ذلك المطعم الشهير بوجباته الفرنسية الأصلية، لأقابل زوجتي..

كانت تقف في ركن المطعم تثرثر مع أحد الطهاة حين رأيته، لتقلب سحتها ولتتجه نحوي، ووجهها الجميل يحمل تعبير خاو..

- ما الذي تريده؟

- بضعة أسئلة وسأتركك لشأنك..

- أسرع إذن.. فلا يجوز لي التحدث مع الزبائن هنا..

ثم رافقتني إلى طاولة منزوية، فجلسنا وأنا أحاول ابتلاع حقيقة أن هذه المرأة التي لا أعرف أي شيء عنها، هي زوجتي قانوناً، لأقول:

- (مجدي) هنا في (فرنسا) ... هل تعرفين هذا؟

- لا بالطبع.. لو رأيته أخبره أنه وغد

- أعدك أنني سأفعل، لكنني في حاجة لمعرفة بضع تفاصيل..

- أسرع من فضلك..

- حين قابلت (مجدي) في القاهرة، هل مارس عليك أي تجربة

تنويم مغناطيسي؟

- لا...

- عظيم... هل تذكرني أي شيء غريب يتعلق به.. شيء كان يفعله أ  
ويردده ١٩

- لا... مهلاً... لقد كان يحمل دائماً صحيفة (اللوموند).. كان  
يقول أن هذه الصحيفة هي الأفضل على مستوى العالم، لكنني أعتقد أنه  
كان يحاول إبهاري لا أكثر..

- وماذا عني أنا؟

- ماذا عنك؟ ١٩٩٩

- هل لاحظت شيء غريب يتعلق بي؟

- كنت شارداً طيلة الوقت، وكنت تتحدث قليلاً، لكنني لم كن لأهتم...  
لقد كان الأمر كله صفقة بالنسبة لي.

- أشكرك... لم يعد لدي المزيد

وهممت بالانصراف لكنها استوقفتني قائلة:

- لقد اتفقت مع محامي للانتهاء من إجراءات الطلاق..

- ما المطلوب مني بالضبط؟

- أن تمر على مكتبه، وهو سيتولى الأمر كله وسيبلغني حين الانتهاء  
من هذا كله.

ثم ناولتني ورقة عليها اسم المحامي وعنوانه ورقم هاتفه، فدسستها  
في جيبي واتجهت لأغادر المطعم، لكنني توقفت لأقول:

- بالمناسبة... لو حاول (مجدي) الاتصال بك، اهربي بلا نقاش..

ثم غادرت المكان، وقد تركتها خلفي ذاهلة...

ثاني خطوة انتهت..

والآن يحين وقت الخطوة التالية..

\*\*\*

من الصعب الحصول على مسدس جيد في (باريس) .. هؤلاء القوم يعتقدون أن المسدس، سلاح فظ أحق، ينشر الضوضاء والدماء في كل مكان، وأن استخدام الأسلحة البيضاء أكثر أناقة... خنجر أثري مطرز مثلاً.. هذه أداة قتل أفضل بمراحل، لكنها لا تناسبني بالمرّة..

بالطبع لم أكن أسعى للحصول على مسدس بالطرق القانونية، فأنا لا أريد لفت الأنظار لي في هذه المرحلة، أي أنني كنت أتحدث عن الطرق السفلية والغير شرعية للحصول على أسلحة في بلد راق مثل (باريس)...

ولكن، هاك نصيحة مجانية جديدة أقدمها، حتى تصبح لقصتي فائدة تربوية!!

رجل الشرطة هو رجل الشرطة في أي مكان.. والمجرم هو المجرم في أي مكان...

النسق النفسي واحد، وإن اختلفت الحضارة واللغة والديانة.. كيف تحصل إذن على مسدس في قلب (باريس) ... أعرف أن هذه النقطة غير تربوية، لكني هنا لأحكي لك ما حدث، لا لأقدم لك أفضل طرق تربية ابنك!!

ذهبت إلى أحقر حانة وجدتتها في الحي اللاتيني، في ساعة متأخرة من الليل، وهناك طلبت كوب من الجعة الرخيصة - أنا لا أشرب، لكنه إتيان الدور - وأخذت ألوح به في الهواء وسط السكاري، وأنا أردد معهم بعض الأغاني الفرنسية الرقيقة..!!

هكذا اندمجت وسطهم، وهنا يجب أن أذكر لك أن الفرنسيين حين يثملون، قد يندمج وسطهم نصف الجيش الألماني دون أن يلاحظوا

شيء... المجد لـ (فرنسا) !!

اخترت أضخم رجل فيهم والذي يحمل وجهه مجموعة من الندوب  
تشبه بكلمة الشجارات التي دخلها، وخرج منها بخسائر فادحة... لم يكن  
ثملاً تماماً كالباقيين، لكنه كان منتشي مبتهجاً يردد الأغاني الفرنسية  
بصوت أجش، فاقتربت منه، لأهتف بصخب:

- هيه... ليلة طيبة..

- بالطبع...

- كنت أريد أن أسأل عن شخص، ربما تعرف طريقه..

توتر وجهه وهو ينتظر سؤالتي، فملت عليه لأدس حفنة من الأوراق  
المالية في جيب سترته، وأنا أهمس في أذنه :

- صديقي يدعى (بريتا) مع ثلاث خزانات إضافية..

هنا لاحظت ابتسامة خبيثة على ملامح الفرنسي الضخم، وهمس:

- لكن الطريق إليه مكلف حقاً..

- حين نصل إليه تحصل على الباقي..

وهكذا تم الاتفاق السريع بنجاح، وبعد دقائق كنت أتبعه عبر أغرب  
حارات (باريس)، وأكثرها ظلاماً..

وبعد ساعة واحدة كنت قد عدت إلى فراشي في ذلك الفندق الحقيقير،  
لأدس سلاحي الجديد أسفل الوسادة، قبل أن أتمدد على الفراش...  
الآن أنا مستعد...

في انتظار اتصال الكونت (فرانسو) إذن...

\*\*\*

في ظهر اليوم التالي، تلقيت اتصال الكونت (فرانسو) في الفندق الذي انتقلت إليه... بالطبع لم أكن قد أخبرته بشيء عن الفندق. وبالطبع لم يشكل هذا عائقاً بالنسبة له...

أخبرني أن اللقاء هذه المرة سيكون في حديقة (تويلوري Tuileries) في تمام السادسة مساءً، مما يمنحني الوقت الكافي لتناول وجبة خفيفة، ثم تبديل ملابس، والتحرك..

حديقة (تويلوري) ... هذا الرجل ينتقي أماكن للقاء، لا تصلح إلا لقصة رومانسية تدور بين مراهق يتعذب وحسناء تهوى التضحية...

من يتخيل رجل مخبرات عجوز وضابط سابق شاب يجلسان في حديقة (تويلوري)، ليتحدثا عن طبيب مجنون يريد نشر الفوضى في العالم؟!!

حين التقينا، كان القلق واضحاً في ملامحه، وحين جلسنا على أحد المقاعد وسط الطبيعة التي يزحف عليها الغروب، بدأ الكونت (فرنسو) يتحدث بصوت خفيض، يطل منه التوتر بوضوح:

- لقد توصلت إلى معلومة في غاية الأهمية... صديقك (مجيدي) يعيش تحت هوية مستعارة.. عدة هويات في الواقع، لكنني استطعت تحديد أحد الأمكنة التي يسكنها..

- إذن فلقد توصلنا إليه أخيراً..

- الأمر ليس بهذه السهولة... المكان الذي أحدثك عنه، هو الطابق الأخير، في واحدة من أشهر بنايات (باريس).. سيكون هناك عشرات الشهود..

- دع هذا لي... أنا أعرف ما الذي ينبغي عليّ فعله، فقط أعطني العنوان..

ناولني ورقة مطوية، فألقيت عليها نظرة خاطفة، ثم دسستها في سترتي... لقد حفظت العنوان على كل حال..

وأخذ (فرانسو) يردد:

- إنه لا يذهب إليها إلا في مواعيد محددة لكنه يستخدم جهاز إنذار حديث يعتمد على إرسال إشارة إنذار، إلى هاتفه المحمول، لو حاول أحدهم اقتحام المكان.. وهذا ما سيحدث وهذا ما سيدفعه للمجيء..  
وأخذ ينظر إلي ليرى تأثير كلامه عليّ. لكنني سألته بغتة:

- أنت لا تعمل مع المخابرات الفرنسية في هذا.. لقد كنت تمول مشروع (مجدي) لحسابك..

منحني الكونت نظرة طويلة صامتة. لم تتغير فيها ملامح وجهه لحظة، قبل أن يقول باقتضاب بارد:

- أماننا عمل لننتهي.. سأساعدك على الحصول من (مجدي)، وستساعدني أنت على تدمير مخططه.. أي شيء خارج هذا النطاق، لا يهم ولا يخص أحد.. أي أحد..

- وما الذي أدراك أنه سيستسلم لي بسهولة؟.. حتى لو قبضت عليه، لن نحصل منه على حرف..

- اقبض أنت عليه، وأحضره لي.. ثم سأتولى أنا عملية استخراج المعلومات منه..

- تريد الحصول على ما دفعت ثمنه..

- بل أريد وقف الكارثة القادمة... ألا تعتقد أنني سأدفع ثمن نجاحه، لو نجح؟

- لماذا لا تقتله وينتهي الأمر كله؟

- لأننا لا نعرف كيف سينفذ مخططه... يجب الحصول عليه حياً..  
يجب أن نعرف ما في جعبته من أسرار...

إنه على حق... يجب الحصول على (مجدي) حياً... يجب أن أقاوم  
رغبتي العارمة لقتله، انتقاماً لكل ضحايا تجربته..  
لكن.. لكني وأنا أفكر كيف هرب مني.. وأنا أفكر أي قدرات تلك  
التي قد يمتلكها الآن، أتساءل...  
هل يمكن الحصول عليه حياً كما نريد؟  
هل؟

\*\*\*

وأخيراً ظهر (مجدي)...!!  
كنت أقف أمام تلك البناية في ذلك الحي الراقي في (باريس)،  
منذ ثلاث ساعات أنتظر قدوم الوغد على أحر من الجمر، بينما  
سيارة الإسعاف تنتظر بالقرب من المبنى وفقاً للمخطط الذي وضعه  
(فرانسو)، وكنت قد بدأت أشعر باليأس من قدوم (مجدي) المنتظر،  
حتى أنني كدت أترك المكان كله، حين ظهر هو بغتة...  
خرج من سيارة أجرة قرب المبنى، وقد ارتدى معطفاً أسود اللون،  
وقبعة عريضة، أرخاها على نصف وجهه العلوي ليخفي ملامحه، لكنني  
تعرفته على الفور..  
تعرفت وقفته... مشيته... الطريقة التي نظر بها إلى المبنى قبل أن  
يعبر من المدخل..  
هذا هو (مجدي)...

هذا هو صديق الطفولة، ومدمر حياتي إلى الأبد..  
شعرت بالدماء تلهب عروقي حين رأيته، فمددت يدي لأتأكد من  
مسدسي في جيب المعطف الذي أرتيه، وانتظرت لدقيقة، حتى أمنحه



الوقت الكافي للصعود إلى شقته، ثم تبعته إلى الداخل بلا تردد...

(مجدي) .. (مجدي) .. (مجدي) ..

ها قد حان وقت اللقاء... وهذه المرة، لن تهرب مني..

أخذت المصعد الثاني. وصعدت لأتوقف في الطابق قبل الأخير، حيث

شقة (مجدي)، ثم أخذت أصعد بحذر على الدرج، متجهًا إليه..

لا بد أنه دخل الآن ليجد كل شيء على ما يرام... لا بد أنه شعر

بالخدعة.. لا بد أنه الآن سيلوذ بالفرار، ليجدني في انتظاره..

لكني ولدهشتي، لم أسمع أي صوت قادم من شقته، فواصلت صعودي

بحذر بالغ، حتى وصلت أمام شقته، ومزيج عجيب من المشاعر يعتمل في

أعماقي..

مزيج عجيب، وأعجب ما فيه أن الخوف كان الطابع الغالب عليه!!..

لسبب ما أنا خائف من هذه المواجهة!!

وصلت إلى باب الشقة فمدت يدي لأمس الباب، وأنا أخرج مسدسي

باليدي الأخرى، و.. و..

ولكن ما إن مست يدي باب شقته، حتى شعرت كأن قنبلة انفجرت في

جمجمتي.. واندفعت الصور إلى رأسي بغزارة غير مسبقة..

صور لما يحدث داخل الشقة الآن...!!

رأيت (مجدي) يجلس داخل صالة شقته، على أريكة جلدية، يقرأ في

أحد الصحف باستمتاع تام، كأنه يملك الوقت كله، ولا يوجد ما يشغل

بأله!!

رأيت هذا بوضوح تام، لكن الألم في رأسي كان يتضاعف، على نحو

دفعني للتراجع إلى الخلف، وقد تغلب ذهولي على أي شعور آخر أشعر

به..

كيف؟؟

كيف رأيت؟

أهذه أحد قدراتي؟؟.. لماذا لم تظهر قبل الآن؟

لكن.... لا... لا وقت.. لننتهي من هذا أولاً..

وهكذا استجمعت مشاعري كلها في ركلة سددها لباب الشقة،  
فانفتح بدوي لا بأس به، فقفزت إلى الداخل شاهراً مسدسي بعصبية،  
لأجد (مجدي) ينتظرني على أريكة جلدية مريحة، يتصفح (اللوموند)  
باستمتاع تام!!

وما إن رأيته حتى ابتسم بثقة، ليقول:

- (سامي).. إذن فأنت صاحب هذه الخدعة الساذجة؟؟...  
تفضل..

غالبت عاصفة الأفكار والمشاعر التي تزار في رأسي، لأهتف، وأنا  
أسدد مسدسي لرأسه بدقة:

- (مجدي)... ها أنت قد سقطت أخيراً..

صحيح أنني قتلتها، لكن السخرية الواضحة التي لاحت في وجه  
(مجدي)، جعلتني أشعر أن قلبي هذا أبعد ما يكون عن الصحة...

أشار (مجدي) بيده، قائلاً بذات الهدوء المستقر:

- لماذا لا تترك هذا المسدس وتجلس؟؟ سنتحدث قليلاً، ثم سيمضي  
كل منا في طريقه..

- كف عن الهراء.. إنك لن تهرب هذه المرة..

- وهل تكتسب ثقتك هذه من المسدس الذي تحمله؟

- ما الذي تعنيه؟

- أعني أنني أعرف أنك تعرف... أنت لن تجرؤ على استخدام هذا

المسدس.. في الواقع أنت غير قادر على إيذائي بالمرة..

كنت أرتجف رغماً عني، لكنني هتفت:

- لن تخذعني بهذا الهراء..

مال (مجدي) عليّ، ليقول وهو يبتسم بهدوء ساخر:

- لماذا لا تجرب؟!... حاول أن تطلق عليّ رصاصة واحدة... لا داع

لأن تقتلني.. أطلقها على ساقِي لو أردت.. هيا حاول، حتى أنتهي من

قراءة هذا المقال..

أخذ ارتجاف يتزايد، وأنا أشعر بشيء ما في أعماقي يمنعني من

الحركة، فظللت على هذا الوضع جامداً، عاجز عن ضغط الزناد، كأنما

فقدت التحكم في أطرافِي، بينما واصل (مجدي) قراءته، كأنه جالس

في (الشانزلييه)..

وأخذت أرتجف... وأرتجف... وأرتجف..

كيف؟! لماذا؟! ما الذي أصابني؟!

انتهى (مجدي) من قراءة مقاله، فنهض بهدوء، لينتزع المسدس

من يدي، دون أن يلقي أي مقاومة مني. وطوّحه بعيداً، ثم عاد ليجلس

مكانه، بينما أخذ ارتجافِي يقل تدريجياً، وأنا أجاهد حتى لا تسيل الدموع

من عيني...

ما الذي أصابني؟!

تحدث (مجدي):

- اجلس لتتحدث قليلاً. ولا تلم نفسك... لقد زرعت فيك فكرة

عدم التعرض لي بأذى، حين كنت تأثير التجربة.. لذا لا داعي لإضاعة

الوقت..

- لكنني لن أسمح لك بالخروج من هنا...

- حتى هذا لن تستطيعه... هه أخبرني... هل قابلت زوجتك الفرنسية؟

- أنت وغد.. وغد حقيير..

ضحك (مجدي) من قلبه، قبل أن يقول:

- وغد لأنني خلصتك من زوجتك المصرية، وأبدلتها بهذه الفرنسية الحسنة.. هل تحاول خداع نفسك؟

- أنت دمرت حياتي...

- لم لا؟... لقد أعطيتك حياة أفضل في المقابل... عمل أفضل.. جسد أفضل.. عقل أفضل..

- عقل لا أملكه..

- ليس بعد.. لكنها مسألة وقت لا أكثر... هل بدأت تتعرف على قدراتك الجديدة، أم أن الوقت لا يزال مبكرًا؟

- ستدفع ثمن هذا كله يا (مجدي) ..

- ومن سيجبرني على هذا؟... بعد يومين بالضبط سأتحول إلى شخص فوق كل القوانين الدولية، وكل الأنظمة... لن يستطيع أحد المساس بي..

- أنا أعرف مخططك... أعرف أنك ستحاول تفجير المفاعل النووي الفرنسي..

مرة أخرى انفجر (مجدي) في الضحك، حتى دمعت عيناه، ثم قال وسط ضحكاته:

- أفجر ماذا؟... هاها.. أهذا ما ظننته حقًا؟... ألم أقل لك أنك تسرف في مشاهدة الأفلام من قبل.. كنت دائمًا تود أن تمثل في السينما، وها أنت الآن تحاول صناعة فيلمك الخاص، لتكون بطله..

- لكن أليس هذا ما تخطط له؟ نشر الفوضى؟
- نعم.. لكن ثمة طرق أكثر رقيًا للحصول على هذا... أنا لست قائد عصاية لو كنت تظن هذا..
- الآن تدعي الرقي.. بعد كل الدماء التي سالت، وبعد كل الجرائم التي ارتكبتها، والتي دفعنا لارتكابها.. يا لك من صفيق..
- قلت لك إنها خسائر ضرورية لنجاح المنظمة... أي نجاح له ثمن..
- وقريبًا ستدرك هذا.. قريبًا سيدرك العالم كله هذا..
- كان ارتجاء في قد توقف، وبدأت أستعيد السيطرة على نفسي، فجلست أمامه، لأقول وأنا أثبت عيني في عينيه:
- لكنك تعرف أنني لن أتركك.. سأظل وراءك لأحطم كل خططك..
- إفعل ما في وسعك.. كما قلت لك، المنظمة لا تتوقف علي... ربما يكون دوري هو تنفيذ الخطوة الأولى، لكني لن أكمل المخطط كله بمفردي..
- إذن، فخطوتك الأولى هذه لن تتم..
- ومن معك لتوقفني؟... العجوز (فرانسو)..
- لا أحتاج لأحد...
- تراجع (مجدي) في مقعده، وأسند وجهه على راحته، وهو ينظر إلي مبتسمًا، ليغمغم:
- ما زلت كما أنت يا (سامي)... منذ حادثتنا وأنت أكثرنا عنادًا..
- أجبت بقسوة:
- ومنذ حادثتنا وأنت المعقد النفسي الذي يعذب نفسه بلا هوادة ولا رحمة.. دائمًا ما كنت تضع القوانين والنظم، لترهق نفسك أكثر.. والآن أنت تريد أن تنتقم مما فعلته في نفسك..

- كنت أظن أنني الطبيب النفسي.. لكن تحليلك خطأ يا عزيزي..  
صدقني.. حين تمارس الطب النفسي، وترى كم القبح الإنساني، ستجد  
نفسك مدفوعاً للتساؤل عن سبب هذا القبح، وعن إذا كانت هناك  
طريقة للتخلص منه..

- وتحطيم الأنظمة هو الذي سيحل هذه المشكلة؟  
ربما لا.. لكنه سيعطيكم الفرصة... أنتم تسيرون كأحصنة الجر،  
التي يضعون عصابة على عينها حتى لا ترى إلى أين هي ذاهبة، لكنها  
في نفس الوقت، لا تتوقف عن الحركة مع كل لسعة سوط.. ما سأفعله،  
هو أنني سأنزع عنكم هذه العصابة، وسأترككم ترون بأنفسكم حجم  
الهاوية التي وصلتكم إليها..

- ستثير العالم كله عليك... لن أطارذك وحدي حينها، بل العالم  
كله..

- سأكون مستعداً... والآن..

ونظر إلى ساعته، وهو يخط بعض الكلمات على الصحيفة التي  
يقرأها ليقول:

- أنا في حاجة للتخلص منك الآن كما تعرف. لذا سأخبرك بشيء  
ما... أنت تعرف المطعم الذي تعمل فيه زوجتك الفرنسية.. بعد ربع  
ساعة من الآن ستستلم طرد مرسل إليها، ويحمل اسمك، وبالطبع  
ستفتحه.. إنه يحمل اسمك، والمرأة التي فتحت صندوق (بندورا)، لن  
تمانع في فتح طرد من زوجها، حينها... بووووم... ستتحول إلى أرمل يا  
عزيزي، ما لم تتقدها...

حدقت فيه ذاهلاً عاجزاً عن النطق، وقد فقدت حتى القدرة على  
التفكير...

هل هذا ما كنت أسعى إليه؟.. أواجهه ليهزمني، ثم يضعني في هذا الموقف المعقد؟

ما الذي يحدث؟

"أنصحك أن تسرع فالمطعم ليس بقريب.."

قالها (مجدي) مبتسماً بسخرية قاتلة، فلم أجد أمامي إلا أن أمنحه نظرة مقت، والغضب يجري في عروقي مكان الدم، لأقول متوعداً:  
- سنلتقي مجدداً... أعدك بهذا..

- سأكون في انتظارك... وأبلغ (فرانسو) أنه لن ينجو من عقابي..  
وبمرارة غادرت الشقة لأسرع هابطاً إلى أسفل، بأقصى ما أوتيت من سرعة...

لماذا ذهبت لأنقذ (جين)؟... حسناً، لأنها امرأة.. ولأنها زوجتي..  
لم أكن لأحتمل أن أتركها تنفجر، وأظل أنا أقف عاجزاً أمام (مجدي)، فلا زالت غريزة رجل الشرطة، في أعماقي تحركني، رغم كل شيء..

وهكذا لك أن تتخيل دهشة سائق سيارة الإسعاف الذي كان في انتظاري طيلة هذا الوقت، ليجدني أندفع من المبنى، متجهاً له لأقول:  
- معذرة..

وقبل أن يفهم، كنت قد أزحته من على المقعد، لأحتل مكانه.. أشغل المحرك.. أنطلق بصريير مدوي، وقد استعاد رجل (فرانسو) القدرة على النطق، ليصرخ، وأنا أبتعد بسيارة الإسعاف:  
- هيبه... توقااا..!!

لكنني شغلت سارينة السيارة بأعلى صوت ممكن، لأزيح السيارات من طريقي، منطلقاً بأقصى سرعة سمح بها حجم سيارة الإسعاف، متجهاً إلى المطعم الذي تعمل في (جين)...

ربع ساعة خسرت منها خمس دقائق حتى الآن، وهذا يعني أن أمامي عشر دقائق لأصل إلى المطعم... حتى لو فعلتها، كيف سأنقذ الموقف حينها؟!

أنا لا أعرف شيء عن إبطال القنابل!!  
لا بأس.. لنصل أولاً، ثم سيحين وقت الارتجال، لكن الشارع اللعين لا يريد أن يتحرك!!

بدأت أضغط على بوق السيارة، لأضيف مزيد من الضوضاء، فبدأت السيارات، تبتعد من طريقي في فزع حقيقي، وبدأت سرعتي تتزايد...  
بأقي ثمان دقائق...

أنا أعرف بعض الطرق المختصرة، لكن هل سيكفي هذا؟!  
بحسم، قررت الاتجاه عكس السير، لبدأ المرح الحقيقي...  
سبع دقائق...

بدأت أسمع صفير سيارات شرطة، وقد قررت اللحاق بي من باب استكشاف الموقف، ليتحول الأمر إلى مطاردة شرسة. كأن هذا ما كان ينقصني..  
ست دقائق..

بعد يومين سيصبح (مجدي) فوق كل القوانين والأعراف... بعد يومين سينفذ مخططه الرهيب، فما الذي يسعى إليه بالضبط؟!  
لأركز على الطريق..  
خمس دقائق..

ها هو المطعم يقترب، لكن الجسر مزدحم بحق، ولن أجد الوقت الكافي إلا لو...  
ها أنا أترك السيارة، لأبدأ في القفز فوق أسطح السيارات، على



الجسر متجهًا إلى المطعم، وقد بدأت أخيرًا أشعر بفائدة التمارين التي دفعتني (مجدي) للقيام بها...

أربع دقائق...

أكاد أقترّب من المطعم، لكنني أسمع سيارات الشرطة من خلفي تقترّب... متى سيبدأون في إطلاق النار؟

ثلاث دقائق..

أقتحم المطعم كمجنون، لأسرع إلى حيث وقفت (جين) قرب المطبخ، وهي تحمل ذلك الطرد الضخم بكلتا يديها، لأختطفه منها، ولتطلق هي صرخة دهشة مذعورة..

دقيقتين...

أندفع إلى باب المطعم الخلفي.. أنا أحمل القنبلة الآن، لكنني لا أعرف كيف سأصرف بها.. أرجوك يا إلهي أنقذني... أرجووك..

دقيقة..

أصل إلى الزقاق خلف المطعم، فألمح حاوية القمامة المعدنية، فلا أضيع الوقت في التفكير، بل ألقي بالطرد داخلها، ثم أندفع بأقصى ما أوتيت من سرعة...

يدوي الانفجار...

الدوي الهائل يرج جمجمتي، واللهب يلفح ظهري، والموجة التضاغطية، تنسف زجاج النوافذ، لينهمر الزجاج عليّ كالطر. ويطير جسدي قليلًا قبل أن أهوي وسط الشظايا...

لكني - وبمعجزة! - أنجو..

حاوية القمامة امتصت معظم الانفجار كما تمنيت..

أقوم ببطء والآلام تنتشر في أنحاء جسدي.. لقد نجوت هذه المرة

بحق..

(مجدي) .. (مجدي) .. (مجدي) ..

لن أتركك إلا وأنت جثة هامدة!!

\*\*\*

بالطبع هربت يومها قبل وصول الشرطة، فلم أكن أريد أن أقضي ما  
تبقى لي من عمر، في التحقيق والاستجواب...

حتى لو أخبرتهم (جين) بهويتي، فلن يجدوني.. سيبحثون عن  
(أكرم رشوان) الذي لا وجود له، وحتى لو ذهبوا إلى السفارة، لن  
يصلوا إلى شيء...

أنا لن أتوقف، حتى أمسك بجثة (مجدي) بين يدي.. لن أتوقف، ولو  
دفعت حياتي ثمناً لهذا الهدف...

ولكن كيف؟؟

إنني الآن لا أعرف أين هو، وحتى لو وصلت إليه، فأنا عاجز عن  
إيذائه..

كيف سأقتل (مجدي) حتى لو كان واقفاً أمامي؟؟

كيف؟؟

## الفصل الثالث

# أشياء أسوأ تحدث!!



كان اللقاء الثالث مع الكونت (فرانسو) في غرفتي في الفندق، فلم أكن لأخاطر بالظهور في أماكن عامة، كما أنني سئمت الأماكن التي ينتقيها ذلك الرجل، كأنني حبه القديم..  
جاءني وهو يتميز غيظًا، وأخذ يدق الأرض بعصاه العاجية، وهو يصرخ:

- لماذا أنقذتها؟... كان يجب ألا تتركه يهرب مهما كان الثمن..  
- وما الذي فعله رجلك إذن؟.. لقد رأيته أهرب، فلماذا لم يتدخل هو؟

- ومن قال لك إنه لم يفعل؟.. لقد صعد إلى شقة الدكتور (مجدي) ليقبض هو عليه، لكن الوغد كان قد هرب بالفعل.. كل هذا لأنك تركت العالم كله، وأسعرت لإنقاذ امرأة لا تعرفها حتى..  
- إنها زوجتي!!

- هل تمزح؟... إننا في كارثة.. كارثة..  
ثم إنه جلس متأففًا على الأريكة الوحيدة في الغرفة، وأسند ذقنه على قبضته، ثم لازم بصمت دام لعشر دقائق، قال بعدها بهدوء نسبي:  
- على كل حال لا داع لنفقد أعصابنا.. ما الذي عرفته منه بالضبط؟

أجبت بضيق:

- أنه لن يفجر المفاعل النووي كما كنت تظن... وأنه يعرف أنك معي.. وأنه يخطط لضربة قوية، ستم غداً ما لم نوقفها..  
- ولا توجد لديك فكرة عن طبيعة هذه الضربة؟  
- لا..

- رائع.. لنفكر بطريقته إذن.. إنه يريد الإعلان عن منظمته، وهذا يعني أن هدفه سيكون إعلامياً بالدرجة الأولى.. ربما سيتعلق أيضاً بشيء سيحدث غداً..  
- شيء مثل ماذا؟

- احتفال ما.. زيارة أحد.. حدث ما سيكون غداً.. المشكلة أنه لا يوجد شيء في ذهني، يتعلق بالغد على الإطلاق.. إننا في (فرنسا)، وهناك عشرات الأشياء التي تحدث كل يوم، لكن لا يوجد بينها شيء محدد أعتقد أنه يصلح..

سألت وأنا أشعر بما يشعر به من قلق:

- وما الذي سنفعله إذن؟

تنهد هو، قبل أن يقول بأسف:

- سننتظر حتى يبدأ ضربته، ثم سنسعى إليه.. لقد خسرنا هذه الجولة حتى قبل أن تبدأ..  
- ثمة مشكلة أخرى.. أنا لا أستطيع قتله، أعتقد أنه عبث بعقلي أثناء التجربة..

صرخ (فرانسو) وقد فقد أعصابه مجدداً:

- ماذا؟.. ما الذي سنفعله إذن؟

- حتى الآن.. لا أعرف، لكن لا بد أن هناك حل ما.. الأمر لن ينتهي

بهذه الصورة.. لكنها مشكلتي على أية حال، وسأتصرف أنا لحلها..  
نعم يجب أن أتصرف...  
ولكن... كيف؟

\*\*\*

اليوم التالي كان بارد بصورة لا تصدق، كأن الطقس أراد أن يشاركنا  
رهبة الموقف..

كنت أجلس مع الكونت (فرانسو) في سيارته، في أحد ميادين  
(باريس)، ولم أكن قد حظيت بالنوم، منذ ليلة أمس التي قضتها في  
تجارب لا تنتهي، وكنا نتصت إلى إذاعة (باريس) المسماة (راديو٤)،  
في انتظار أي جديد...

خطتنا - التي تبدو ساذجة - هي أننا سننتظر حتى يقوم (مجدي)  
بخطوته الأولى، ثم سنسعى لتحديد موقعه، لنهجم عليه.. وهذا يعني  
أننا نراهن على حسن حظنا لا أكثر، لكننا لم نكن نملك ما هو أفضل  
من النوايا الطيبة..

قلت لك أننا كنا ننتظر أن يبدأ (مجدي) خطوته الأولى... لكن ما  
حدث هو...

\*\*\*

حاول أن تتخيل اللقطات التالية معي على أنها جزء من فيلم  
تسجيلي... حاول أن تراها من عين كاميرا فيديو ديجيتال، حيث تبدو  
الصور مزيجاً من الواقع والخيال، ولا يوجد ما يقنعك بطبيعية ما تراه  
سوى اهتزاز الكاميرا المستمر مع الحركة..

نحن الآن في حديقة (تولوري) ، لكننا هذه المرة سنتجه إلى اليمين قليلاً لننتجه إلى متحف (أورساي Musee d'Orsay) الشهير...

هذا المتحف كان محطة قطار في يوم من الأيام، وفي عام ١٩٠٠ اقترح الرسام (إدوارد إيتاي) أن يستبدلوا هذه المحطة بمتحف المدينة، لأنه أجمل بكثير، وأبقى بأن يكون متحفاً عن المتحف ذاته، وتحولت سحرته هذه إلى حقيقة عام ١٩٨٦ حين تحولت المحطة إلى متحف، يقصده كل من يبحث عن لوحات الفن الإنطباعي × ، أو من يبحث عن مكان أثيق ليحتسي القهوة في المطعم الشهير الملحق بالمتحف..

نحن الآن نقف عند مدخل المتحف، حيث يقف رجال الأمن بملابسهم الزرقاء. تلك الوقفة المتراخية المعتادة.. نحن في فيلم تسجيلي، لذا لا نتوقع أن تهجم عصابة ملثمة على المكان لتسرق كل ما فيه، بل كل ما سنركز عليه، هو مدير الأمن الذي يصغي لشيء ما عبر جهاز اللاسلكي..

نقترب أكثر لنسمع الصوت الممتزج بالشوشرة الاستاتيكية، يقول:  
- (كلود) ... انشر الرجال في هدوء وصمت عبر المتحف... جاءني اتصال يقول أن هناك قنبلة فيروسية في المكان.. يجب إخلاء المتحف، لكن بهدوء ونظام..

بالطبع نحن نرى التوتر والانفعال وعدم التصديق على ملامح مدير الأمن، ونراه يتجه إلى غرفة الأمن، ليتحدث مع بعض رجاله همساً، ثم نراه يمسك بالميكروفون الداخلي، ليقول:

- نعتذر للسادة الزوار عن إغلاق المتحف مبكراً هذا اليوم.. لذا نرجو من الجميع التوجه إلى باب الخروج.. أكرر.. نرجو من الجميع التوجه إلى باب الخروج..



تتصاعد تعليقات الدهشة والاستنكار من بعض زوار المتحف، ويتجه بعضهم إلى باب الخروج، في حين يتلأأ البعض الآخر، وقد بدأ رجال الأمن. دفع الجميع للمفادرة. بنوع من العصبية..

وفجأة يسمع الجميع صوت انفجار مكتوم صادر من السقف، فترتفع كل العيون لترى تلك الزجاجات التي تهوي من أعلى. لتتهشم على الأرض الرخامية، لينتشر ذلك السائل الشفاف على الأرضية..

نرى كل هذا عبر الكاميرا، ونرى الزوار وقد ازدادت سرعة توجههم للمخرج، لكن صوت مدير المتحف، يدوي في جهاز اللاسلكي الذي يحمله (كلود)، الذي كان يقف أمام الميكروفون الداخلي، في تلك اللحظة بالذات..

وعبر ميكروفونات المتحف، يسمع الجميع التالي:

- كلود... لا تسمح لأحد بالخروج... سينتشر الفيروس إلى الخارج..

هنا تتصاعد الشهقات من الجميع، وبعض الصرخات المذعورة. وهنا يتخلى الفرنسيون عن وقارهم المعتاد، ويبدأون في الاندفاع نحو المخرج بلا انتظام. كما هي العادة في مثل هذه المواقف، فلا يجد (كلود) أمامه سوى تشغيل جهاز الأمن، لتتهبط تلك الأبواب المعدنية على جميع المخارج، ليصبح كل من في المتحف أسيرًا في الداخل..

تهتز الكاميرا أكثر، وهي تنقل لنا حالة الهياج التي أصابت الجميع.. من في الداخل يحاولون الخروج، ورجال الأمن يحاولون منعهم، والصرخات تتعالى أكثر فأكثر مع مرور الوقت، ويحاول البعض الهجوم على غرفة الأمن، فلا يجد (كلود) مفر من أن يستخدم مسدسه ليطلق رصاصة تحذيرية في الهواء...

وكان هذا أكبر خطأ ارتكبه (كلود)..  
فمع دوي الرصاص، تحولت حالة الهياج، إلى ثورة هائلة، وقد بدأ  
الجميع في الهجوم على كل شيء..  
الأبواب المعدنية... رجال الأمن.. اللوحات.. الزوار..  
كل هذا اختلط في ثورة فوضوية عارمة، وتعالى الصرخات وتعالى  
معها دوي الرصاصات  
، وقد بدا لرجال الأمن، أنه لم يعد أمامهم حل بديل...  
ومع سقوط أول ضحية، تحول الأمر إلى مذبحة...  
كل هذا نراه عبر الكاميرا التي تسقط أرضاً، لتنتقل لنا عشرات  
الأقدام تجري هنا وهناك، وبعض الدماء تلتطخ عدسة الكاميرا..

\*\*\*

المشهد الثاني لهذا الفيلم التسجيلي، سيكون أمام بنك (فرنسا)  
المركزي...  
هذه المرة نرى الحراسة المشددة أمام البنك، ونرى من على بعد،  
السيارات المصفحة التي تنقل ملايين الفرنكات تقترب، يحيط بها فريق  
أمني كامل...  
هذا يوم نقل الأموال إلى خزانة البنك، الذي يعد من أكثر بنوك  
العالم أماناً وشهرة..  
كنت أتمنى أن أشرح لكم بعض التفاصيل الهامة، بما أننا في فيلم  
تسجيلي على كل حال، لكن الأحداث توالى بسرعة هذه المرة، دون أن  
تترك لنا الفرصة، إلا لنقلها بأمانة تامة..  
فجأة.. توقف شخص ما بسيارته أمام القافلة المتجهة للبنك، بصورة

سدت الطريق أمامهم، ليترك سيارته، ويعدو مبتعداً عنها بسرعة...  
صحيح أن فريق الأمن المحيط بالقافلة، مدرب على تنفيذ العديد  
من الخطط في حالة أي هجوم متوقع، وأول هذه الخطط هي التراجع مع  
ترك جزء من الفريق الأمني لتعطيل الهجوم، والاتصال بقوات الأمن  
الجمهوري للتدخل، لكن الأحداث - وكما أخبرتك - توالى بسرعة لا  
تصدق..

انفجرت السيارة التي تسد الطريق فجأة بدوي هائل. وارتفعت منها  
النيران والأدخنة، لتطلق أبواق الإنذار من عربات فريق الأمن، وأطاح  
الانفجار بمن هم في المقدمة، وأثار حالة لا بأس بها من الهرج...  
وقبل أن يعي أحد الموقف بالضبط، كانت الانفجارات تتوالى هذه  
المرّة، ولكن من عربات الأمن ذاتها!!

فجأة أخذت عربات الأمن تتفجر، واحدة تلو الأخرى، وأصبحت  
العربات المصفحة التي تحمل النقود، محاطة بالحطام واللهب  
والجثث... ثم أخذت هذه الأخرى في الانفجار..  
بصورة ما انفجرت جميع هذه السيارات، وتصاعد اللهب والصراخ  
من كل مكان، لكن الانفجار الأخير، دفع بالأوراق المالية في الهواء،  
لتطير في كل اتجاه..

ملايين الفرنكات تذرّوها الرياح...  
من صرخوا من الانفجارات وقفوا ذاهلين أول الأمر، وبعضهم ابتعد  
هلعاً، لكن من رأى النقود المتطايرة، لم يأخذ وقتاً طويلاً في اتخاذ  
قراره...

اقترب واحد لجمع ما يمكنه جمعه من هذه الغنيمة السهلة.. ثم  
انضم ثان.. فتالث..

ثم عشرة.. ثم عشرات..  
وتحول الأمر إلى فوضى حقيقية...  
الفرنسيون نسوا الجثث والدماء والنيران، واندفعت مسعورة، تريد  
أن تجمع أكبر قدر ممكن من النقود التي لا تزال الرياح تعبث بها، وتلقي  
بها هنا وهناك..  
وحين وصلت قوات الأمن الجمهوري، كان الأمر قد خرج عن نطاق  
السيطرة بالفعل، ولم يعد استخدام التفاهم مجالاً للمناقشة..  
اندفعوا بهراواتهم الغليظة، ليفرقوا الجمع المسعور، فسالت المزيد  
من الدماء، وازداد حماس القوم..  
فوضى... فوضى... فوضى..  
هذا ما تنقله لنا عدسات الكاميرا الآن، قبل أن تهوي عليها أحد  
هراوات رجال الأمن، لتهشمها تماماً..

\*\*\*

تنتقل بنا الكاميرا هذه المرة إلى مقر اللوموند الجديد...  
المقر عبارة عن مبنى أنيق في حي (فاندوم) جوار المركز التجاري  
الشهير، ونرى بعين الكاميرا مجموعة من الصحفيين والمسؤولين، وقد  
تأنقوا على أكمل وجه، ليحضروا هذا الحدث الجلل، وهم يصفقون  
لأنفسهم، بعد أن يتكرم كل واحد منهم بإلقاء كلمة أمام فريق التلفزيون  
الذي جاء ليصور هذا الحدث..  
المبنى الجديد مهمته الأساسية أن يستوعب الأعداد المتزايدة،  
لكن لإضفاء بعض الأهمية على الموقف، يقولون أن هذا امتداد لنجاح  
الصحيفة العريقة، التي تتزايد مبيعاتها باستمرار..

يقفون أمام المبنى لالتقاط الصور التذكارية. ثم يبدأون في الدخول إلى المبنى، يتبعهم فريق التلفزيون الذي وجد فقرة مسلية ليقدّمها للمشاهدين..

لكن كاميرتنا نحن نتوقف في الخارج، مما يمنحنا انطباعاً أن شيء ما سيحدث الآن..

شيء يستوجب عدم الدخول!!

يختفي الكل في الداخل ، نسمع صيحات الانبهار والمزيد من التصيف. ونرى انعكاس فلاشات الكاميرات على الزجاج الخارجي. لكننا نظل نصور هذا كله من الخارج، ومنتظر بترقب الكارثة القادمة لا محالة...

مشكلة الأفلام التسجيلية أنها بلا مونتاج، لذا يظل المشهد ثابتاً لفترة، دون أن يستجد جديد، مما قد يصيب المشاهد بالملل، ويدفعه لتغيير القناة. لكن...

لكن مزية الأفلام التسجيلية أنها تنقل لنا الأحداث بأمانة. دون تعديل..

وحين ينفجر المبنى فجأة بمن فيه، يبدو الانفجار أمامنا هائلاً مخيفاً، وألسنة النيران تتلوى في السماء، كأنها تودع أرواح من كانوا في الداخل. وتتطاير الشظايا حتى يصطدم بعضها بالكاميرا التي اهتزت بشدة مع الانفجار...

لقد انفجر مبنى اللوموند الجديد، ويبدأ دوي سيارات الإسعاف في إضافة المزيد من الدراما إلى المشهد...

لقد انفجر المبنى... وانفجرت معه أطنان وأطنان من الفوضى...

\*\*\*

كنت مع (فرانسو) في هذه الأثناء، نجوب شوارع (باريس) في سيارته، نبحث عن طرف خيط قد يكون (مجدي) نسيه هنا أو هناك، ونحن نتابع الهول الذي تتعرض له المدينة، والمذبة تهتف في الراديو: - إنها كارثة... والضحايا حتى الآن بالعشرات، على نحو لم تشهده (باريس) منذ الثورة الفرنسية.. ما الذي يحدث لنا بالضبط، وكيف انتشرت هذه الفوضى؟

بالطبع لم تكن المذبة تعرف، لكنني كنت أجد بصمة (مجدي) في هذا كله واضحة..

وكان (فرانسو) يردد بأسى:

- لقد فشلنا.. فشلنا، ونجح (مجدي) في مخططه، وبسهولة تامة..

أجبهته بثقة:

- مخططه لم ينته بعد.. إنه لم يعلن عن نفسه حتى الآن..

- وما حاجته لهذا؟.. أعماله تعلن عنه بنجاح..

- لكنه لن يقاوم حب الظهور.. لن يقاوم أن يقف بانتصار أمام عدسات الكاميرا، ليعلن عن مسئوليته الكاملة عما حدث، فهذا جزء هام من نجاح مخططه..

كنا قد اقتربنا من متحف (أورساي) حيث أخذت سيارات الإسعاف، في نقل الضحايا إلى المستشفى أو المشرحة، بعد أن أدركوا أن الزجاجات التي سقطت لم تكن تحوي سوى ماء عادي بلا أي فيروس، وأخذ (فرانسو) يراقب المشهد أمامه بصمت، وقد بدا عليه أنه مستعد للانفجار في أية لحظة، فلم أنطق بحرف، محاولاً مقاومة مشاعري، وتركيز أفكاري على نقطة واحدة..

أين (مجدي) الآن؟!!

ها هو قد قدم عرضه، ولا بد أنه سيسعى للحصول على تصفيق الجماهير.. هذا بديهي، وكفي أن تكون رجل شرطة لتدركه..

إذن أين سيكون الاحتفال الأخير؟!!

أخذت أفكر في إجابة هذا السؤال، معتصراً كل مخزون ذكرياتي منذ أن استيقظت في قسم الشرطة في القاهرة، وحتى وصلت إلى هذه السيارة التي أجلس فيها الآن..

الحل يكمن دائماً في أصغر النقاط التي تمر على البعض. دون أن تبدو ذات أهمية، لكنها تحمل مفتاح اللغز دوماً... هذا ما علمونا إياه في كلية الشرطة..

علمونا أن رجل الشرطة الجيد، يجب أن يتمتع بقوة الملاحظة والدقة..

علمونا أنه لا يفقد أعصابه مهما كان الثمن..

علمونا أنه يزيح مشاعره بعيداً أثناء العمل..

وعلمونا أنه يقاتل حتى آخر رmq..

حاول (فرانسو) نطق شيء ما، لكنني استوقفته بإشارة من يدي، واستغرقت في التفكير محاولاً البحث عن ألقه التفاصيل...

وبعد عشر دقائق، قلت بصرامة لا تقبل النقاش:

- فرانسوا... اتجه إلى المنزل الذي وجدنا فيه (مجدي) ..

- ولكن..

- نفذ دون تفكير... نحن لا نملك الوقت للجدل..

وهكذا انصاع (فرانسو) لمطلبي، واتجه بالسيارة، يشق طريقه وسط الزحام، متجهاً إلى ذلك المبنى في الحي الراقي في (باريس) ..

وطوال الطريق إلى هناك، لم ينطق أحدنا بحرف، حتى وصلنا،  
لأقول أنا:

- انتظرني هنا..

لم يجادلني هذه المرة، واكتفى بأن يهز رأسه بصمت، فأسرعت أنا  
إلى الأعلى حيث. شقة (مجدي) وأنا أدعو الله أنا أجد ما أنا ذاهب  
للبحث...

وفي الأعلى استقبلتني الشقة الخاوية، كما تركتها بعد لقائي الأخير  
مع (مجدي)، فأخذت أبحث بدقة في أرجاء الشقة، حتى عثرت - حمداً  
لله - على مبتغاي...

صحيفة (اللوموند) التي كان (مجدي) يقرأ فيها، حين دخلت  
عليه..

كان (مجدي) يخط عليها بضعة كلمات حين كنا نتحدث، لكنني لم  
أكن أعرف ما الذي يخطه، وفلم أجد الوقت لهذا، لكنني تذكرت وجئت،  
ورأيت...

( عزيزي سامي.. أنا أعرف أنك ستعود لتقرأ هذه الكلمات، لكن لن  
تستطيع أن توقف المخطط.. ل وأردت لقائي، اذهب إلى هذا العنوان،  
وستجديني في انتظارك، فلدي مفاجأة أخيرة لأقدمها لك... مجدي)....  
ثم قرأت العنوان على الصفحة، وأنا أكاد لا أصدق نفسي..

إنه يرشدني إلى الطريق إليه...

إنه في انتظاري..

وأنا ذاهب إليه..

خرجت من الشقة لأعود إلى (فرانسو) الذي كان يتعذب من اللهفة،  
التي خرجت جلية في صوته وهو يسألني:



- هل عثرت على شيء؟

منحته الورقة التي تحمل العنوان في صمت، فقرأ هو السطور التي كتبها (مجدي)، ليهتف بانفعال:

- هل ستذهب إليه؟

- نعم..

- لكنه ينتظر هذه المرة.. أعني أن الأمر سيكون خطراً..

- لنتحرك إذن، فأنا في شوق لأضع نهاية لهذا كله..

ولم يجادلني (فرانسو) هذه المرة، فهو كان يعرف أنني قد اتخذت قراراً، وأنتي سأذهب إلى العنوان على كل حال، فأدار محرك السيارة. وبدأ يتحرك بنا وهو يقول:

- لن يكون الوصول إلى هناك سهلاً، مع كل الفوضى التي سببها هذا المجنون..

- لنسرع إذن..

وأخذنا نشق طريقنا بصعوبة، متجهين إلى حيث سألقى مصيري.. سيكون هذا آخر حدث لهذا اليوم، لكن ما سيحدث لن يكون مجرد مواجهة بين غريمين.. بل سيكون النهاية..

\*\*\*

كان العنوان هو أحد القصور في منطقة نائية في الريف الفرنسي، وكان (فرانسو) يرمق القصر وهو جالس جوارى. ويبدو عليه قلق لم أره عليه من قبل..

(مجدي) الآن في الداخل.. نحن نعرف هذا، لكننا لا نعرف ما الذي يخبئه لنا هذه المرة، وهذا يثير توتره إلى أقصى حد..

بالنسبة لي، لم أكن أشعر سوى برهبة الموقف مع الكثير والكثير من الغضب..

على نحو يقيني، أعرف أنني لو دخلت هذا القصر، فلن يعود أي شيء كما كان..

على نحو يقيني أعرف أنها نهاية هذه الأحداث، وهذا في حد ذاته مريح لدرجة أنني مستعد للموت ذاته، لو كانت هذه هي النهاية المنتظرة.

قلت باقتضاب من لا يوجد لديه أدنى استعداد للمناقشة:

- (فرانسو).. غادر المكان، ولا تعد بمفردك هذه المرة..

- (سامي).. أكرر أن دخولك بمفردك حماقة لا داعي لها..

لكني لم أجه، بل غادرت السيارة، واجتزت بوابة القصر المعدنية لأشق طريقي إلى المدخل، وقد أخذت أحسس مسدسي في جيبتي بتوتر..

وصلت إلى المدخل، فالتقطت نفساً عميقاً، ثم فتحت البوابة

الضخمة، وليطالعني المشهد في الداخل، ولتسع عيناى بانبهار..

ففي الداخل كان المكان أشبه باستديو تسجيل، بالكاميرات، ومصابيح الإضاءة الضخمة المعلقة، وفي مركز البهو طاولة بيضاء صغيرة ومقعدين. كأننا في استديو تصوير أحد برامج اللقاءات السخيفة، وقد أخذت مجموعة العمل في التحرك هنا وهناك، وكلهم يحملون ذلك التعبير الجامد القاسي على وجوههم..!!

مجرد إرهاب بسيط في اليوم التالي..!

في ركن البهو تراصت مجموعة من أجهزة الكمبيوتر أخذ البعض يعملون عليها بهدوء تام، وقد بدا أن الصمت هو الطابع الغالب على

المكان إلا من صوت حركة أحدهم هنا أو هناك، وقد بدأت أميز أن معظم الوجوه أمامي فرنسية، وإن لم تخل من بعض الوجوه المصرية... (مجدي) لم يضع وقته إذن، بل كان يعد عدته منذ زمن طويل، وإن كنت لا أفهم. كيف أقتع جميع هؤلاء بالخضوع لتجربته في التنويم المغناطيسي...

التفسير الوحيد هو أنه لا يعمل وحده كما قال من قبل.. لكن.. ماذا عن موقع التصوير هذا؟

ما الذي يستعد لتصويره؟

"سامي.. مرحباً.. لم تتأخر كما توقعت"

التفت لأراه متجهاً نحوي هابطاً الدرج، وهو يبتسم بثقة، داساً يديه في جيب معطفه. وهو يواصل:

- هه.. هل رأيت الحفل في الخارج؟

أخرجت مسدسي رغم علمي أنني عاجز عن استخدامه، فأتخذ هو مكانه على أحد المقعدين أمام الطاولة، وهو يقول مشيراً لي بالجلوس:

- سامي.. ألم نخض هذا الموقف من قبل؟.. تعال واجلس، فالحفل على وشك الانتهاء..

كان قلبي يخفق بعنف، وشعوري بالعجز عن إفراغ مسدسي في رأسه يقتلني، إلا أنني قررت مجازاة الموقف إلى نهايته، لأقول:

- أنت قاتل يا (مجدي)... هذا هوما نجحت في إثباته بلا أدنى تقصير..

- هل تتدعي الحمق؟.. انظر إلى كم الفوضى الذي أحدثته، دون أن أضطر إلى تنويم أحد مغناطيسياً.. الذي حدث اليوم هو نجاح ساحق للمنظمة..

- لكنك لن تخرج من هذا القصر هذه المرة.. (فرانسوا) سيأتي  
بنصف شرطة المدينة معه

- دعه يأتي.. لقد نفذت خطوتي على كل حال، ولم يعد هناك فارق..  
بقي أن نضع خاتمة أنيقة لحفلنا هذا..

ثم أنه أشار إلى العاملين، فارتفع هدير كاميرات التصوير، وبدأ من  
يعملون على الكمبيوتر، في العمل بسرعة أكبر، بينما (مجدي) يشرح:  
- ما سيحدث الآن سيتم بثه على الهواء مباشرة إلى جميع المحطات..  
الكاميرات تعمل، وفريق الكمبيوتر يتحكم في الأقمار الصناعية الآن،  
لذا اجلس قلدي ما أخبرك به..

على الهواء مباشرة!!

إنه يمزح!!

إنني لن أستطيع قتله على الهواء مباشرة..!!

لكنه كرر بذات الهدوء المستفز:

- اجلس يا (سامي).. أنا أعرف أنك تريد أن تسمع ما سأقوله لك  
الآن..

- ما أريده هو أن أقتلك..

- ستفعل لو نجحت في الاختبار التالي.. والآن اجلس، ولا تخش  
شيء، فلن تظهر أمام الكاميرا.. وهذا يمنحك الفرصة لقتلي دون أن  
يراك الملايين.. ألم أقل لك لا تخف؟..

تقدمت تجاهه ببطء، لأتخذ مكاني أمامه على المقعد المواجه  
له، ويدي لا تزال تقبض على المسدس، فاسترخى هو، ليقول مواجهًا  
الكاميرات:

- حسنًا.. اسمحوا لي أولاً أن أقدم لكم نفسي.. أنا الدكتور

(مجدي) .. المسئول الوحيد عن كل الأحداث التي جرت اليوم في (باريس) .. نعم .. كل الفوضى التي شاهدتموها اليوم من تخطيطي أنا، وأعتقد أنكم تريدون أن تفهموا لماذا فعلت هذا بالضبط .. ثم إنه أشار إليّ، كأنه يقدمني لجمهور خفي:

- اسمحوا لي أولاً .. أعرفكم بصديقي (سامي) .. صحيح أنه وجهه غير ظاهر أمامكم، لكنه ضابط شرطة سابق، وهو هنا ليقبلكم كما هو واضح، لكنه قبل أن يفعل هذا - لو استطاع فعله - سيشاركني في هذا اللقاء الأخير بيننا .. بالمناسبة أعرف أن الإرسال سيتم تعقبه، وأنكم ستحاولون الهجوم على المكان بعد قليل، لكن الأمر انتهى بالفعل .. وهذا ما ستفهمونه حالاً ..

أشعر كأنتي في حلم عجيب، وجسدي يرتجف بشدة وأنا أحاول السيطرة على سلاحي لوضع حد لهذا بضغطة زناد، لكن (مجدي) واصل:

- اليوم هو الإعلان الرسمي عن منظمة الفوضى. وهي منظمة الواضح أن الهدف الأساسي منها هو نشر الفوضى وتحطيم الأنظمة في كل مكان .. لماذا؟ لأنكم كما قال (تشيخوف) من قبل، تعيشون حياة سيئة مملة، ولو أدركتم هذا، لربما سعيتم إلى تغييره، وإلى أن تفعلوا، أنا هنا لأقول لكم أنكم تحبون حياة سيئة مملة .. لا بد أنكم تتساءلون الآن كيف فعلت ما فعلته .. حسناً، لقد أشرت لكم على أول طريق الفوضى، فاندفعتم أنتم بلا تفكير لتتجزوا لي المهمة، وإلا كيف ستفسرون ما حدث في متحف (أورساي) اليوم؟ زجاجات ماء تسقط وإشاعة صغيرة، ليبدأ حفل القتل الجماعي .. أحد أهم سيارات نقود تنفجر، فيفقد الجميع وقارهم أمام الملايين الملقاة .. إنني أتساءل حقاً

إن كنتم وجدتم من يذهب لمبنى اللوموند الجديد... على كل لقد تأخر الوقت كثيرًا..

هتفت بعصبية، وقد نفذ صبري ولم أعد أحتمل:

- كف عن هذا الهراء.. أنت مجرد قاتل، يريد إضفاء مبرر منطقي لكل أفعاله، لكن الحقيقة تظل أنك مجرد قاتل..

تجاهلني (مجدي) تمامًا.. بل أخذ يواصل وقد بدأ ينتشي بالفعل:

- ما فعلته اليوم أيها السادة هو أنني أطلقت أنصافكم المظلمة، ثم تركتكم تقومون بالباقي.. فعلت هذا من قبل بتجارب التنويم المغناطيسي، لكني فعلته اليوم دون أن ألجأ إلى شيء سوى حقيقة أننا لسنا متحضرين بالصورة التي نتمناها.. الغلاف الاجتماعي الذي نختبئ خلفه، كان بالهشاشة الكافية، لينهار أمام أول اختبار حقيقي..

- اليوم ستلتقى فروع منظمة الفوضى في جميع أنحاء العالم إشارة البدء، وما أستطيع أن أعدكم به، هو أن حياتكم لن تعود كسابق عهدها.. لماذا أكشف نفسي لكم بهذه الصورة إذن؟.. لأنها النهاية.. نهايتي هذه المرة.. فأنا تركت لكم أول الطريق، لكني لن أحتمل أن أحيأ معكم في هذا الجحيم الذي تحتملونه كل يوم.. لقد انتهى دوري عند هذا الحد، ولم أعد أريد أن أواصل.. حتى لو تم القبض عليّ، فحياتي ستنتهي بعد شهرين على أفضل تقدير.. بعض الأمراض تقتل كما تعرفون.. لذا قررت أن ينضم صديقي (سامي) إليّ في هذه اللحظات الحميمة لأعرض عليه وعليكم تأكيدًا فعليًا لنظريتي..

- ما الذي؟

- (سامي) كان يعمل كرجل شرطة في القاهرة، وكان متزوج من حمقاء، حين أجريت عليه التجربة، وإليك ما حدث له... لقد قتل عائلة

كاملة في قسم الشرطة الذي يعمل فيه. وطلق زوجته، ودمرت حياته، وها هو يجلس أمامي الآن ومسدسه في يده عاجزاً عن إيدائي... (سامي) ليس الوحيد، وهذا يعطيكم فكرة عما ينتظركم في الأيام القادمة.. اللعبة التي سنلعبها الآن هي التالي..

كنت أفكر في إطلاق النار على الكاميرات ونسفها، لكنني كنت عاجز تماماً عن الحركة..

تلك الإضاءة، وذلك اللون الأبيض المحيط بي مك كل مكان، يعطيني إحياء عجيب بأن أصغي دون مقاومة...

وتابع (مجدي) مهزلته التلفزيونية:

- (سامي) أنا أعرف أنك عاجز عن قتلي، لكنك إن لم تفعل سيقوم رجالي ببث إشارات تفجير لقنابل مزروعة في أهم وأشهر المباني في (فرنسا)، وسيعرف المشاهدون معي المعنى الحقيقي لكلمة فوضى، ولو نجحت في قتلي سيرى العالم كله النصف المظلم الذ كنت أتحدث عنه، وإضافة إلى هذا سيشتعل جهاز تفجير خاص سيمنحك عشرون ثانية فحسب لمغادرة القصر، قبل أن يطيح بكل من فيه، أي أنك ستكون السبب في موت جميع الموجودين هنا، وستكون الشرطة التي جاءت في انتظارك أنت.. الخيار لك يا عزيزي وأمامك دقيقة واحدة للاختيار، لذا أرجو من المشاهدين في المنازل، أن يحضروا ساعاتهم..

وأخيراً صمت (مجدي) واسترخى في مقعده، وأنا أصدق فيه في ذهول جارف، وعقارب الساعة تتسابق لإتمام هذه الدقيقة المتبقية..

لو قتلته سأموت مع من هم هنا، ولو لم أفعل سيموت كل من هم في المباني التي زرع فيها (مجدي) قنابله..

لو قتلته سأثبت صحة نظريته للعالم أجمع، ولو لم أفعل سأثبت نجاحه للعالم أجمع..

دقيقة واحدة أمامي على الهواء مباشرة لأتخذ قرارى، مع علمى  
بأننى عاجز عن قتله حتى لو قررت هذا..  
تحدث (مجدى) محاولاً تشجيعى:  
- هيا يا (سامى).. أنت لست بهذا الضعف الذى تظنه.. لقد كنت  
أفضل من أجريت عليهم التجربة...  
الخيار أمامى محسوم..  
سأقتل الوغد، حتى لو مت أنا ومن هنا معه... ستكون هذه خسارة  
أقل على كل حال!

- (سامى) حاول أن تركز.. أن تستعيد سيطرتك على عقلك.. دع  
نصفك المظلم المتحكم.. اسمح لمستر (هايد) بالعودة وهو سيتولى  
الأمر كله نيابة عنك..

لكن.. حتى لو قتلته.. من أدرانى أنه لن يفجر هذه المباني على كل  
حال! لقد وضع خطته بالفعل، ورجاله سينفذونها حتى بعد موته..

- تذكر الحياة المحترمة التى كنت تحظى بها كرجل شرطة، وكيف  
انتزعتها أنا منك، لأحرمك حتى من اسمك..

ولو لم أفعل.. الشرطة ستأتى، لتحاول إلقاء القبض عليه.. لكنه لن  
يقبل أن يموت فى السجن بمرضه هذا الذى تحدث عنه..

سيتصرف كما يفعل كل من هم فى موقفه، وسيهد المعبد على رؤوس  
الجميع..

لهذا أتى بى إلى هنا...

لأمنحه نهاية أنيقة لحفله البغيض...

- تذكر مشهد ضحاياك.. تذكر كيف قتلت صديقك (على).. تذكر  
واسمح لـ (هايد) بالخروج..



الوقت يمر، والثواني توشك على النفاذ. ولا بد أن المشاهدين في المنازل الآن، يتساءلون كيف ستنتهي هذه الفقرة الأكثر إمتاعاً في التاريخ!!

ربما لو أمكنني تخطيط أجهزة الكمبيوتر.. لكن هل سيدعني أفعّلها، أم؟!!

- تذكرها.. تذكر (مايا).. لقد كانت تحبك منذ أن كنت تحت تأثير التجربة..

هنا فقدت تركيزي تماماً، فابتسم هو ليردف:  
- أتعرف؟.. لقد كانت نموذجاً فريداً من نوعه، خسارة أنني قتلتها في المستشفى و..

- مستشفى؟!!!  
- ألم يخبروك؟... (مايا) لم تلق مصرعها في تلك الليلة مثلك، ولقد نقلوها إلى أحد المستشفيات، والواقع أنها كانت تملك فرصة طيبة للنجاة، لكنني لم أكن لأخاطر بأن تخبر أحد ما تعرفه.. لذا دع خيالك يحكي الباقي.. أنا أتسلل إلى المستشفى.. حقنة هواء.. وفاة تضع حداً لحياة هذه المسكينة.. لقد كن..

لكنه لم يكمل عبارته هذه أبداً...  
لم يستطع...

كل ما فعله هو أنه حدق في الثقب الذي نبت في صدره مكان القلب، والذي بدأت الدماء في السقوط منه، ثم في الأدخنة التي تصاعدت من فوهة مسدسي، ليبتسم مرة أخيرة، وهو يهمس:

- لقد نجحت...  
ثم تهاوى رأسه على صدره أمام الكاميرا، ثم سقط من على المقعد مطلقاً حشجة أخيرة...

لقد خرس (مجدي)....

لقد خرس (مجدي)....

لقد خرس (مجدي)....

كانت بركة الدماء التي تتكون أسفل جثته، إلا أنني أطلقت رصاصة على الكاميرا التي تصور المشهد، واتجهت إلى جثة صديق العمر لأنحني عليها، كأنني أريد أن أتأكد من أنها النهاية بحق..  
قاعة بيضاء والضوء يغمرنا من كل اتجاه. وأنا أنحني على جثة (مجدي)..  
الآن أنا أفهم سر ذلك الحلم العجيب.. ترى؟!.. أهو أحد قدراتي المنتظرة؟!

لكن الصوت الآلي تصاعد من أحد الأجهزة:

- التفجير الذاتي بعد عشرون ثانية...

ثم بدأ العد التنازلي، وقد بدأ دوي سيارات الشرطة يأتي من بعيد،  
وقد جاءوا - متأخرين - كالعادة..

يجب أن أخرج من هنا... فلم يعد هناك ما يمكنني أن أفعله هنا..  
مستر (هايد) اتخذ قراره الأخير، وها هي جثة (مجدي) تعلن عن  
نجاح وفشل كلينا..

يجب أن أخرج الآن وأنا أعرف - آسفًا - أنني لن أستطيع إنقاذ  
أحد هنا.. لكنني أمل أن أكون قد أوقفت المهزلة التي كانت ستحدث لو  
فجر (مجدي) هذه المباني التي تحدث عنها..

أسرعت متجها إلى المدخل، وقد شارف العد التنازلي على نهايته،  
ثم خرجت إلى الحديقة الأمامية. وأنا أجاهد للسيطرة على نفسي  
مجددًا..

لقد قتلت (مجدي) ... فعلتها أخيراً..  
أنقذت البعض، لكنني ضحيت بحياة كل من في الداخل..  
أنا كنت أملك الخيار. ولقد اتخذته بالنيابة عنهم..  
والآن هم يتحركون الآن في الداخل، يحملون ذلك التعبير الجامد  
على وجوههم، دون أن يؤثر فيهم ذلك العد التنازلي على الإطلاق..  
لا.. يجب أن أعود!!!!  
لو كان هؤلاء المساكين سيلقون مصرعهم بسببي، إذن يجب أن أكون  
معهم..

لقد انتهت مهمتي على كل حال..  
وهكذا استدرت مزمعاً العودة إلى القصر، ودوي سيارات الشرطة  
يقترّب أكثر فأكثر، لكنني لم أكد أقترّب من المدخل، حتى دوى  
الانفجار..

قنبلة من الضوء تنفجر في وجهي.. ثم جسدي يطير إلى الخلف  
كقذيفة... ثم الدوي الهائل.. ثم.. ثم..  
ثم يظلم كل شيء...  
إنها النهاية!

\*\*\*



## الفصل الرابع والأخير

# أشياء ستحدث!!



حين استيقظت، طالعني وجه السيد (صلاح)، وهو ينظر إليّ  
بإشفاق..

كنت أستلقي على فراش مريح، في مستشفى كما هو واضح، وكنت  
أشعر بأنني عاجز حتى عن تحريك عيني...

بأبوية صادقة، ربت السيد (صلاح) على رأسي، قائلاً:

- لقد نجوت مرة أخرى يا عزيزي..

جاهدت أنا ليتحرك لساني أخيراً فقلت:

- (مجدي) ..

- لقد عثروا على جثته... لقد انتهت مهمتك عند هذا الحد..

(مجدي) مات إذن... الكابوس انتهى.. رحل بلا عودة..

كنت أشعر يارهاق لا حد له، بينما قال السيد (صلاح):

- أنا لا أصدق كيف فعلت الذي فعلته، ولا كيف نجوت من هذا كله،

لكن المهم أنك على قيد الحياة.. والأهم أنك لم تعد مضطراً، للعودة إلى

الماضي أبداً.. أبداً..

بدا لي قوله هذا غامضاً، إلا أنني كنت أغيب عن الوعي ببطء، ولم

ألبث أن استسلمت لنوم عميق، أخذت أحلم فيه..

لم يكن ذلك الحلم المعتاد عن القاعة والجثة والرجل الذي ينحني

عليها، بل كنت أحلم بها هذه المرة..

ب (مايا)..  
كنت أراها تنظر إلي..  
وتبتسم..

\*\*\*

بالطبع لم يمر هذا اليوم على (فرنسا) مرّ الكرام، ولقد قدر عدد ضحايا أحداث الفوضى التي حدثت بالعشرات...  
صحيح أن معظم التهم وجهت لـ (مجدي) ومنظمته، لكن الحقيقة كانت مذكورة واضحة في أعين الجميع..  
(مجدي) لم يفعل شيء سوى أنه منحهم شرارة الانطلاق... وكل العنف الذي نتج بعد ذلك كان من أعماقنا نحن..  
كانت هناك تحقيقات طويلة، والكثير من الاتهامات، والكثير من الجثث. لكن الكابوس انتهى أخيراً..  
وببطء واثق، بدأت مدينة النور والجمال، تستعيد ثقته بنفسها، وبدأت الحياة تعود إلى سابق عهدها. وقد تحول يوم الفوضى الذي صنعه (مجدي) إلى ذكرى مؤلة، لن تُمحى من ذاكرة من عايشوها بسهولة..  
ففي هذا اليوم رأى الناس مدى القبح الذي يخفونه في أعماقهم..  
في هذا اليوم، كشفت حقائق يعرفها الجميع لكنهم يتجنبون التحدث عنها بأي صورة من الصور..  
صحيح أن متحف (أورساي) دمر تقريباً، لكن الإصلاحات الحديثة، قادرة على فعل المعجزات..  
صحيح أن ملايين الفرنكات اختفت، لكن التأمينات، والمخزون



الاحتياطي، ومعادلة الأسعار، ستغطي الخسارة..  
صحيح أن الكثيرين قد ماتوا في انفجار مبنى اللوموند الجديد ...  
لكنهم وكما قال (مجدي) .. مجرد خسائر معقولة لينجح المخطط..  
لكن هذه المرة لا يوجد مخطط، بل توجد أكداً من الأوراق التي يجب  
ملؤها، وأكداً من الحقائق التي يجب دفتها..  
لكن ورغم هذا كله، كانت (باريس) تعود إلى سابق عهدها...  
ثمة سحر تمتلكه بعض المدن كالإسكندرية و(باريس)، وهذا السحر  
الخفي لا يمكن أن يختفي بسهولة..  
لا يمكن أبداً..

\*\*\*

لم ينح (فرانسو) من عقاب (مجدي) له رغم كل شيء..  
فصحيح أن (مجدي) مات إلى أنه كان قد أرسل طرد ضخماً، إلى  
مقر صحيفة اللوموند الرئيسي..  
بالطبع تم استدعاء خبراء المتفجرات للتأكد من أن الطرد لا يحتوي  
على هدية أخيرة، من (مجدي)، لكنهم لم يجدوا أي قنبلة، فقرروا فتح  
الطرد..  
وكان ما عثروا عليه في الداخل أسوأ من أي قنبلة، وأعلى دويًا...  
جميع ملفات العمليات القذرة التي تقوم بها المخابرات الفرنسية،  
وقوائم طويلة بأسماء الفاسدين، والجواسيس داخل (فرنسا) وخارجها،  
وبالمبالغ التي يتم سرقتها سنوياً من ميزانية الحكومة...  
كل هذا مرفق معه صور للكونت (فرانسو) وهو يجلس مع (مجدي)،  
على مائدة، تحمل على سطحها رزمة من الملفات، وهكذا أصبحت إدانة  
الكونت (فرانسو) حتمية..

صحيح أنه اختفى بلا أثر، لكن (فرنسا) كلها تسعى خلفه الآن..  
وصحيح أن صحيفة اللوموند قد خسرت المقر الجديد لها، لكنها  
حظيت بسبق، لن يتكرر في تاريخها مرتين..  
لقد ترك (مجدي) لهم هديته الأخيرة..  
لقد كان يقول دومًا أن صحيفة اللوموند هي الأفضل على مستوى  
العالم، و(جين) ظنت أنه كان يقول هذا لإبهارها...  
(جين مونتان)..  
أنا مدين لهذه المرأة بشيء ما...

\*\*\*

اليوم طلقت زوجتي التي لا أعرف أي شيء عنها..  
يبدو الأمر ساخرًا، لكن هذه هي حياتي أيها السادة... سلسلة من  
الأحداث الساخرة الرهيبة..  
ذهبت معها إلى مكتب المحامي الذي اختارته، ولم تستغرق الأوراق  
منا وقتًا طويلاً كما كنت أتمنى..  
وحين حصلت على حريتها أخيرًا، قالت (جين) لي:  
- لو أردت أن تزورني في أحد الأوقات.. أعني كصديق..  
إلا أنني أجبتها ببرود قاس:  
- لقد كان الأمر كله صفقة، ولقد انتهت بالفعل..  
ثم تركتها دون أن أشعر بذرة ندم...  
اليوم طلقت زوجتي التي لم ولن أعرفها..  
لكم هذا مريح... لكم هذا جميل!

\*\*\*

لكن الأمور لم تنته عند هذا الحد..

فحين عدت للسفارة أخيراً، طلبني السيد (صلاح) إلى مكتبه، فاتجهت إليه على الفور. وأنا أعد نفسي، لجلسة استجوابات طويلة...

لكني ما إن دخلت عليه، حتى أشار إلي بالجلوس، وهو يتكلم بلهجة رصينة مهذبة، أدركت معها أن كارثة توشك على الحدوث:

- اجلس يا (سامي) فأنا أريد التحدث إليك قليلاً..

جلست أمامه، قد قررت أن ألوذ بالصمت، حتى يلقي بما لديه، فتابع هو:

- أعرف أنك عانيت الكثير طيلة الفترة الماضية، لكن بتخلصك من (مجدي)، أعتقد أن عبء ثقيل قد انزاح من على كاهلك... المشكلة الآن هي أن جئت إلى هنا بهوية جديدة، وتحت اسم (أكرم رشوان)، لكن هذه الهوية نسفت بعد ما حدث، ولم يعد بمقدورك العودة إليها..

وصمت قليلاً، كأنما يزن ما سيقوله، قبل أن يتابع:

- أنت متفق معي على أن هويتك القديمة ك(سامي) لم يعد لها وجود، وحتى لو أعدناك إلى القاهرة بهذه الهوية، لن تواجه سوى المتاعب، والآن أنت تسببت في القضاء على هويتك الجديدة.. أي أنك الآن - رسمياً - بلا هوية..

ها هو صوت طبول القلق يتعالى داخل رأسي، لكنني سأصمت حتى ينتهي..!

- الوضع الآن أن أمامك خيار من اثنين.. إما أن نمحك هوية جديدة وعمل جديد في مكان جديد، وإما أن تعمل كمجهول...

هنا لم أملك نفسي من أن أردد خلفه:

- مجهول!!؟

- نعم... لن يتم صنع أي هوية لك إلا عند الضرورة، ستكون الهوية مختلفة كل مرة وفقاً للظروف التي ستخضع لها، وسيكون عملك هو التدخل فيما نحتاج إليك فيه لنتهييه، دون أن تترك أي أثر خلفك أو أن يعرف بك أحد..

- هل.. هل سأعمل مع المخابرات؟

- مع قسم خاص في المخابرات.. لكنك ستظل على اتصال معي..

- هل لي أن تشرح الموقف أكثر؟

- (سامي).. لو وافقت على الاقتراح الثاني، ستعمل كمجهول..

كظل لا يراه أحد ولا يشعر به مخلوق.. المهمات التي ستنفذها ستتنوع كل مرة... القدرات التي تمتلكها، سواء التي اكتشفتها أو التي لم تكتشفها بعد، قد تكون مصدر عون هائل لنا، لكن لا يوجد ما يجبرك على الاقتراح الثاني.. لو أردت، ستحصل على هوية جديدة ثابتة وعمل جديد من الغد..

كنت أشعر بالحيرة أمام ما سمعته، فلم أملك إلا أن أقول:

- أعتقد أنني سأحتاج بعض الوقت للتفكير..

- أمامك حتى الغد.. بعدها أبلغني بقرارك، وسأدعمك أيًا كان..

- سأفعل..

ثم غادرت غرفته، والأفكار تدور في رأسي المنهك...

هذه المرة أنا أملك الخيار..

هذه المرة أنا أملك الخيار..!!

\*\*\*

بالطبع اتخذت قرارى، ولست أعرف إن كنت قد أصبت أو  
أخطأت..

أنا الآن أعمل كمجهول... أعيش كجهول... أتواجد كمجهول...  
أنا الآن لا وجود لى إلا فى ذاكرة أقل القليل، وعلى فى الفترة القادمة  
أن أعتاد هذا النمط الجديد - والعجيب - من الحياة...  
لا أحد يعرفنى، ولا يشعر بى مخلوق..  
لماذا اخترت هذا الاختيار؟

لأننى تفوقت على من لا يوجد لديهم شيء يخسرونه، فأنا لم يعد  
لدى شيء أملكه!!

أنا الآن بلا شيء على الإطلاق.. أى شيء.. حتى هوية لأعيش بها..  
ثمة أشياء سيكون على تعلمها الفترة القادمة..  
فالمرحلة الجديدة من حياتى لها متطلبات خاصة، وإمكانات  
خاصة..

المرحلة القادمة من حياتى تعتمد على ألا أتواجد إلا على هذه الأوراق  
التي أخطها الآن، لتكون الشاهد الوحيد على قصتى...  
هذه الأوراق التي لا تحمل سوى عنوان عجيب كئيب..  
(أوراق مجهول)...

٩٩٩٩٩

٢٠٠٤/٦/٢٣



الورقة الثالثة

**أيام مع الشيخ**





## ١- كوميكس..

حاول أن تتخيل هذه المشاهد معي على أنها جزء من قصة كوميكس، حيث يتم تقسيم الأحداث إلى كادرات ثابتة وبلالين حوار، نقرأ فيها ما يقوله من في القصة. فلا أعرف طريقة أفضل لأنقل بها لك ما حدث في هذا اليوم..

حاول أن تقرأ هذه الصفحات، ثم اغلق عينيك لتتخيلها مرسومة أمامك، بطريقة الأكريليك.. ولا تخش شيئاً، فلست مطالباً لأن تكون خبيراً في فن الكوميكس، لتفهم ما هو الأكريليك هذا.. كل ما عليك هو محاولة رؤية لعبة الكمبيوتر (ماكس بين Max Payne) بجزئها.. هل تعرف هذه اللعبة؟.. هل رأيت فواصل الكوميكس بين مراحل اللعبة؟.. هذا هو الأكريليك إذن.. فألوان البلاستيك ذات سحر لا ينكر، لكنها تحتاج ليد خبيرة لترسم بها..  
والآن هل أنت مستعد؟.. لنبدأ إذن..

## الكادر الأول:

الكادر الأول سيكون لغاية (شانتيلي) في (فرنسا)، التي تحيط بإحكام بفندق (شاتومونت رويال) الذي نراه في قلب الكادر، شامخاً أنيقاً تعكس نوافذه الضخمة ضوء الشمس الغاربة، ليتألق المبنى كله بلونه الأبيض وسطحه الأزرق بالضوء. ليبدو أقرب إلى متحف منه إلى فندق خمس نجوم... الشمس على وشك الغروب، لذا فهي تلقي بأشعتها الذهبية تجاهنا، وتجعل هؤلاء الثلاثة الذي يخرجون من سيارة سوداء، أمام الفندق، أشبه بثلاث ظلال ممتدة بلا نهاية.. لاحظ أنه كادر كوميكس، أي أن المشهد ثابت أمانا، لكننا نشعر بالحركة من توالي الأحداث، وبالتأثيرات التي يضيفها الرسام إلى الكادر بفرشته..

لهذا الكادر هامش علوي، مكتوب فيه بخط مائل: "كانت الشمس تلقي بأشعتها الذهبية على الوجود، حين وصل هؤلاء الثلاثة إلى فندق (شاتومونت رويال).."

## الكادر الثاني:

الكادر الثاني سيكون لأحذية ثلاث رجال سوداء لامعة، تضغط بقسوة على زهور كانت على الأرض عند مدخل الفندق، لتسحقها سحقاً... وبالتأكيد سيواصل الهامش العلوي للكادر شرحه: "كان الغموض يغلفهم تماماً..."

## الكادر الثالث:

الكادر الثالث سيكون للثلاثة وهم يتجهون لاستقبال الفندق - نرى ردهة الفندق من الداخل، وهي فخمة كأى ردهة فندق خمس

نجوم، وهناك ثريا هائلة تتدلى من السطح، بينما أصص النباتات غزيرة الأوراق تحتل الأركان - والثلاثة بأجسادهم الضخمة الفارحة. والمعاطف السوداء التي يرتدونها لتطاير خلفهم، فتمنحهم نوع خاص من المهابة، بينما نرى عند طاولة الاستقبال، شاب أنيق مهندهم، يرتدي الزي الرسمي للفندق، ويبدو عليه الشحوب، وهو ينظر بتوتر للثلاثة المتجهين إليه..

### الكادر الرابع:

الكادر الرابع سيكون ضخماً بعض الشيء، وستكون الكاميرا هذه المرة من خلف ظهر موظف الاستقبال، لنرى وجوه الثلاثة أخيراً.. هذه الوجوه روسية... الشعر الأشقر.. الذقن الحادة.. العيون الزرقاء الباردة القاسية.. وذلك الاحمرار الخفيف في بشرتهم.. هؤلاء الثلاثة روس، ونلاحظ أن أحدهم أقصر قليلاً من رفيقه، وهو من يميل على موظف الاستقبال - أي تجاهنا. مما يجعل وجهه ضخماً ومخيف نوعاً ما في الكادر - بينما يقف رفيقه بثبات خلفه ينظرون تجاهنا مباشرة، بأعين لا تطرف... الكادر ثابت على كل حال! من القصير الذي يميل على موظف الاستقبال، تخرج بالونة حوار نقرأ فيها:

- غرفة المسيو (لوران فابوس) من فضلك..

تخرج بالونة من موظف الاستقبال. نقرأ فيها بحروف متقطعة تعكس خوف الموظف:

- رقم (٢١٥) .. لكنه لا يستقبل زوار في هذه الساعة.. إنه..

## الكادر الخامس:

نرى الثلاثة يتجهون إلى المصعد بينما موظف الاستقبال يقف في مكانه يرتجف، ونلاحظ أن القصير. يتقدمهم قليلاً... إنه كبيرهم إذًا .. وأيًا كان ما ينتوونه، فهو ليس في صالح المسيو (لوران فابوس) بالتأكيد...

نرى بالونة تفكير. أشبه بالغمامة. تتصاعد من رأس موظف الاستقبال، ونقرأ فيها:

- من هؤلاء بالضبط؟!!

لكننا لا نعرف من هم..!

## الكادر السادس:

ممر الفندق، حيث البذخ هو الطابع الغالب على كل التفاصيل في هذا المشهد... اللوحات على الجدران.. السجاد المخملي على الأرض... التماثيل الرخامية لأشخاص يتخذون أوضاعاً عجيبة، لكنه الفن على كل حال لذا لا يجب علينا أن نعترض..

ثم الثلاثة، نراهم من ظهرهم يتجهون إلى أحد الغرف.. ثم شيء يحمله أحد الثلاثة في يده، لكنه أصغر من أن نميزه... هل هو مسدس؟!

## الكادر السابع:

نرى باب الغرفة، يحمل الرقم (٢١٥) باللون الذهبي، ونرى يد تحمل أداة معدنية رفيعة تتجه إلى الرتاج، الذي علقت عليه ورقة، مكتوب عليها بالفرنسية (ممنوع الإزعاج) ..

نحن نعرف بالطبع ما هو الغرض من هذه الأداة.. الدخول بلا  
ضوضاء كفيفة بلفت الانتباه!

ثم إن الإزعاج ممنوع كما هو مطلوب على الورقة على الرتاج!!

## الكادر الثامن:

الكاميرة هذه المرة داخل الغرفة.. ليست غرفة، بل هي جناح كامل  
من باب الدقة، ينضح بالترف والبذخ، إذ يمكننا أن نرى تلك الأرائك  
الوثيرة، والمزيد من التماثيل الرخامية، وبار صغير في يمين الكادر،  
تراصت فيه الأكواب والزجاجات التي يبلغ ثمن الواحدة منها، مرتب  
موظف فرنسي لعدة أشهر..

بالطبع نرى المسيو (لوران فابوس) وهو يحمل كأس تطاير الشراب  
منه، مرتدياً روب حريري، وهو يهب من على مقعده مأخوذاً بتلك  
المفاجأة الغير المتوقعة، بينما نرى نحن الثلاثة وهم يقفون على الباب  
يحملون ذلك التعبير القاسي على وجوههم. ومسدسات أنيقة في أيديهم  
يسددونها بوضوح إلى المسيو (لوران فابوس) الذي يحمل وجهه تعبير  
فزع. سيرهق أي رسام يحاول رسمه، وقد تصاعدت منه بالونة انفجار  
حادة الأطراف، كما يسميها (دينيس أودونيل) رئيس تحرير (DC  
Comics)، نقرأ فيها بالفرنسية:

- ما هذا؟! من أنتم؟!

ومن القصير الروسي، يتصاعد بالون ذو ذيل، مكتوب فيه:

- أنصحك أن تلزم الهدوء.. فلدينا ما سنناقشه سوياً قبل أن

نرحل..

## الكادر التاسع:

نرى القصير يجلس على أحد الأرائك، مرخيًا ساق على الأخرى، محتفظًا بالتعبير البارد القاسي على وجهه، وبالمسدس في يده، بينما يقوم أحد رفيقيه، بتقييد المسيو (لوران فابوس) إلى أحد المقاعد، الذي يبدو عليه الفزع أضعاف وأضعاف ما رأيناه عليه من قبل، وقد سقط كأسه على السجادة الفاخرة، وقد قام الثالث بغلق باب الغرفة بإحكام، ليحظوا بالقليل من المتعة دون مقاطعة..

من القصير تتصاعد البالونة ذات الذيل، نقرأ فيها:

- والآن.. أمامك خيارين لا ثالث لهما.. أن تتحدث بالطريقة السهلة، أو بالطريقة الأصعب..

ومن المسيو (لوران فابوس) تتصاعد بالونة الانفجار:

- عن ماذا أتحدث؟.. من أنتم بالضبط؟

## الكادر العاشر:

نصف وجه القصير الأسير يحتل الكادر مع الكثير من الظلال على ملامحه، ليبدو مخيفًا بحق، ببريق عينه الظاهرة - من الممكن الحصول على هذا البريق بتلوين الكادر باستخدام أي برنامج جرافيك - وقد تساقطت خصلات شعره الأشقر على وجهه... لا ننكر أنه وسيم.. لكنها وسامة مخيفة، لو كنت تفهم ما أقصده.. نلاحظ أيضًا وجود ندبة خفيفة أسفل عينه اليسرى..

ومنه تتصاعد بالونة، نقرأ فيها ونحن نرتجف:

- إذًا فلقد قررت أن تختار الطريق الأصعب..

## الكادر الحادي عشر:

الفندق من الخارج مرة أخرى، ونلاحظ أن الشمس قد غربت، ليحتل قمر شاحب مكانها في السماء، ليحل الظلام على الكادر، إلا من الأضواء الخارجة من نوافذ الفندق، ومن عواميد الإنارة خارج الفندق، ونرى الثلاثة وهم يخرجون من الفندق، عائدين إلى السيارة. وهم يرسمون تلك الظلال الطويلة مجددًا، والقصير يتقدمهم، وملامحه تحمل تعبير غضب مخيف..

## الكادر الثاني عشر:

ممر الفندق.. نرى تلك الخادمة البدينة، طيبة الملامح - يجب أن تكون بدينة، ليبدو عليها الفزع أوضح - تسير في الممر وهي تجر أمامها عربة صغيرة تحمل كم لا بأس به من زجاجات الشراب، ومن بعض الأطعمة الخفيفة، ومن النافذة في الممر خلفها، نرى سيارة سوداء تبتعد، كشبح أسود عملاق..

تتصاعد بالونة من الخادمة، تدندن فيها بأغنية رومانسية من تلك الأغاني الفرنسية التي يذرفون فيها الكثير من الدموع، نقرأ فيها ونحن نحاول كتم ضحكاتنا:

- ضمنى إلى صدرك أيها الوسيم.. تن لم لم.. أريد أن أرقص لك طيلة الليل..

### الكادر الثالث عشر:

نرى الخادمة تتوقف وهي تضع يدها على صدرها تشهق بعنف -  
بإمكان الرسام أن يرسم الخادمة على أنها زنجية.. الزنوج يعبرون عن  
الهلع أفضل بكثير - وقد بلغت الغرفة رقم (٢١٥) ، لتجد أن بابها شبه  
مفتوح، وأن هناك دماء ترحف من أسفل الباب إلى الممر..  
نرى أن البالونة فوق رأسها كانت تنقل باقي الأغنية، قبل هذا  
التوقف المفاجئ:

- وحين سأرقص.. تن لم لم.. سأريك كيف أن.. ما هذا!!

### الكادر الرابع عشر:

نعود إلى غرفة المسيو (لوران فابوس) ، والكاميرا من الداخل تنقل  
لنا المشاهد الأخيرة لهذه الأحداث المؤسفة..  
نلاحظ أن الغرفة لا تزال فخمة كما رأيناها أول مرة وإن هناك  
الكثير من الدماء على الجدران وعلى الأرض... ونرى أن المسيو (لوران  
فابوس) المقيد على مقعده، قد مات، لكن الكاميرا في ظهره - لحسن  
حظنا - لذا فلن نرى ما الذي حدث لوجهه بالضبط.. يمكنك أن  
تتخيل!

ثم نرى الخادمة عند الباب وهي تضع كفيها على فمها الزنجي  
العملاق، وعينيها تتقلان أشنع تعبير عن الهلع من الممكن لرسام أن  
ينفذه..

إنها تحشد صرختها.. ولا بد أنها على وشك الانفجار..



## الكادر الخامس عشر:

الفندق من الخارج في ظلام الليل وضوء المصابيح، وهذه المرة تحيط به صرخة، لا يمكن لبالون أن يستوعبها، قادمة من أحد النوافذ:

- ~~~~~

هذه المرة يوجد هامش سفلي، نقرأ فيه باقتضاب:  
- وهكذا انتهت الليلة، وهي تحمل لقصتنا أول ضحية...  
وهكذا أيها السادة، أكون نقلت لكم أول أحداث قصتنا الجديدة في  
خمس عشرة كادر كوميكس فحسب...  
الآن إذن يمكننا أن نعود لنسرد ما حدث.. وما سيحدث..

\*\*\*

## ٢- حياة مجهول..

لكم هو رائع أن تكون مجهول..!!  
لا مسئوليات.. لا أعباء.. لا ماضي يؤرقك التفكير فيه.. ولا مستقبل  
تخشى عليه من الأيام..

لكم هذا رائع.. لكم هذا مريح..  
لو كنت (محمود) مثلاً، فأنت مطالب بكل أعباء كونك (محمود)..  
لديك أسرة تطالبك بحقوقها في كل لحظة من لحظات حياتك،  
وربما زوجة كذلك تذكرك بأن حقوقها أهم وأكثر، فالأطفال في نمو  
مستمر ومطالبهم تزداد مع كل لحظة ينضجون فيها، وهناك العمل  
الذي تدفن فيه حياتك، لتحصل أول كل شهر على حفنة مضحكة من  
الأوراق النقدية التي تتلاشى أسرع من دخان سيجارتك - بالتأكيد أنت  
تدخن مع كل هذه المصائب - وفي نهاية حياتك ستجلس وحيداً حائراً،  
تفكر فيما أضعت عمرك بالضبط، لتجد أنه لا توجد إجابة مقنعة  
تستحق...

هذه هي أعباء كونك (محمود)... هل فهمت الآن ما هي روعة أن  
تكون مجهول؟!!

أنت لا تفكر في شيء سوى أن تمر بالحياة لحظة بلحظة، تنتشق عبيرها وتبحث بلا كلل عن مواطن البهجة فيها، وفي النهاية ستجد الكثير والكثير لتحكيه لكل من دفعوا ثمن أن يكونوا هم.. هم!!  
أما أنا فلا أملك سوى حقيقة كوني مجهول..  
أحيا كمجهول.. أتنفس كمجهول.. أرشف من كأس الحياة كمجهول..  
وفي النهاية سأموت كمجهول، لا يملك إلا هذه الأوراق ليحكي عليها قصته....

أنتم تعرفون ما حدث لي، لذا لن أرهق نفسي بتذكره، بل سأقفز على الفور إلى الأحداث التي بدأت من بعد موت (مجدي)... (مجدي) من!!... اقرأ الأعداد السابقة وستفهم، أولاً تفعل وستوفر على نفسك العناء!

المهم... لقد تركت عملي في سفارة (فرنسا) إذ لم يعد لـ (أكرم رشوان) وجود، وانتقلت إلى شقة مؤجرة - باسم مستعار - في (باريس)، أنتظر أن تبدأ مهمتي الأولى كمجهول..

هذه هي الصفة التي عرضت علي والتي قبلتها أنا بصدر رحب..  
أن أحيا كمجهول. مقابل تنفيذ بعض المهام من حين إلى آخر، دون أن يشعر بي أحد أو أن يعرف حقيقتي مخلوق...

لكن ثمة خيوط لا تزال تربطني بحياتي القديمة، أولها السيد (صلاح) السفير المصري، الذي ظل على اتصال بي. ليطمئن على أنني لا زلت حياً، على فترات متقاربة، دون أن يأتي على ذكر عملي الجديد أو مع من سأعمل أو ما الذي سأفعله بالضبط..  
حتى أنا لم أرهق نفسي بالسؤال..

سيخبرني حين يأتي الوقت المناسب، أوحين يحتاجوا لي، وإلى هذا الوقت أمامي الكثير والكثير لأجربه وأكتشفه... أنا في (باريس) أيها السادة، ولن أعدم أن أجد شيئاً لأضيع فيه وقتي..!

كانت الأحداث الأخيرة التي مرت بها (باريس) قد غيرت الكثير من طباع هذه المدينة الساحرة - يبدو أنك ستضطر لقراءة الأعداد السابقة لتفهم - فانتشرت قوات الشرطة بغزارة أكثر من المعتاد في طرقات المدينة. وبدا التوتر على ملامح الجميع، كأنهم ينتظرون ضربة منظمة الفوضى القادمة بلا ريب. لكن سكان المدينة أنفسهم، بدوا أكثر هدوءاً كأنهم اعتادوا الأمر، أو كأن القلق نوع من عدم اللياقة الاجتماعية التي اشتهروا بالمحافظة عليها، كشيء مقدس لا يقبل المساس به..

بالطبع شاهد الجميع البث المباشر الذي ختم به (مجدي) حياته، لكنني لم أظهر فيه لحسن الحظ، مما منحني حرية الحركة، دون أن يتعامل معي الجميع ككائن فضائي، يستأهل المراقبة والملاحقة في كل مكان...

صحيح أن قوات الشرطة أصبحت تحتفظ بملف كامل عني، بعد أن أغرقنتي بسلسلة طويلة من التحقيقات، لكنهم في نهاية الأمر لم يجدوا أي شيء ضدي، فتركوني أهييم على وجهي في شوارع البلدة ولا بد أنهم سأموا من مراقبتي، ونسوني ليتفرغوا للكوارث القادمة التي لا تطيب الحياة بدونها..

لم يجدوا (فرانسو) حتى الآن إن كان هذا قد جال بخاطرك، و(فرانسو) هذا رجل مخابرات سابق، ساعدني في الوصول لـ (مجدي)، بعد أن كان مهموله، ليذمر هذا الأخير حياته، بأن أرسل ملفات المخابرات الفرنسية القذرة إلى صحيفة اللوموند، ومعها مجموعة من الصور

التذكارية لـ (فرانسو)... وهكذا أصبح الكونت (فرانسو) - كما اعتدت تسميته - هدف (فرنسا) الأول، الذي لم يصل إليه أحد بعد..

لم يتصل بي مجدداً، فلقد استنفذ حاجته مني، وأصبح لديه مشاكله الخاصة ليهتم بها، وهكذا لم يعد أمامي أنا سوى أن أستمع بحياتي. بعيداً عن كل ما يربطني بما حدث ويحدث حتى الآن..

ثاني من شاركني حياتي السابقة، وكنت لا أزال على اتصال بها، هي طبيبتي النفسية العزيزة (لارا)، بجسدها الزنجي الضخم، وأنفاس الكحول التي تبثها مع كل نفس يتردد في صدرها الضخم، إذ كنت أذهب إليها على فترات، لنحاول معاً اكتشاف القدرات العقلية التي أمتلكها دون أن أعرف عنها كل شيء حتى الآن..

لماذا (لارا) بالذات؟... حسن.. لأنها لن تحولني إلى فأر تجارب، ولن تأتي إليّ في يوم من الأيام، لتطلب مني أن أكون موضوع رسالة الدكتوراه...

هذه المرأة تجيد عملها حقاً، لكن غاية أملها في الحياة هو زجاجة نبيذ جيدة!

على كل حال هالك ما عرفته حتى الآن..

إلى جوار ذاكرتي الخرافية وقدرتي الهائلة على الاستيعاب والتعلم، أصبحت أمتلك قدرة محدودة على رؤية ما يحدث داخل الأماكن المغلقة. بمجرد أن أمس باب الغرفة بيدي، وهذا لا يحدث باستمرار، لكن في حالات خاصة، حين أشعر بالخطر، أوحين أركز بشدة، وفي هذه الحالة أرى ما يدور داخل الغرف المغلقة في صور متتالية يصحبها ألم عنيف، يصعب احتماله..

هل هذه القدرة مفيدة؟... أحياناً.. لكني لم أستغلها جيداً حتى الآن

..

القدرة الثانية الجديدة كانت عجيبة بحق..  
ودعني أنقلك إلى لقائي بالعزيزة (لارا) لتتعرف معي هذه القدرة الجديدة..

\*\*\*

تضع (لارا) أمامي بعض الأشياء العجيبة... قلم مكسور.. سلسلة مفاتيح.. سكين.. مرجع طبي ضخمة..  
ثم تقول بشغف:  
- هيا ابدأ..

أمسك أنا بالقلم المكسور وأركز، لأقول:  
- أسمع ضوضاء.. صخب متناظم.. كأنني في وسيلة مواصلات مزدحمة..  
رائع..

أمسك بالسكين وأركز، لأقول:  
- أشم رائحة البرتقال..  
مبهر  
أمسك أنا بسلسلة المفاتيح وأركز، لأقول:  
- لا شيء..  
متوقع..

وأخيراً أمسك بالمرجع الطبي وأركز، لأقول:  
- لست متأكداً.. أشعر كأنني أسفل الماء..

وهنا تهز الدكتور (لارا) رأسها بفهم، ثم تبدأ في الشرح:  
- إذن فأنت تملك قدرة الـ (Psychometry) .. هل سمعت هذه  
اللفظة من قبل؟  
- إطلاقاً..

- إذن دعني أشرح لك المقصود بها.. الـ (Psychometry)  
هي إحدى القدرات النفسية الفائقة، كالقدرة على قراءة الأفكار  
(Telepathy) وتحريك الأجسام باستخدام التفكير (Telekinesis)..  
لكن هذه القدرة تختلف.. الـ (Psychometry) يعني القدرة على معرفة  
تاريخ الأشياء بمجرد اللمس، كأن تمسك بشيء كالسكين مثلاً، لتعرف  
كل شيء عمن استخدم هذا السكين، وفيم استخدمه... لكن، في حالتك  
أنت يبدو الأمر مختلفاً..  
- كيف؟

- من لديهم قدرة الـ (Psychometry) لا يواجهون مشاكل من  
أي نوع.. إن الشخص فيهم يمسك بأي شيء، ليعرف تاريخه كاملاً  
كأن ذكريات الجسم انتقلت إلى عقله مباشرة .. لذا كثرت الأفلام  
والمسلسلات التلفزيونية عن هؤلاء الذين يملكون هذه القدرة الفريدة..  
الأمر معك مختلف.. إنه أشبه بمرض (السينيسيشيا) ..

رددت من خلفها بصعوبة:

- سين.. سينيسيشيا؟

- أعرف أن نطق الاسم صعب.. السينيسيشيا (Synesthesia)  
مرض نادر لو جاز لنا أن نسميه مرض.. فالصاب بهذا المرض تختلط  
الحواس عنده وتمتزج سوياً، بحيث يصبح للمؤثر الواحد أكثر من  
قراءة لدى المصاب.. فهو لا يسمع الكلمة مثلاً فحسب.. بل يتذوقها

ويشم لها رائحة، ويرى لها لوناً.. أي أن حواسه الخمسة تتعامل كلها مع أي مؤثر، كما أن المصابين بهذا المرض يمتلكون ذاكرة فوتوغرافية هائلة، فالمرضى منهم يمكنه تذكر صفحات كتاب كامل بمجرد التقلب في صفحاته بسرعة.. وهذا يذكرني بذاكرتك التي تزداد قوة، وسرعة استيعابك المتزايدة..

تصب (لارا) بعض الشراب في كأسها، كأنها تهنيء نفسها على كم المعلومات الذي ذكرته الآن، ثم تواصل وقد بدأت تتحمس أكثر:

- حين أمسكت أنت بالقلم سمعت ضوضاء المترو الذي كنت أنا فيه حين انكسر القلم مني.. وبالطبع آخر شيء قطعته بهذا السكين، كان البرتقال.. وهذا المرجع الطبي عثرت عليه قرب شاطئ النهر.. أي أن حواسك هي التي تفاعلت بصورة ما مع تاريخ هذه الأشياء..

كنت أشعر أن هذا كله غريب وعجيب، لكنني اعتدت أن أبتلع هذا الشعور، فقلت:

- لكنني لم أشعر بشيء تجاه سلسلة المفاتيح..

- هذا وارد.. مثل هذه القدرات لا تكون تحت الطلب، بل هي تظهر حين تريد أن تظهر.. في حالتك أنت أعتقد أنها ستكون تحت طوعك، فهذه القدرات نتيجة تجارب طويلة تعرضت أنت لها، وليست مجرد موهبة.. الملخص.. أنت تملك قدرة طريفة لكنها قد تسبب لك من المشاكل أكثر مما ستخدمك، لذا لا تجعلها تستحوذ على تفكيرك..

لا بد أنها ستجرح من الزجاجة مباشرة هذه المرة.. إنها لا تتوقع أن تضيف أي شيء لأي أحد في حياتها البائسة، لذا فهي تشعر بأنها المرأة الخارقة، وهي تشرح لي هذا الكم من المعلومات..

ثم أنها مالت عليّ لتسألني السؤال الذي توقعته:



- هه.. هل ظهرت لديك قدرات أخرى جديدة غير هذه؟
- لا.. ليس بعد..
- لا تشغل بالك إذن.. لديك ما يكفيك حتى الآن لتشغل به وقتك..
- لندع الباقي لوقته..
- سأفعل..
- ثم اتجهت إلى الباب لأغادر المكان، لكنها استوقفتني، لتقول:
- هل لي أن أطلب منك شيئاً؟ ولكن.. لا.. انس الموضوع..
- ماذا كنت ستطلبين؟
- أن أجعلك موضوع بحثي القادم، لكنني لست في حاجة إلى المزيد من الإرهاق..
- هززت رأسي متفهماً، ثم غادرت المكان لأسمح لابتهامتي بالظهور على شفتي..
- لقد كانت (لارا) امرأة تعرف حدودها جيداً!!

\*\*\*

### ٣- المهمة الأولى..

الآن أنت تعرف الكثير عن حياتي كمجهول، وعن القدرة الجديدة التي اكتسبتها، لذا سأرحمك من التفاصيل التي لا داعي لها، وسأقفز مباشرة إلى لقائي الأول بالسيد (أنور)..

حدث هذا في صباح أحد الأيام. حين اتصل بي السيد (صلاح)، ليخبرني أنه عليّ أن أتوجه إلى مقهى الـ (الحرية) في الحي الغربي لأبدأ مهمتي الأولى كمجهول...

بالطبع شعرت بذلك المزيج المهيّب من التوتر واللهفة، لكن الغلبة كانت للهفتي، فأخذت أرتدي ملابسني بسرعة، لأتجه إلى ذلك المقهى... أخيراً سأبدأ أولى مهامني كمجهول.. يبدو هذا شيقاً.. يبدو هذا ممتعاً..

إن عشرات الأسئلة تدور في ذهني الآن... ترى بأي مهمة سأبدأ؟ وأي هوية سيمنحونني؟ ومن الذي سأتعامل معه بالضبط؟ هل سيروق لي هذا العالم الجديد الذي أقدم عليه؟ أم أنني سأندم على هذا الاختيار؟

إن إجابات كل هذه الأسئلة تنتظرني في ذلك المقهى. حيث سأقابل السيد (أنور)، ومنه سأعرف كل شيء..

وصلت إلى المقهى مبكرًا، لأنّبه إلى ملاحظة طريفة، وهي أنني لا أعرف كيف يبدو السيد (أنور) هذا. وحتى لو كان جالسًا الآن داخل المقهى، فلن أتعرف عليه..

مؤكد هو يعرف كيف أبدو أنا.. مؤكد أنه يملك ملف كامل عني يحوي أدق التفاصيل إلى جوار عشرات الصور لي.. إنه رجل مخابرات، ولا بد أنهم يملكون مثل هذه الملفات التي تحوي عن المرء، أكثر مما يعرفه هو نفسه..

وهذا يعني أنه لا يوجد أمامي شيء أفعله سوى الانتظار.. حتى يظهر السيد (أنور) و..

"مرحبًا.. هل تأخرت عليك؟"

يبدو أنني لن أنتظر طويلًا...

استدرت لأرى السيد (أنور) لأول مرة في حياتي. فلم أصدق ما رأيته...

قصير هو السيد (أنور) ذلك القصر الذي يجعلك تشعر بعدم الثقة.. القصر الذي يجعلك تشم رائحة المكر والدهاء، اللذان هما هبتا أي شخص بهذا القصر.. فما بالك لو أضفنا إلى هذا القامة القصيرة، وجه قاس الملامح، وعينين نافيتين، وصوت أجش نوعًا ما؟

من المستحيل أن يكون هذا الرجل من المخابرات حقًا..

رجال المخابرات طوال القامة، ويمتلكون جسدًا رياضيًا وملامح وسمية، ويبتسمون بثقة طيلة الوقت.. هذا هو ما أعرفه عن رجال المخابرات، وهذا هو ما كنت أنتظره..

أن أجد نفسي مع (جيمس بوند) شخصيًا، لأبدأ معه أول مهامى كمجهول!! أما هذا الـ...!!

جلس إلى المائدة جوارى، وهو يلهث ثم تناول كوب الماء على الطاولة، ليجرعه دفعة واحدة، ثم قال بارتياح:

- أنت (سامى) إذن.. حسن.. لم أتوقع أن تبدو هكذا..

- ماذا؟!!!!

- أنت لا تشبه صورك على كل حال، أو أن الحياة الباريسية أضافت

إليك بعض الوسامة.. على كل حال.. هل أنت مستعد يا فتى؟!

- لهذا أنا هنا..

- عظيم.. لنبدأ إذن فلا وقت لنضيعه.. هل يمكنك أن تخبرني ما

هذا؟!

ثم إنه منحني صورة شاب وسيم، تناولتها منه لأتفحصها جيدًا، قبل أن أقول بثقة:

- لم أره في حياتي من قبل..

بالطبع لم أسأله من صاحب الصورة، بل انتظرت ليخبرني هو..

و..

وأعتقد أن الوقت قد حان للمزيد من نصائحي المجانية، لذا هاك

نصيحة اليوم... لا تسأل رجل مخبرات عن أي شيء أيًا كان السبب..

ما يريد هو لك أن تعرفه سيقوله، دون حتى أن تطلب، لكن لو سألته

أنت عن المتجر الذي اشتري منه ربطة عنقه، سيمنحك الإجابة الخالدة

(المعرفة على قدر الحاجة)!!

ومن تلقاء نفسه قال السيد (أنور):

- لماذا لا تستخدم قدراتك هذه؟.. سمعت أن تملك بعض القدرات العجيبة..

هذا ما كنت أخشاه.. أن يتعامل معي كمخلوق عجيب لديه قدرات أعجب!

لكني تمالكت نفسي، وأخذت أنظر إلى الصورة وأنا أركز.. كانت الصورة لرجل في الثلاثينيات من عمره، ذو شعر أشقر قصير، وملامح وسيمة هادئة، وابتسامة واثقة كأنه رجل أعمال، أو نجم من نجوم السينما..

ولسبب ما شعرت وأنا أركز في صورته، بمذاق المعدن في فمي!!  
- هه.. هل توصلت إلى شيء؟  
أجبت بهذر:

- لقد.. لقد شعرت بمذاق المعدن في فمي..  
استقبل السيد (أنور) ردي هذا بنظرة طويلة، أكدت لي أنني على الطريق الصحيح، ودون إبطاء نهض من مكانه لي جذبني من ذراعي، إلى خارج المقهى، وقد بدا عليه أن يحاول كتم انفعالاته بصعوبة..  
سألت بدهشة:

- إلى أين؟

- إلى حيث يمكننا التحدث بمفردنا..

تبعته بدهشة عبر شوارع (باريس) المزدحمة في مثل هذا الوقت من النهار، حتى وصلنا إلى جسر (ديبلي) لنطل على ذلك المشهد الساحر لبرج إيفل، ولنقف هناك في منطقة منعزلة نوعاً ما، ليبدأ السيد (أنور) في إخباري ما أحتاج معرفته:

- شعرت بمذاق المعدن في فمك.. هذا غريب حقاً.. هذا الرجل الذي عرضت عليك صورته، ستكون مهمتك الأولى هي أن تحرسه من على بعد، دون أن يشعر حتى هويك، وفي النهاية ستساعده على الانتقال إلى مكان جديد سنحدده نحن في الوقت المناسب.. لكن قبل أن تبدأ مهمتك يجب أن تعرف أنك ستعمل كملاك حارس لأخطر رجل عرفه تاريخ المخابرات في العالم كله..

واستند إلى سور الجسر، ليملاً عينيه بالمشهد الساحر أمامه، ليردف:

- مع الرجل الذي اعتدنا أن نسميه.. الشبح!

\*\*\*

تحدث السيد (أنور)، فأصغيت أنا بانتباه:

- القصة تبدأ في عام (١٩٥٨) في روسيا، حين أرسلت المخابرات الروسية واحداً من أفضل رجالها إلى ألمانيا ليقوم بتنفيذ مهمة اغتيال، هي الأشهر في تاريخ المخابرات... فرجلهم (إيجور فيودوروف) ذهب إلى هناك ليقوم بالتخلص من شبكة جاسوسية كاملة، وصل عدد أفرادها إلى عشرة أشخاص، وكلهم كانوا يتبعون المخابرات البريطانية أو المكتب الخامس كما يطلق عليها.. والواقع أن (إيجور) كان الأفضل في هذا المجال، إذ لم تمض ثلاث أيام على وصوله إلى ألمانيا، حتى كان ثمانية من هؤلاء العشرة، قد لقوا مصرعهم، حاملين إمضاء (إيجور) الشهير... عملة معدنية كان يتركها في أفواه ضحاياه، من باب الفلسفة التي لا داع لها.. وفي اليوم الرابع لبقائه كان رجل المخابرات التاسع قد لقي مصرعه، وتبقى رجل واحد، ليحقق (إيجور) نصره الذي لم

يسبقه إليه أحد، لكن الأمور لم تسر كما خطط هو، إذ استطاع العاشر الهرب حاملاً عمل رفاقه كلهم، ليعود إلى بريطانيا، وقد أنقذ ما يمكن إنقاذه.. وبهذا اعتبر أن (إيجور) فشل في مهمته..

- فشل؟.. كيف؟

- العملية كانت أن يقضي على العشرة، وأن يمنعهم من الهرب بما حصلوا عليه من معلومات، وهذا ما لم يحققه (إيجور)، وهذا ما نسميه نحن في عالم المخابرات فشل واضح وصريح.. على كل حال (إيجور) لم يرض بهذا الفشل، بل أقدم على أغرب وأعجب خطوة عرفها تاريخ المخابرات على الإطلاق..

سألت أنا وقد أخذت مني اللهفة مبلغها:

- ما الذي فعله؟

- انطلق إلى بريطانيا خلف الرجل العاشر، ليقتله هناك في عقر داره..

شهقت أنا بانبهار، لكن السيد (أنور) لم تتغير ملامحه، وهو يواصل بهدوء:

- لكنه لم يفعل هذا دون خسائر، فلقد انكشفت شخصيته بسبب هذه العملية، وتحول إلى ما نسميه نحن (كارت محروق).. عمل المخابرات يعتمد على السرية في المقام الأول، وهذا ما خسره (إيجور)، لذا كان عليه أن يدفع الثمن.. فالمخابرات الروسية لا ترحم أحد حتى لو كان من رجالها..

- هل تقصد؟

- نعم.. لقد أرسلت المخابرات الروسية وفداً للتخلص منه في هدوء.. لكن استطاع الهرب منهم. ثم بدأ في اصطيادهم واحداً تلو الآخر..

وحين انتهى منهم، قرر (إيجور) أن يتحول إلى شبح..  
رددت أنا خلفه باستغراب:

- شبح؟!

- لقد اختفى (إيجور) من على الساحة تمامًا، ولم يعد هناك من يعرف الطريق إليه، وظل على هذه الحالة لسنوات طويلة قبل أن يقرر الظهور مرة أخرى..

وشرد السيد (أنور) ببصره، كأنما يتخيل ما حدث، وهو يتابع:  
- ولقد كان ظهوره مدويًا.. عشرات من رجال المخابرات ومن كل الجنسيات، سقطوا قتلى وهم يحملون في أفواههم تلك العملات المعدنية التي تميز (إيجور) عن سواه.. لقد تحول (إيجور) إلى أداة إعدام لا ترحم أحد، ولا تميز أحد، حتى إن أكثر ضحاياه، كانوا من رجال المخابرات الروسية ذاتهم، كأنما أراد لهم أن يدفعوا الثمن.. وفي كل مرة، كان ينفذ ضربته ويختفي كأنه شبح يستحيل الإيقاع به..  
كانت عشرات الأسئلة تعتمل في أعماقي، لكنني لذت بالصمت، ليوصل السيد (أنور):

- بالطبع كانت هناك عشرات المحاولات للإيقاع به وللتخلص منه.. وبالطبع باءت جميع هذه المحاولات بالفشل.. أن تقتل شبح فهي مهمة عسيرة، أما أن يقتلك الشبح، فهذا هو كان مصير كل من سعوا خلفه.. وهكذا تحول (إيجور فيودوروف) إلى أسطورة في عالم المخابرات.. حتى اختفى الشبح وبلا رجعة مع أوائل التسعينيات..

- أعترف أن هذا غريب.. لكن ما علاقتنا نحن بهذا كله؟  
سدد إليّ السيد (أنور) نظراته التي يبدو أنه يدرك كم هي نافذة مستفزة، وأجاب:



- لقد اتصل بنا السيد (إيجور) ليقدم لنا عرضاً. لم نستطع رفضه..

- ما هو هذا العرض؟

- أن نساعد على الهرب من (فرنسا)، حيث يتواجد الآن، مقابل أن يمنحنا حقيبة كاملة من الأسرار التي يسيل لها لعاب أي جهاز مخابرات.. وهذه ستكون مهمتك كما ترى.

- أن أساعده على الهرب؟.. ولكن كيف؟.. أعني ما حاجته إلينا، مادام الكل قد عجز عن التخلص منه من قبل؟

- السبب بسيط وواضح.. الرجل لم يعد ذلك الشاب الفتى القادر على صنع المعجزات، إنه في الستينات الآن، ويريد أن يرتاح قليلاً قبل أن تحين ساعته، ويبدو أن المخابرات الروسية قد استطاعت تحديد موقعه، ولهذا أرسلت فريق اغتيالات خاص جداً للتخلص منه..

- لست أدري.. لكن لم أكن أعرف أننا نقوم بمثل هذا النوع من المهام..

- ليس في المعتاد.. لكن حقيبة الأسرار هذه التي سيمنحنا إياها، تشتمل على قائمة بالجواسيس الذين يعملون في الشرق الأوسط، ومن مختلف الجنسيات. ومثل هذه القائمة يجب الحصول عليها أيًا كان الثمن..

ثم إنه ناولني صحيفة اليوم، مشيراً إلى خبر في صفحة الحوادث، قائلاً:

- هل قرأت هذا الخبر؟

- رجل الأعمال (لوران فابوس) الذين عثروا على جثته في فندق (مونت رويال).. نعم قرأت هذا الخبر، لكنه لم يجذب انتباهي..

- ( لوران فابوس ) كان الصديق الوحيد لـ ( إيجور ) ، ومعنى أنهم وصلوا إليه ، أنه لم يعد أمامهم الكثير حتى يصلوا إلى ( إيجور ) نفسه .. لهذا علينا أن نتحرك بسرعة ..

ولاذ بالصمت ، ليترك لي الفرصة لاستيعاب هذا كله ، ثم إنه قال بنوع من التردد :

- لماذا لا تجرب قدرتك هذه مع الخبر ؟

أجبت بغيظ لم أستطع كتمه :

- كف عن التحدث عن ( قدرتي هذه ) كأنتي حاو ، أقدم استعراضاً في السيرك ..

- لم أقصد هذا ، لكن لاحظ أن هذه القدرات هي سبب انضمامك لنا . لذا من الطبيعي أن نطالبك بالاستفادة منها ..

ابتلعت منطقته بصعوبة ، فأخذت أمسك بالصحيفة المفتوحة على الخبر ، وبدأت أركز قدر المستطاع ..

أركز .. وأركز .. وأركز .. ثم وفي النهاية ..

لا شيء ..

هززت رأسي بمعنى إنني لم أصل إلى شيء ، فhez هو رأسه متفهما ، ليقول :

- لا بأس .. على كل حال ، يجب أن نبدأ ، وأول ما سنبدأ به هو أننا سنمنحك هوية تتناسب مع هذه المهمة ..

- ما الذي سأكونه هذه المرة ؟!

ابتسم السيد ( أنور ) ابتسامة خبيثة ليجيب :

- خمّن ..

\*\*\*

## ٤- ملاك حارس..

أخذت هذه الباريسية الحسناء - لم تكن خارقة الجمال، ولم أقع في هواها.. اطمئن! - تبتسم لي مشجعة، لكنني لم أكن في حال تسمح بعقد صداقات جديدة، فأخذت أتحاشى النظر إليها، وأخذت أراجع كل التفاصيل في ذهني للمرة الألف..

أنا الآن (رضوان دحماني).. جزائري الجنسية، وصاحب سلسلة من شركات المنتجات الغذائية، وأنا هنا لأقضي إجازتي التي اعتددت أن أقضيها كل عام (باريس)، ولا أريد أي إزعاج من أي أحد! تظن أن الأمر سهل؟... دعني أذكرك أننا في (فرنسا)، أي أن هناك عشرات وعشرات من الأوراق القانونية التي تم العبث فيها لصنع شخصية (رضوان دحماني)، وتسجيل شركاتي الوهمية، ولصناعة تاريخ كامل عني، حتى إنهم دسوا إشاعات عني بين الخدم في الفندق هنا، مفادها أنني كنت متزوج، لكن زوجتي لقت مصرعها في حادث مؤسف، وهذا كما ترى جعل الجميع ينظرون إليّ بأسى، وقد باتوا على استعداد تقبل أي خطأ يبد عني لا يتناسب مع كوني (رضوان دحماني) المزعوم..

حين سألت السيد (أنور) عن أهمية هذه التفاصيل التي بدت لي بلا داع، أجاب:

- لأنك لست رجل مخابرات محترف، وستبدر عنك عشرات الأخطاء التي إن لم يلاحظها أي رجل عادي، ستكون أشبه بمصاييح مضیئة حولك بالنسبة لـ (إيجور فيودوروف) الذي يسكن هذا الفندق..  
- لكن موضوع الزوجة الراحلة هذا.. ألن يلفت إليّ الأنظار؟  
- سيجعلك تبدو في صورة الثري الذي سلبه القدر حبه الوحيد، فأخذ يمضي ليااليه في السفر وبين كؤوس الشراب..

- لكنني لا أشرب!!

- أعرف.. أنا مسلم مثلك لو كنت لاحظت.. لكن (إيجور) يشرب كثيراً، لذا فأمنيتك الوحيدة أن تلتقيه في مقهى الفندق، في الساعات المتأخرة من الليل حيث يخرج، ليتناول شرابه، قبل أن يعود للاختفاء في غرفته طيلة اليوم..

وهكذا تراني الآن أجلس في مقهى الفندق، وأنا أهز رأسي بأسى مصطنع بين الحين والآخر، وأتأشى تبادل النظرات مع هذه الفاتنة - حسن.. إنها جميلة رغم كل شيء! - وهذا في حد ذاته يبعث على الأسى بحق!

لكن يبدو أن الحماس قد أخذ مبلغه منها، فرأيتها تقوم من على مقعدها لتتجه نحوي بابتسامة واسعة، ورائحة عطر الياسمين تفوح منها بقوة، وقبل أن أجد فرصة للهرب، كانت قد بلغتني لتقول بعدوبة:

- هل تمانع لو تحدثنا قليلاً؟

- الواقع.. أنه.. سوف..

- لاحظت أنك كنت تنظر إليّ طيلة الوقت، فقررت أن أوفر عليك العناء..

كان من المستحيل أن أحبطها بأن أذكر الحقيقة وهي أنني كنت شاردًا طيلة الوقت، لذا أجبت:

- إنك تشبهين صديقة كنت أعرفها..

ضحكت هي ضحكة تقطر رقة ودلال، فأخذت أفكر أن أطلب منها الزواج حالاً، لكنني قاومت بصعوبة، لتقول هي:

- لا تبدو فرنسيًا، لكنك تجيد الكذب مثلنا تمامًا.. ما الذي تفعله في (فرنسا) على كل حال؟

- إجازة..

- توقعت هذا.. أنا هنا لألتقي بأبي لذا لا تقلق، فلن أطيل عليك..

- لا مشكلة..

ثم مددت يدي لأصافحها، قائلاً:

- رضوان دحماني..

- ( ناتاليا )..

- لكن اسمك ليس فرنسيًا؟

- أعرف.. فوالدي ليس فرنسيًا.. أمي فرنسية، لكن أبي..

وقطعت حديثها، لتنظر من فوق كتفي، إلى مدخل الفندق، لتقول:

- ها هو أبي.. أراك لاحقاً..

تابعتها وهي تتركني، لتذهب إلى ذلك العجوز الذي دخل المقهى.

ليجول بنظراته الباردة في المكان، قبل أن يستقبل ابنته بابتسامة هادئة..

وحين جلسا في الركن البعيد للمقهى، تمكنت من إلقاء نظرة فاحصة على وجهه، لأتعرفه بصعوبة بالغة..

إنه هو..

( أيجور فيودوروف ) ..

الشيخ!

\*\*\*

فيما بعد وحين انتهت هذه الأحداث، منحني السيد (أنور) نسخة من ملف (إيجور فيودوروف) بناء على طلب مني، سأخبرك الآن ببعض التفاصيل التي وردت في هذا الملف، لتفهم وبوضوح - هذه مزية لم أتمتع أنا بها حينها - ما الذي نتعامل معه بالضبط..

هذا الرجل التحق بالمخابرات الروسية حين كان في الرابعة والعشرين من العمر، وهي سن مبكرة للالتحاق بالمخابرات، لكنه كان استثناء خاصاً، فتبوغ هذا الرجل كان يفوق عمره بمراحل.. وفي أعوامه الأولى في الجهاز أثبت أنه كان يستحق هذا الاستثناء بحق، فلقد كان يتأقلم مع هذا العالم الغامض القاسي، بسرعة غير مألوفة، كأنما خلق من أجله، حتى أنهم شكوا في أمره كثيراً، مفترضين أن نبوغه المبكر هذا، نتيجة كونه جاسوس مدرب، اندس بينهم..

وبالطبع خضع (إيجور) للاستجواب مرات ومرات، وعرضوه لاختبارات طويلة، قبل أن يصلوا إلى حقيقة واضحة وصريحة..

هذا الرجل فلتة لا يجب أن تضيع من أيديهم..

لكن عبقرية الرجل الحقيقية كانت تكمن في أكثر جوانب عالم المخابرات ظلاماً وسرية..

القتل..

حين أرسلوه لينفذ أول عملية اغتيال له - وكانت الضحية أحد قادة الحزب الشيوعي - لم ينفذها فحسب، بل نفذها بأكثر الطرق حرفية ومهارة. وقد ترك في فم ضحيته عملة معدنية، العادة التي تحولت إلى بصمته الشهيرة فيما بعد..

حين سألوه عن سر استخدامه للعملة المعدنية. أجاب متفلسفاً:  
- من أجل المال يعيش الإنسان.. أنا أمنحهم المال ليرحلوا في هدوء..!

وتوالت مهام الاغتيال على (إيجور). وفي كل مرة كانت المهام تزداد صعوبة وتعقيداً، وفي كل مرة كان يثبت أنه الأفضل في هذا المجال، حتى قرروا المخاطرة به ذات مرة، ليرسلوه للتخلص من شبكة مخابرات بريطانية كاملة في ألمانيا..

تلك المهمة التي لم تحسب كأول فشل له في تاريخه فحسب، بل كانت البداية الحقيقية للأسطورة التي درسها رجال المخابرات في جميع أنحاء العالم طويلاً..  
أسطورة الشبح!

\*\*\*

لم أستطع منع نفسي من تفحصه في تلك الليلة..  
لوجدت أنت نفسك أمام (عمر الشريف) فلن تتمالك نفسك.. فما بالك والذي أمامي هو حامل لقب (الشبح) الرسمي والوحيد؟  
كان لا يزال يحتفظ بوسامة الملامح رغم سنه، وإن كانت التجاعيد قد تكاثرت على وجهه، لتمنحه طابعاً يوحي بالإرهاق والمعاناة الطويلة..  
هذا الرجل رأى الكثير في حياته، ولم يعد بإمكانه المواصلة طويلاً..

عيناه كانتا تعكسان هدوءً راسخاً، وقوة ملاحظة تليق بصقر، وقسوة هائلة، تليق برجل كانت يضع العمل المعدنية في أفواه العشرات من ضحاياه، وبهاتين العينين، رمقني بنظرة خاطفة بعد أن رأني أقف مع ابنته، قبل أن يصرف انتباهه عني، لينخرط في حديث هامس مع ابنته الوحيدة..

كيف لم يخبرني (أنور) بأمر هذه الابنة؟  
بل هل كان يعرف أصلاً؟

على كل حال، وجود الرجل في المقهى يعني أن الوقت قد حان لي لأتحرك، لذا تركت المكان بخطى متثاقلة وملامح حزينة، كما أكد علي السيد (أنور)، لأتجه إلى المصعد..

غرفتي في نفس الممر الذي توجد فيه غرفة (إيجور)، هذا لم يأت من قبيل المصادفة، لذا أسرعت إلى غرفته، وأخذت أنظر حولي لأتأكد من خلو الممر، قبل أن أضع يدي على باب الغرفة، لأبدأ في التركيز.. من المؤكد أن (إيجور) رجل مخابرات محترف، ومن المؤكد أنه وضع عشرات الفخاخ التي ستكشف له أي محاولة لاقتحام غرفته أثناء غيابه، لكن من المؤكد أنه لم يتوقع أن يأتي من يستطيع رؤية غرفته بمجرد لمس الباب..!

أركز.. أركز.. أركز..

يتصاعد الألم العنيف في رأسي، لكنني أقاوم.. ثم تبدأ الصور في التوالى إلى رأسي بسرعة غير مسبوقة..

أرى الآن غرفة الفندق من الداخل. وأرى بعض الملابس المتناثرة هنا وهناك، مما يؤكد لي أن هذا الرجل لا يسمح بخدمة تنظيف الغرف، بالاقتراب من غرفته.. أرى حقيبة ضخمة جوار الفراش.. أرى.. أرى أن



الصور تتلاحق بسرعة أكبر... تتحول إلى شريط سينمائي..

أركز.. أركز.. أركز..

أنا الآن داخل الغرفة، أرى ما فيها بوضوح تام رغم الظلام، وقد بدأ الألم العنيف في رأسي يخفت تدريجياً... وها هي قدرتي تتطور في الوقت المناسب تماماً..

أنا الآن أتحرك داخل الغرفة بعقلي!

أركز.. أركز.. أركز..

صحيح أنني غير قادر على تحريك شيء، أو فتح تلك الحقيبة الضخمة جوار السرير لأرى ما فيها، لكنني أستطيع التجول في المكان لأرى كيف تبدو غرفة الشبح..

كانت هناك زجاجات كثيرة خاوية قرب الفراش.. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أي شيء يثير الاهتمام، فأخذت أتحرك في المكان، متجهاً إلى دورة المياه الملحقة بالغرفة، وقد فقدت أي شعور بالعالم الخارجي.. يجب أن أسرع.. فقد يعود الشبح وأنا هنا في مكاني، وحينئذ ستثور شكوكه حولي..

أرى دورة المياه من الداخل، وأرى مجموعة لا بأس بها من العطور ومرطبات البشرة، تدل على أن هذا الرجل يجيد الاعتناء بنفسه حقاً.. أنظر في حوض الاستحمام، لأجد تلك اللفافة الضخمة، تملأ حوض الاستحمام، فأقترب أكثر لأرى..

أركز.. أركز.. أركز..

ورغم الظلام.. ورغم أنني كنت أشعر بإنهاك غير عادي.. رأيت ما في داخل تلك اللفافة البلاستيكية، لأشعر بهلع لاحت له.. كانت اللفافة البلاستيكية، تحوي جثة رجل، لم يظهر منه، سوى

نصف وجهه العلوي، وقد حدقت عيناه الشاخصتان، في السقف بثبات مخيف..

أركز.. أركز.. أركز..

ولكن لماذا؟.. لماذا يحتفظ (إيجور فيودوروف) بعثة في حوض استحمامه؟

ومن هو هذا الرجل؟

ومتى قتل؟

وأي برود هذا الذي يمتلكه هذا الرجل، ليقيم مع جثة في غرفة فندق، ثم يتركها، ليلتقي بابنته، وليحتسي بعض الشراب؟

"مسيو... ما الذي تفعله؟"

انتهضت بعنف. وقد عدت إلى عالم الواقع، لأجد ذلك الخادم يتجه نحوي، وقد حملت ملامحه الدهشة والقلق، وهو يسأل:

- هل أنت بخير يا مسيو؟

- أنا.. أنا بخير..

لكني بترت جمعتي، لأنتبه إلى السبب الذي جذب اهتمام هذا الخادم، إذ كانت الدماء تسيل من أنفي بغزارة لتغرق وجهي وملابسي، مما دفع الخادم لأن يناولني منديلاً، لأمسح به الدماء من على وجهي، وهو يكرر:

- هل أنت بخير؟.. هل أستدعي لك طبيب الفندق؟

- لا داعي.. إن ضغطتي مرتفع فحسب..

- مسيو.. لا داع لأن تعذب نفسك بذكرى زوجتك.. حاول أن

تساها..

منحته نظرة طويلة أربكته، ثم هزرت رأسي شاكرًا، قبل أن أجر

نفسى مبتعدًا عن المكان، لأتجه إلى غرفتي..  
وفي رأسي كانت هناك فكرة واحدة..  
يجب أن أتصل بالسيد (أنور) على الفور.. يجب..

\*\*\*

كيف كان لي أن أعرف أن (إيجور) قد عاد إلى غرفته في تلك الليلة،  
ليجد قطرة دماء تكاد تجف عند عتبة غرفته؟  
صحيح أنه رجل مخبرات، وأن قوة الملاحظة هي جزء من حياتهم،  
لكن قطرة الدماء كانت أصغر من أن يلاحظها أي شخص سواء كان  
عاديًا أو محترفًا..

لكن الأمر معه مختلف.. إنه الشبح!  
لقد رأى قطرة الدماء، وانحنى عليها ومد إصبعه إليها ليتذوقها  
باهتمام..

لقد تأكد من أنها دماء حقًا.. وهذا يعني بالنسبة له الكثير..  
الكثير جدًا..

\*\*\*

## ٥- هل أنت مستعد؟!

لكن الاتصال بالسيد (أنور) لم يكن بالسهولة التي توقعتها..  
فالرجل - وببساطة - لم يمنحني أي وسيلة للاتصال به.. كل ما  
قاله هو أنني سأجده عند الحاجة، وهي كما ترى، جملة يرددها رجال  
المخابرات بحماس مفرط دون أن يلتزموا بها..  
اتصلت بالسفارة، لأطلب من السيد (صلاح) أن يطلب من السيد  
(أنور) الاتصال بي، لكن السيد (صلاح) كان خارج السفارة طيلة  
اليوم، وحين عاد أخيرًا، أخبرني مستغربيًا - كأنه لم ينتبه إلى هذه  
الحقيقة حتى الآن! - أنه لا يملك وسيلة للاتصال بالسيد (أنور) لكنه  
سيحاول..

وهكذا لكم أن تتخيلوا كيف كان يومي. وقد قضيت معظم النهار  
في غرفتي، أضرب أخماسًا في أسداسًا، وأنا أحاول العثور على تفسير  
منطقي لما يحدث من حولي، وفي النهاية كنت قد قررت أنه ما إن يتصل  
بي السيد (أنور) حتى سأطلب منه أن يعطيني من هذه المهمة، ومن  
العمل معهم من الأساس..

نعم.. ما أحতاجه هو هوية مسالة، ومحاولة جديدة لأعيش بهدوء،  
بعد كل الذي رأيته وعانيته..

أنا لم أخلق لهذه الحياة.. ولم أطلب هذه القدرات.. ولم يعد بإمكانني  
الاستمرار.. واليوم سأضع حدًا لهذا كله!  
لكن السيد (أنور) لم يتصل...!!

أخذ اليوم يمر عليّ ببطء قاتل، دون أن يتصل بي السيد (أنور)،  
ودون أن أجرؤ أنا على مغادرة الغرفة، فلم يكن لدي أي استعداد، لمقابلة  
(إيجور) ولومن باب المصادفة.. وهكذا لم يعد أمامي سوى مشاهدة  
برامج التلفاز الفرنسي المملة، لتمضية اليوم، محاولاً تخيل ما الذي  
يفعله الآن (إيجور فيودورف)...

تري هل يشاهد التلفاز مثلي، أم أنه يتسلى بوضع العملات المعدنية  
في قم تلك الجثة في حوض استحمامه؟!

إنني حتى لا أفهم كيف أحرس مثل هذا الرجل، الذي يبدو كأنما هو  
يحرس الموت ذاته. دون مشقة أو عناء؟!

حين حلّ المساء، كان عليّ الاتجاه إلى مقهى الفندق، وفقاً لتعليمات  
السيد (أنور). حيث يقضي (إيجور) ليلائه، لأؤكد من أن كل شيء  
يسير على ما يرام، وهكذا بدلت ملابسني، واتجهت إلى المقهى. لأعود  
إلى تمثيلية الزوج البائس، الذي سلبه القدر، أعز ما يملك!

لم تكن (ناتاليا) هناك لحسن حظي، فلم أكن على استعداد  
للتحدث مع ابنة الشبح. بأي صورة من الصور، لكنني قضيت الليلة كلها،  
في انتظار ظهوره، دون أن يحدث هذا..

لسبب ما لم يغادر (إيجور) غرفته هذه الليلة..

لم أكن أنوي أن أنتظر طيلة الليل، لذا عدت إلى غرفتي بعد منتصف الليل، وقد قررت أن أغادر الفندق في صباح اليوم التالي، وليكن ما يكون..

هذا ما انتويته، لكن ما حدث كان..

\*\*\*

كنت نائماً في فراشي في غرفة الفندق، وكانت الأحلام المضطربة تعبت برأسي، حين سمعت ذلك الصوت يقول ببطء:  
- أنت.. استيقظ..

بالطبع اندمج الصوت مع الحلم، فأصدرت همهمة خافتة، ولم أستيقظ على الفور، فكرر صاحب الصوت:  
- استيقظ يا هذا..

هنا فتحت عيناى بصعوبة، لأجد نفسي في غرفتي المظلمة، وعقارب الساعة اللامعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، وقد جلس أحدهم على المقعد المواجه للفراش، والظلال تغطيه تماماً، فظننت للحظة أنه السيد (أنور)، لكن اللكنة الروسية بدت واضحة، حين قال صاحب الصوت أخيراً:

- ثقيلو النوم لا يصلحون لهذا العالم..  
اعتدلت منتفضاً على فراشي، لأجد أنني في حضرة (إيجور فيودوروف) الذي قال بهدوء بارد، وبصوت ذورنين عجيب:  
- هيا ارتدي ملابسك.. لقد حان الوقت..  
- ولكن.. أنت..  
- ألسنت من اختاروه ليعمل على نقلي من (فرنسا)؟

- نعم.. لكن.. كيف عرفت؟

بدا لي سؤال غيباً، إلى الحد الكافي ليتجاهله (إيجور) وليواصل:

- ما الذي تنتظره إذن؟.. هيا ارتدي ملابسك، فالقطار سيتحرك في تمام الثالثة.

- قطار؟.. أي قطار؟

مال الشبح عليّ، ليدخل وجهه إلى دائرة الضوء، ولأجد نفسي في مواجهة عينيه الباردتين، وهو يجيب:

- القطار المتجه إلى لندن.. هل أنت مستعد؟

كنت أشعر بارتباك بالغ من الموقف كله، وقد استيقظت لأجد نفسي في حضرة الرجل الذي اعتبرته مخابرات أكثر من دولة، أسطورة مخيفة، يحكونها للضباط الجدد، لكني تماكنت نفسي بسرعة، لأقول:

- لكنهم لم يبلغوني أننا سنرحل الليلة..

- أنا أبلغك الآن..

- وماذا عن حقيقة المعلومات التي ستمنحنا إياها في المقابل؟

- ستحصل عليها حين أكون أنا في القطار.. والآن هيا..

وهكذا وجدت نفسي أبدل ملابسني لأتبعه، إلى خارج الفندق، وقد أخذ يسير هو أمامي محافظاً على مسافة بيننا، حاملاً حقيبته الضخمة في يده، وقد دس يديه في جيب معطفه، وقد بدا هادئاً، كأنما هو ذاهب إلى نزهة، لا إلى الهرب من وفد اغتيال كامل، يسعى في إثره، ليضعون نهاية لأسطوريته..

حين وصلنا إلى سيارته، ألقى إليّ بالمفاتيح، ليقول:

- أنت ستقود..

أخذت المفاتيح. لأسأل بتوتر بالغ:

- إلى أين؟!

- إلى محطة الشمال (Gare du Nord) .. حيث القطار السريع  
(أوروستار Eurostar) المتجه إلى لندن..

- ولكن..

- قلت لك أن القطار سيتحرك في تمام الثالثة.. هيا تحرك..

لم أجرؤ على مجادلته، لكنني في الوقت ذاته، لم أفهم كيف لم يتصل  
بي السيد (أنور) ليلفني بهذا كله.. على كل حال لم أكن أنوي أن أتركه  
يرحل وحيداً، لذا قدت السيارة في صمت، متجهاً إلى المحطة، وطيلة  
الطريق إلى هناك، لم ينبث (إيجور) بحرف واحد..

من الغريب حقاً أن تجد نفسك تقود سيارة، وإلى جوارك هذا  
الرجل!.. لقد كان ثابت الجنان، هادئ الملامح، كأنه لا يوجد ما يشغل  
باله في هذه الدنيا، حتى أنني أخذت أختلس النظر إليه عبر مرآة  
السيارة، محاولاً أن أستشف أي انفعال من ملامحه الجامدة، دون  
جدوى..

هذا الرجل قضى حياته كلها في قتل رجال المخابرات، ولم يعد  
ما يقلقه في هذه الدنيا، بل هو ذاهب الآن إلى حيث سيقضي إجازته  
الأخيرة، قبل أن يرحل عن دنيانا هذه بهدوء.. وفي المقابل سنحصل  
نحن على حقيبة من المعلومات يسيل لها لعاب أي رجل مخابرات، كما  
يقول السيد (أنور)..

بالطبع لم أسأله عن الجثة التي تركها في حوض الاستحمام في  
الفندق.. لم يكن ليحبيني على أية حال..

لكنني لا أفهم.. الأمر يبدو أغرب من اللازم.. شيء ما خطأ يحدث،  
لكنني لا أستطيع أن أحدد ما هو بالضبط؟!



وصلنا إلى المحطة بسرعة، وقد خلت شوارع (باريس) في هذا الوقت من الزحام الذي اشتهرت به، كأى عاصمة أخرى، ليخرج (إيجور) من السيارة، ليقول باقتضاب:

- اتبعني..

- إلى أين؟!

- اتبعني وستعرف..

دخلنا المحطة التي حملت إلينا عدد لا بأس به من المسافرين، يحملون وجوه ناعسة، حتى وصلنا إلى شباك التذاكر، ليقول (إيجور) للموظف الذي بدا عليه النعاس، في عينيه المحمرتين، ووجهه المنتفخ، ليقول:

- هناك تذكرتين باسم (شارل ليفيه). للقطار المتجه إلى لندن.. الدرجة الأولى..

راجع الموظف الكمبيوتر على يمينه، بإرهاق وكسل، ليتأكد من أن ما يسمعه صحيح، وأنه لا يحلم، قبل أن يناول (إيجور) التذكرتين، قائلاً:

- هاك التذكرتان.. رحلة طيبة مسيو..

تناول منه (إيجور) التذكرتين، ثم التفت لأسأله أنا بدهشة:

- هل سترحل ابنتك معك؟

- ابنتي غادرت البلاد منذ الصباح.. أنت الذي ستأتي معي..

- ماذا؟!

- لن تحصل على حقبة المعلومات حتى تبلغ لندن..

- لكن..

- الرحلة إلى هناك تستغرق ثلاث ساعات فحسب.. ستأتي معي، ثم ستعود مرة أخرى. أي أن الأمر لن يستغرق أكثر من ست ساعات، بعدها تكون الصفقة بيننا قد انتهت..

أين هذا الوغد القصير المسمى بالسيد (أنور)؟ وكيف يتركني  
لأواجه هذا كله بمفردي؟!!

كان (إيجور) يقف أمامي، مسددًا عينيه الباردتين إلىّ في ثبات،  
منتظرًا إجابتي، فلم أملك إلا أن أهز كتفي مستسلمًا، لأقول:

- كأنتي أملك الخيار..

- عظيم.. لنسرع إذن..

تبعته صاغراً إلى رصيف القطار، حيث انتظرنا فترة لا بأس بها،  
يلفحنا هواء (باريس) المثلج في مثله هذا الوقت، قبل أن يصل القطار  
أخيرًا، لتأخذ مقاعدنا في الداخل، وليبدأ الثلج الذي غلفني في  
الذوبان..

بعد ثلاث ساعات بالضبط نكون في لندن... تبدو هذه معجزة  
بالمقاييس المعتادة، لكن هذا القطار، يسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في  
الساعة، وهي سرعة منحه شهرة لا بأس بها في جميع أنحاء أوروبا..  
لم أكن أنوي أن أقضي ساعات الرحلة، في هذا الصمت المقبض، لذا  
سألت (إيجور):

- أليس من الغريب أن تتجه إلى لندن، حيث انكشفت هويتك، وحيث  
جهاز المخابرات الذي لن ينسى صنيعك معه أبدًا؟..

لم يبد على (إيجور) أنه مرحب بهذه المحادثة، لكنه أجاب بهدوء:

- لن يتوقع أحد أنني ذاهب إلى هناك، خاصة من يبحثون عني..

- وماذا بعد أن تصل إلى هناك؟

- سأختفي..

وابتسم بركن فمه، لأول مرة منذ رأيتَه، ليردف:

- كشبح..

وعاد الصمت المقيت ليغلفنا، حتى تحرك القطار أخيراً بعجلة تسارعية. وهو يطلق صفارته الشهيرة، وسرعان ما أصبحنا خارج حدود (باريس). وقد بلغ القطار سرعته القصوى، فبدأ الاسترخاء على (إيجور) حتى أنه التفت لي ليقول:

- لماذا لا تأتي لنا ببعض القهوة، فنحن لن ننام على كل حال؟

- من أين؟

- العربية الثانية.. لا تتأخر..

لم أحب دور خدمة الغرف هذا، لكنني كنت أحتاج للقهوة فعلاً، فأنا لم أنم هذه الليلة، ويبدو أن أمامي وقت لا بأس به حتى أجد الفرصة لأنام، لذا غادرت الكابينة، واتجهت إلى العربية الثانية، حيث ينتظرنني مشروب الكافيين المنعش..

سأكون رحيماً بك، وسأتجاوز كل التفاصيل المملة منذ خروجي من الكابينة، وحتى عودتي إليها لأجد تلك المفاجأة في انتظاري.. لا بد أن بعضكم قد استنتجها، ولا بد أنكم تصفوني بالغباء الآن... نعم.. حين عدت كان (إيجور فيودوروف) قد اختفى... كشبح!

\*\*\*

## ٦- الشبح والقتلة..

الآن نحن نقدم بث مباشر من القطار حيث كنت أقف ذاهلاً في الكابينة التي خلت تماماً من السيد (إيجور فيودوروف)، حاملاً كوب القهوة الفرنسية المنعشة، ووجهي يحمل تعبير دهشة مضحك، لشدة إرهاقي..

"أين ذهب؟"

غمغمت بهذا السؤال لنفسي. لكنني كنت أعرف الإجابة مسبقاً...  
لقد هرب.. اختفى... تلاشى..

ولكن.. كيف؟

ألقيت بكوبي القهوة على الفور، وبدأت أستعيد نفسي، لتبدأ رحلة بحثي عبر القطار، ورغم أنني كنت أعرف أنها مضيعة للوقت، لكنني كنت أثق في شيء واحد.. إنه لم يغادر القطار..

بالتأكيد لم يفعل، إنه في الستين من عمره على الأقل، والقطار يسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة، إذن.. هل لك يا قارئ الروايات البوليسية أن تخبرني. كيف يخرج من قطار يسير بهذه السرعة؟  
إنه داخل القطار إذن.. لكن أين؟

وهكذا لك أن تتخيل، كيف قضيت الساعة الأولى في الرحلة، أجوب  
القطار كالمجنون. أبحث عن (إيجور) دون جدوى، حتى أنني بدأت  
أبحث في دورات المياه، وخلف كل ستارة، وفي وجوه كل المسافرين، لأعود  
أخيراً إلى الكابينة. وقد أدركت أن الأمر انتهى فعلاً..

لقد هرب.. اختفى... تلاشى..

في الكابينة عثرت على حقيبته الضخمة، ففتحتها بلهفة، على أمل  
أن أجد حتى المقابل الذي وعدنا به، لكن الحقيبة الخاوية. أخذت تحديق  
في بسخرية. لتعلن لي عن نهاية مهمتي الأولى بفشل لا جدال عليه..  
حسن.. أنا لم أكن أصلح لهذا العالم على كل حال، وكنت أنوي أن  
أتركه بعد أن..

مهلاً.. لماذا لا أجرب (قدرتي هذه) كما يسميها السيد (أنور)؟  
إن لم تقيدني الآن فلا بد أنها عديمة الجدوى تماماً.. لذا أمسكت  
بالحقيبة الخاوية - الشيء الوحيد الذي تركه الشبح لي - وبدأت  
أركز...

أركز.. أركز.. أركز..

وفي النهاية كانت النتيجة أغرب من أن أفهمها..

كانت رائحة الياسمين تملأ أنفي بثقة، فوجدتني أهمس:

- ناتاليا..

إن هذا يثير الخيال حقاً.. يمكنني الآن أن أبني تصوري لما حدث،  
لكنني سأخبركم به فيما بعد..  
المهم الآن أن أعود للفندق.. وبأسرع ما يمكن..

\*\*\*

لكن القطار لن يتوقف من أجلي، لذا كان عليّ أن أواصل الرحلة، وأنا أسب وألعب في سري ذلك الذي اسمه السيد (أنور)، لتركه إياي وحدي في وسط هذا كله، كأني كنت أعمل معهم منذ سنوات، وأعرف ما عليّ فعله جيداً..

بعد ساعتين بلغنا (لندن) حيث كان عليّ أن أنتظر لساعة إضافية، قبل أن يتحرك القطار الذي سيعود بي إلى (باريس)، ولم أكن قد نمت طيلة الرحلة، فخرجت إلى مقهى قريب لأظفر ببعض القهوة، ولأتصفح جريدة الحياة اللندنية من باب تضيية الوقت..

كانت الصحيفة تحمل ذات الأخبار المعتادة التي يمكنك أن تقرأها في أي صحيفة أخرى، بدءاً من المطالبة باستقالة رئيس الوزراء (توني بلير) جزاء كل الحماقات التي ارتكبتها، باشتراكه في الحرب ضد العراق، والتي ثبت للعالم كله - أخيراً- أنها كانت مهزلة مؤسفة لا أكثر، وانتهاءً بأخبار الفن والسينما والرياضة، حيث الشائعات هي الطابع الأغلب على تلك الأخبار، كما هي عادة جميع الصحف.. لكن خبراً واحداً استوقفني، وكان يعني لي الكثير.. بل الكثير جداً..

حريق مؤسف في فندق (الكونتنتال) في (فرنسا)، يشب في أحد الغرف، ويؤدي إلى وفاة ساكن الغرفة (شارل ليفيه)، ولقد سارعت قوات الإطفاء بالسيطرة على الحريق، وتجري الشرطة الآن تحقيقاتها للتأكد إن كان هذا الحريق نتيجة حادث، أم أنه يحمل شبهة جنائية.. لا أحتاج الآن قدراتي الخاصة، لأشم رائحة (إيجور) في هذا كله.. لهذا كان يحتفظ بتلك الجثة في غرفة الفندق.. هكذا يظن الجميع أنه هو، بينما هو الآن في لندن، وربما يهرب منها إلى حيث لا يعلم أحد إلا

الله.. لكنه لم يضعني في اعتباره، ولست ألومه على هذا..  
فكيف له أن يعرف بتلك القدرات التي أمتلكها.. إنني مثله الآن..  
مجهول...  
وكمجهول علي أن أسرع الآن إلى (فرنسا)، فهناك الكثير أمامي  
لأفعله..  
لماذا سأعود إلى (فرنسا)، وقد هرب (إيجور) بالفعل؟؟ حسن..  
لأنه سيعود...!!  
فصحيح أنني شممت رائحة الياسمين حين أمسكت بحقيبته الخاوية  
في القطار، لأعرف أن لـ (ناتاليا) يد فيما يحدث، لكني سمعت وبوضوح  
صوت صراخها..  
ربما تكون قدرتي قد تطورت أو ربما هو مجرد حدس أراهن عليه،  
كي لا تحمل مهمتي الوحيدة في هذا العالم فشلاً لن أنساه، لكني أعتقد  
أنه أيًا كان من أرسلوه للقضاء على (إيجور) قد وصل إلى (ناتاليا)..  
ولا بد أنهم سيمرحون معها طويلاً، ولا بد أنها ستخبرهم بالكثير..  
ولا بد أن (إيجور) سيعود.. بالتأكيد سيفعل..  
وسأكون في انتظاره..

\*\*\*

هكذا يمكنني أن أختصر عليك المزيد من الوقت، بأن أخبركم أنني  
عدت إلى (باريس)، ومن محطة القطار أخذت سيارة (إيجور) التي  
كنت قد تركتها أمام المحطة، لأعود إلى الفندق، حيث كان بعض رجال  
الإطفاء قد أنهوا مهمتهم، ليحين دور رجال الشرطة والمعمل الجنائي..  
بالطبع كان مدير الفندق. هو أشد الموجودين هلعاً، فالوقوف يحمل

له كارثة على أية حال.. فلو كانت هناك شبهة جنائية، فهذا يعني سوء النظام الأمني في المكان، ولو كان مجرد حادث، فهذا يعني أن الفندق لا يستحق نجمة من نجومه الخمس، لذا رأيته يتحرك طيلة الوقت خلف المحققين ورجال العمل الجنائي، وهو يجفف عرقه بمنديل حريري، مردداً بلا انقطاع:

- إنه شيء مؤسف حقاً..

كأن هذا سيحل المشكلة!

وحين رأني أعود إلى غرفتي، في نفس الطابق الذي شبّ فيه الحريق، هتف بي:

- ميسيو (رضوان).. أرجوك تأكد من أن كل شيء على ما يرام في غرفتك، ولو شعرت بأي شك من أي شيء أبلغني على الفور.. كنت أعرف أنه لا يريد المزيد من المشاكل بأي صورة، لذا قلت لأطمئنه:

- أشكرك.. أرجو فقط أن ينتهي هذا كله سريعاً..

- آه.. ربما يرغب المحققون في توجيه بعض الأسئلة لك.. أرجو ألا يضايقك هذا..

- لا بأس، وإن كنت لا أملك ما أضيفه، فلقد قضيت ليلة أمس خارج الفندق..

- أعرف.. لكنني فكرت أن أبلغك على كل حال..

وأخيراً وجدتني في غرفتي الخاوية في الفندق، أصغي إلى الصخب في الخارج، أحاول مقاومة نعاسي بمجهود جبار، لأتصل بالسيد (صلاح)، الذي لم أكد أسمع صوته الوقور يجيبني، حتى قلت بغيط حقيقي:

- سيد (صلاح).. أين (أنور)؟.. هناك الكثير من الأشياء التي



حدثت ليلة أمس والتي ينبغي أن يعرفها، أولها أن رجله (إيجور) اختفى..

- (سامي).. اهدأ قليلاً يا فتى.. هل أنت بخير؟

- نعم ولكن..

- هذا هو الذي يهمني.. والآن كل الذي أطلبه منك هو ألا تقدم على

حماقة جديدة، حتى يتصل بك السيد (أنور)..

- متى سيتصل؟

- اليوم.. هو أخبرني بهذا، وطلب مني أن أبلغك ألا تقلق مهما حدث..

والآن اسمح لي، فعندي بعض الأعمال التي ينبغي علي أن أنهئها..

وأنتهى الاتصال بهدوئه المعتاد، الذي أشعرني أنني الوحيد الذي لا يفهم ما الذي يحدث بالضبط، فلم أجد أمامي سوى أن أعمل بنصيحته، لألقي بجسدي المكدود على الفراش، ولأغيب في نوم عميق دام لساعات..

وحين استيقظت، كان الصخب في الخارج قد توقف، فخرجت من غرفتي لأجد أنهم وضعوا تلك الشرائط الصفراء على باب غرفته، ليسدوا الطريق أمام المتطفلين.. بالطبع لم يعد هناك شيء في الغرفة يصلح للفحص، فالنار التهمت كل شيء، وفريق المعمل الجنائي قضى على ما تبقى من الأدلة، وهكذا لم يعد هناك مبرر واحد للمخاطرة.. لكنني أعرف ما لا يعرفون، وأعرف أنهم سيقضون أياماً عصيبة في البحث عن طرف خيط، لن يوصلهم إلى شيء..

إنه الشبح أيها السادة.. فأني فرصة تملكونها معه؟

تناولت طعامي في الاستراحة، وأخذت أضيع الوقت في التجول في أرجاء الفندق، منتظراً اتصال السيد (أنور)، وحين أتاني أخيراً، على

هاتفى المحمول، وجدته يتحدث بهدوئه المستفز:

- (سامي) أين أنت؟

أجبت بلهفة:

- أنا في الفندق.. (إيجور) هرب و..

- عظيم.. (سامي) سيتم اختطافك بعد قليل.. أنصحك ألا تقاوم،

واطمئن.. كل شيء تحت السيطرة..

أصابني مزيج من الهلع والدهشة، وأنا أسمع ما أسمعه، فقلت:

- ما الذي تقوله؟

- قلت لك لا تقلق.. سأشرح لك كل شيء فيما بعد..

ثم أنهى الاتصال، ليغلق في وجهي باب الجدل، فأسرعت على الفور

إلى الطابق السفلي، ومنه إلى مدخل الفندق حيث استوقفني موظف

الأمن، قائلاً:

- مسيو (سامي) .. هناك من سأل عليك هذا الصباح..

أجبتة بلا اهتمام ، وأنا أواصل طريقي:

- فيما بعد.. فيما بعد..

لكنه قال بإصرار:

- لقد كانوا ثلاثة... ظننتهم من المحققين. لكن ملامحهم كانت

أجنبية، وحين تحدث أحدهم، كانت لكنته روسية.. نعم روسية.. لقد

سألني عما إذا كنت نزيلاً عندنا، ثم انصرف على الفور..

ثلاثة.. لكنة روسية.. الأمر لا يحتاج للمزيد من الفهم، لذا تجاهلت

موظف الأمن، وأسرعت إلى سيارة (إيجور) في مرآب الفندق. ودخلتها

على الفور لأدير المحرك، مستعداً للهرب بأقصى سرعة..

سيتم إخطائي؟.. اطمئن؟

لقد فقد هذا المدعو (أنور) عقله تماماً...!!  
إنه الفريق الذي أرسلوه للتخلص من (إيجور)، وها هو قد بدأ  
يسعى خلفي أنا.. لا بد أن (ناتاليا) قد حكمت لهم عن كل ذكرياتها منذ  
الطفولة، ولا بد أنهم أقتنعوها بهذا بطرقهم الخاصة..  
يجب أن أبتعد... يجب أن أهرب..  
نصيحة مجانية جديدة..  
لو أخبرك رجل مخبرات أن أحدهم سيختطفك، وأنه لا يجب أن  
تقلق، فلا تصدقه..

بل اهرب على الفور، كأن شياطين الجحيم تطاردك!  
لكني لم أكد أتحرك بالسيارة، حتى فوجئت بمن يفتح باب السيارة  
المجاور، لي، ثم بيد تجذبني إلى الخارج بقسوة، لأتلقى أول ضربة من  
كعب المسدس على رأسي..  
كانت الضربة عنيفة، ومفاجئة، لكنني قاومت لأجد نفسي في مواجهة  
ثلاثة رجال، هتف أقصرهم بشيء ما بالروسية لم أفهمه، فانهالت  
الضربة الثانية على مؤخرة عنقي بقوة هائلة كأنها يد القدر، ليظلم  
العالم أمامي، دون أن أجد فرصة أفضل للمقاومة..  
وهكذا سقطت على الأرض، ليحملوني إلى تلك السيارة السوداء،  
ولينطلقوا بي إلى حيث سأكون تحت رحمتهم..  
والى حيث سنمرح سوياً..  
بدون أي إزعاج!

\*\*\*

## ٧- تحت رحمة روسي..

استيقظت لأجد نفسي في الموقف التالي..

كنت مقيداً إلى مقعد خشبي عتيق، من تلك المقاعد التي يستحيل زحزحتها من مكانها، بمجهود رجل واحد مقيد إليها، ورائحة رطوبة خانقة تقعم أنفي، وثمة عصاة على عيني تمنعني من رؤية أي شيء، بينما أخذت أذناي تنقلان إلى عقلي حديث هامس بالروسية، لم أفهم منه حرفاً، فظللت جامداً في مكاني، دون إصدار أي حركة، تشي باستعادتي الوعي، لأقيّم الموقف الذي أصبحت فيه..

أنا الآن تحت رحمة وفد الاغتيال الروسي، الذي أرسلوه للتخلص من (إيجور)، وهذا يعني أنهم لن يترددوا في استخدام كل الطرق المتاحة لاستجوابي، قبل أن يتخلصوا مني، بلا أدنى شفقة أو رحمة.. والمشكلة أنني حتى لو قررت التعاون معهم، فلن أمنحهم ما يريدونه، لأنني لا أعرف أين (إيجور) الآن، وهذا ما لن يصدقونه، حتى لو كانوا واثقين من صدقي..

كل هذا يحدث لي، لأنني قبلت أن أنوم مغناطيسياً في أحد المرات، لذا هاك هذه النصيحة المجانية، فربما تكون الأخيرة..

لا تسمح لأحدهم بممارسة التنويم المغناطيسي عليك أيًا كان  
السبب!!

كيف سأتصرف الآن؟.. كيف؟

ألا أملك قدرة خاصة تمكّني من الخروج من هذا الموقف، لكنني  
لم أكتشفها بعد؟.. أعتقد أن هذا هو أنسب وقت لاكتشافها لو كانت  
موجودة..

لكن أحدهم جذب العصاة من على عيني فجأة، لأرى أننا في شقة  
قدرة شبه خاوية، وليقول هو بفرنسية ذات لكنة روسية:

- لقد استيقظ..

- عظيم..

وهكذا وجدتني في مواجهة ذلك القصير ذو الملامح الوسيمة، التي  
بدت لي مخيفة لسبب ما، وقد سدّد إليّ عيناه الزرقاوتان بثبات عجيب،  
ليقول:

- والآن.. أمامك خيارين لا ثالث لهما.. أن تتحدث بالطريقة  
السهلة، أو بالطريقة الأصعب..

بالطبع بدت لي جملته سخيفة، فهو يتصرف كأنما يطلب مني أن  
أريح ضميره، قبل أن يبدأ في تعذيبني، لذا حافظت على صمتي، فابتسم  
هو بسعادة، ليقول:

- إذن فلقد اخترت الطريقة الأصعب..

إنه يهوى التأثير الدرامي إذن في الاستجواب.. ربما تجدي هذه  
الطريقة مع (ناتاليا)، لكن معي..  
تحدثت ببطء لأقول:

- يجب أن تعرف أن سفارتي لن تقبل بهذا الذي يحدث.. ولو كنت مكانك لفكرت جيداً فيما أفعله..

- لا بأس بهذه البداية.. كنت واثقاً من أن ملامحك عربية.. هه..  
ما هي جنسيتك؟

- عربي.. هذا يكفي..

- وما علاقة عربي مثلك بـ (إيجور فيودوروف)؟

- من هو (إيجور فيودوروف) هذا؟

هنا شعرت بمن يجذبني من شعري، ويضغط بنصل معدني حاد على عنقي، لأكتشف أن رفيقي القصير يقفان خلفي، وأن أحدهما قرر المساعدة، لكن القصير استوقفه قائلاً:

- لا داعي.. صديقنا العربي سيخبرنا بكل شيء..

تركني رفيقه بضيق. فمال القصير بوجهه عليّ، لأجد نفسي في مواجهة العينين الباردتين، ليرد:

- والا سأجعلك تتمنى لو تركته يذبحك..

أعترف لكم أنني شعرت ببعض الابتذال في طريقته، لكنني كنت أعرف أنه صادق فيما يقول، لذا قلت على الفور:

- لكنني لا أعرف عمّن تتحدث حقاً..

- عن الذي كنت تقود سيارته .. والآن، هل ستكف عن العبث، أم أنتي سأضطر لإضاعة وقتي؟

يا لي من أحقق غبي!!.. كيف لم أنتبه إلى هذه النقطة؟

لهذا أنا لا أصلح للعمل في المخابرات، ولهذا - لو خرجت من هنا حياً - سأطلب من السيد (صلاح) أن يبعدني عن هذا كله، وأن يمنحني حياة تقليدية مملة..

المشكلة الآن هي أنني لا أملك أن أقول ما أعرفه.. فأنا لا أعرف شيء واحد ذو قيمة، ولا يمكنني أيضًا أن ألوذ بالصمت، وإلا بدأ القصير في تجربة وسائل الاستجواب الروسية الشهيرة عليّ، فما الحل إذن؟  
أين أنت أيها الوغد (أنور)!!  
- " يبدو أنك قد اخترت بالفعل.. "

قالها القصير، ثم اتجه إلى طاولة صغيرة عليها حقيبة مفتوحة، تحمل أدوات معدنية عجيبة الشكل، لكنها موحية بشدة.. أدوات تصلح لقطع الأظافر، ولتحطيم العظام، ولتمزيق الأعصاب، وكل هذه الأدوات ستكون من نصيبي أنا.. لكم أنا محظوظ!!  
انتقى القصير أكثر هذه الأدوات إفزاعًا واتجه بها إليّ، ليقول مبتسمًا في جدل:

- أعدك أنك ستخبرني بكل ما تعرفه بعد قليل..  
كنت أشعر بهلع لا حد له، لكنني جاهدت كي أبدو متماسكًا.. لو كنت سألقى حتفي، فسألقاه بكرامة تليق بعربي.. ولو حدث هذا، فجلّ ما أرجوه أن تعود روحي إلى هذه الدنيا لأتسلى بتعذيب السيد (أنور) حتى يفقد عقله!!

أخذ القصير يقترب مني ببطء ليحافظ على التأثير الدرامي للأحداث، حاملاً أدواته المخيفة، وهو يبتسم بثقة من يعرف استخدام هذه الأداة جيداً...

إنه لا يمارس عمله فحسب، بل يستمتع به كذلك.. ولا يوجد شيء في هذه الدنيا قادر على إفساد متعته إلا.. إلا..

إلا أن يدوي ذلك الانفجار في الخارج، لطير باب الشقة إلى الداخل، وليقتلع في طريقه أحد رفيقي القصير بدوي هائل، قبل أن يسقطاً أرضاً..

والآن لا أجد طريقة مناسبة لوصف المعركة التي حدثت، ولا يمكنني أيضاً أن أكون مستقراً، لأتجاوزها إلى ما حدث بعد ذلك.. لذا عليّ أن أبحث عن طريقة فريدة ومبتكرة لأروي لك ما حدث...  
نعم.. المزيد من الكوميكس!.. لنبدأ بسرعة..

### الكادر الأول:

أنا ما زلت مقيداً إلى المقعد، وتلاحظون نظرة المفاجأة في عيني القصير ورفيقه الأول، وهما يشهران أسلحتهما، بينما رفيقه الثاني يهب من على الأرض كدب هائج وهو يشهر مسدسه ويضغط على الزناد تجاه الباب المفتوح..  
بالطبع سيكون الهامش العلوي من نصيبي لأقول فيه: (كانت المفاجأة غير متوقعة بالمرة..)

### الكادر الثاني:

نرى الآن أن الثلاثة يتجاهلونني تماماً، وقد بدأوا يطلقون النار على الباب المفتوح، دون أن يدخل عبره شيء، سوى تلك العلبة المعدنية التي أخذت تتدحرج تجاهي وقد بدت مستعدة تماماً لأن تنفجر أسفل قدمي!!

تلاحظ أنني أحاول وبهستيريا أن أتخلص من قيودي، لكن.. لا جدوى..

يهتف القصير في بالونة ترتفع فوق رأسه:

- ابتعدا...!!



بينما أواصل أنا في الهامش العلوي: (و حين بلغت القنبلة أسفل قدمي.. أدركت أنها النهاية)

### الكادر الثالث:

القنبلة تنفجر أسفل قدمي، ليخرج منها أطنان من الدخان - رسم الدخان هو كابوس أي رسام، لكنه ما حدث! - ليبدأ الجميع وأنا منهم في السعال الحاد، وقد أصبحت الرؤية شبه معدومة، بينما أخذ القصير في التراجع إلى الخلف، وهو يطلق رصاصاته عشوائياً على الدخان..

### الكادر الرابع:

يظهر الشبح... شبح ضخّم لرجل يرتدي معطف أسود يتطاير خلفه كمباءة.. مرتدياً قبعة رعاة البقر الأمريكية، وقناع واقى من الدخان على وجهه يخفي ملامحه تماماً، وهو يحمل مسدسين في كلتا يديه، يطلق منهما الرصاصات بدقة مبهرة، لتطير مسدسات رفيقي القصير، اللذين تحولوا بفضل الدخان والسعال إلى كائنات بائسة لا حول لها ولا قوة..

في الهامش العلوي تقرأ: (وكان الهجوم ساحقاً..)

### الكادر الخامس:

من وسط الدخان الذي يملأ الكادر ترى الشبح يحطم فك مرافق القصير الأول. بينما ساقه مغروزة في معدة المرافق الثاني.. لوكان هذا (إيجور) فأنا أحسده على اللياقة التي يتمتع بها في سنه هذه، ولولم يكن (إيجور).. فمن هو منقذي هذا؟!

## الكادر السادس:

من زاوية رأسية، نرى الشبح يختم قتاله مع رفيقي القصير بضربتين موفقتين من كعبي المسدس على رأسيهما، كانتا من القوة إلى الحد الذي تتناثر مع الدماء من رأسيهما. مصحوبة بكلمات ( طق ) و ( طااخ ) الذين يكتبان على الكادر عوضاً عن الصوت، وتراني أنا أرمق هذه النهاية، وجسدي ينتفض لفرط السعال، كما تلاحظ أن القصير قد اختفى من المكان...

في الهامش العلوي تقرأ: ( قلت أن الهجوم كان ساحقاً.. وناجحاً! )

## الكادر السابع:

الآن يمكنك أن ترى هذا الشبح وهو يحل وثاقي، بينما تساقط رفيقي القصير على الأرض من خلفه، والدماء تنزف من رأسيهما.. ترى أن قبلة الدخان أسفل قدمي تلفظ أنفاسها الأخيرة، ويمكنك أن تلاحظ رغم الأدخنة أن هذا الشبح هو (إيجور).. وها هو يتصرف كلقبه تمامًا..

مني تتصاعد بالونة ذات ذيل، أقول فيها أنفاس متقطعة من السعال:

- هـنـ.. كـح.. هناك ثالث.. كـح كـح.. إنه هنا..

ومن (إيجور) تتصاعد بالونة صغيرة يقول فيها باقتضاب:

- أعرف.. لا تقلق..

## الكادر الثامن:

في هذا الكادر تراني أهب من على المقعد والسعال يمزق صدري، وعينيائي محمرتان تغمرهما الدموع، بينما يسرع (إيجور) إلى أحد الغرف، شاهراً مسدسيه أمامه، ومعطفه لا يزال يتطاير من خلفه، كأنه بطل قصة أسطورية.. كأنه ملاك الموت وقد جاء ليحصد أرواح الخطاة..!

في الهاش العلوي تقرأ (وبأسرع مما توقعت انتهت المعركة.. أ وكادت)

## الكادر التاسع:

الدخان بدأ يقل تدريجياً ليجعل الرؤية أوضح قليلاً.. تراني أقف بصعوبة وأنا أنتزع المسدس من أحد رفيقي القصير الفاقد الوعي، من باب الاحتياط والتأهب للأسوأ، وترى ذلك الوميض القادم من الغرفة مصحوباً بالـ (رتاتاتاته..). المميز لكم الرصاصات التي يتم إطلاقها في الداخل الآن، والذي يؤكد أن مواجهة القصير، لم تكن بالسهولة المتوقعة.. لا بد أن الجحيم ذاته يستعر داخل الغرفة، لكن لا خيار أمامي.. يجب أن أدخل!

## الكادر العاشر:

كدت أبلغ باب الغرفة حين خرج القصير فجأة وقد غطت الدماء نصف وجهه. ليدفعني بيديه، والغضب باد في ملامحه، بينما أطلقت أنا رصاصة من مسدسي، طاشت مع هذه الدفعة الغير متوقعة.. القصير هرب.. ما الذي يعنيه هذا؟!

## الكادر الحادي عشر:

أنا أهب من على الأرض، بينما ترى أن القصير قد اختفى من الكادر - لقد هرب - وعند باب الغرفة ترى (إيجور) يستند على الجدار، وهو يفتح أزار معطفه، لنرى سوياً تلك السترة الواقية من الرصاصات، وقد حملت عدداً لا بأس به من الثقوب، تدل على أنه لولا وجودها. لكان (إيجور) الآن مجرد ذكرى..

مني تتصاعد بالونة متحمسة، تقرأ فيها:

- لقد هرب.. يجب أن نلحق به..

ومن (إيجور) ذات البالونة المقتضية:

- لا داعي لهذا..

الآن يمكننا أن نتوقف عن أسلوب الكوميكس، وأن نعود لأسلوب السرد العادي، ففي الوقت الذي أخذ (إيجور) فيه ينزع القناع الواقى عن وجهه، كنت أنا أهتف بعصبية:

- لكنه خطف ابنتك.. (ناتاليا) ..

- مطاردته لن تجدي بشيء.. لقد اختفى فعلياً..

وهنا لدهشتي دخل السيد (أنور) المكان - أخيراً ظهر ذلك القصير!

- واضحاً كفيه في جيب معطفه كعادته، ليقول بهدوء شديد مستفز:

- إنه على حق.. لقد اختفى..

ثم ابتسم بارتياح، ليرد:

- وهذا يعني أننا نجحنا..

->>>>>

\*\*\*

## ٨- للتبادل المعلومات..

طيلة الطريق إلى شقتي المؤجرة في (باريس)، أخذ السيد (أنور) يقود السيارة، وهو صامت كتمثال، وشفتيه تحملان ابتسامة غامضة مشيرة للأعصاب، وإلى جواره جلس (إيجور) في حالة هدوء تامة، يرمق الطريق من زجاج النافذة، دون أن يبدو كأن شيئاً مما حدث حتى الآن يؤثر فيه على الإطلاق..

وحدي جلست في المقعد الخلفي، أضرب أخماساً في أسداساً. عاجزاً عن فهم ما الذي يحدث من حولي، كما هي العادة منذ زمن، وأنا أتساءل عما حدث وسيحدث، وعن الخطوة التالية التي ستقوم بها، إن كان هناك خطوة تالية..

وصلنا أخيراً. فخرجنا من السيارة، وانضممنا في المصعد الضيق، ليحملنا إلى الطابق الرابع، حيث الشقة التي منحوني إياها، حتى أنني لم أندھش، حين وجدت السيد (أنور) يخرج مفتاحاً ليفتح به الشقة، كأنه من يسكن هنا لا أنا..

وحين دخلنا سوياً إلى الشقة، كان هناك شخص رابع في انتظارنا، يولينا ظهره وهو يدخن بإفراط، وقد أمسك في كفه بكأس صغير يحتوي على الشراب..

وحين التفت ليواجهنا، لم أستطع كبح جماح دهشتي ..  
نعم.. لقد كان هو.. (إيجور فيودورف)..  
الشبح!!

\*\*\*

الآن ينزع شبیه (إيجور) القناع من على وجهه، ليظهر شاب مصري  
وسيم الملامح، ليجلس جوار (إيجور) الحقيقي، بينما السيد (أنور)  
يفلق الباب من خلفنا، قبل أن يجذبني من يدي لأجلس، لأتبعه محاولاً  
السيطرة على أعصابي..

وأخيراً يقول السيد (أنور):

- أعرفك أولاً بالسيد (أمجد) الذي أنقذك متنكراً في هيئة  
(إيجور)..  
هزّ السيد (أمجد) رأسه دون أن ينطق بحرف، فتابع السيد (أنور)

بالفرنسية موجهاً حديثه لي:

- والآن يا عزيزي.. هل تريدني أن أشرح، أم ستخبرنا أنت بما

حدث؟

- أعتقد أن لي تصور ما عما حدث..

- أخبرنا به إذن..

صمت لحظة لأستجمع أفكاري كلها في رأسي، ثم قلت:

- الواقع أنني لم أكن مستعداً لما حدث.. المطلوب مني كان أن

أحرس هذا الرجل سرّاً، تمهيداً لمساعدته على الهرب من البلاد، أما  
أن أكتشف أن له ابنة، وأنه يحتفظ بجثة في غرفة الفندق، فهذا ما لم  
أتوقعه.. لقد حاولت الاتصال بك حينها لأبلغك هذا، لكنك اختفيت دون

سبب لتتركني أواجه هذا كله وحدي، وحين ظهر (إيجور) في غرفتي، ليطلبني بالسفر معه، لم أعرف كيف أتصرف فتبعته وأنا أشعر بأن هناك خدعة ما تنتظرني.. وقد كان..

التقطت أنفاسي لأتمكن من المواصلة. ثم تابعت:

- لقد اختفى (إيجور) فجأة حين كنت في القطار تاركاً لي حقيبتيه الخاوية، فلم يعد أمامي سوى اللجوء لقدراتي لمحاولة فهم ما حدث، وباستخدام قدراتي مع كثير من المنطق، استطعت أن أبني التصور التالي.. (ناتاليا) كانت في الفندق. لتزود أباهما بتلك الحقيبة التي تحوي على أدوات تنكر.. ولا بد أنه تنكر في هيئة شخص بدين، فهذا يتناسب مع حجم الحقيبة الضخم، والسهولة التي كان (إيجور) يحملها بها. رغم عمره المتقدم.. لكنني تمكنت أيضاً من الشعور بأن ابنته أصبحت في خطر، وأنه سيضطر للعودة.. وما حدث بعد ذلك معروف، بما فيه اتصالك المستفز بمن سيختطفونني، الشيء الوحيد الذي لم أفهمه هو كيف عرف (إيجور) أنه أنا من أراقبه بهذه السرعة؟! أعني أننا اتخذنا الاحتياطات اللازمة..

أجاب (إيجور) بلا اكتراث:

- قطرة الدم التي تركتها أمام باب غرفتي.. سألت الخدم فأخبروني من هو الأحمق الذي لم يجد سوى باب غرفتي لينزف أمامه، وكانت ابنتي أخبرتني أنك عربي، فلم يعد من الصعب استنتاج الباقي.. هنا تحدث السيد (أنور) وهو ينظر لي نظرة خاصة، مكملًا:

- لكن (إيجور) لم يعرف أن ابنته قد سقطت في تلك الليلة في أيدي وفد الاغتيال الذي أرسلوه للتخلص منه، وكنت أنا من أبلغه هذا الخبر، حين كان يقف حائرًا في مطار لندن ينتظر ظهورها، لأعود به إلى هنا

بينما كنت أتصل بك لأطلب منك ألا تقلق.. فلقد كنت أعرف ما الذي سيحدث بالضبط..

وصمت قليلاً، قبل أن يردف:

- بالطبع كنت أعرف موضوع الجثة التي يحتفظ (إيجور) بها لتلعب دوره حين يشعل الغرفة، ليظن الجميع أنه هومن احترق، كما كنت أعرف موضوع ابنته، وهذا هوكان بداية شكي.. لذا أعددت خطتي بحيث تشمل جميع الاحتمالات ومنها ما حدث فعلاً.. لذا فلم تكذ أنت تسقط في أيدي رجال المخابرات الروسية، حتى كان الزميل (أمجد) قد تنكر بهيئة (إيجور) ليتبعك، ولينقذك.. على الأقل هذه المرة كنا نعرف، عكس ما حدث لـ (ناتاليا) التي اختطفوها فجأة.

لم أتمالك نفسي من أن أسأل:

- لماذا تنكر بهيئة (إيجور)؟

- ظهور (إيجور) أمام وفد الاغتيال هذا وهزيمته لهم بهذه الصورة، ستجعلهم يندفعون كالحمقى إلى حيث يحتفظون بالكارت الأخير الذي قد يضمن لهم النصر في هذه المعركة.. إلى حيث يحتفظون بـ (ناتاليا).. وهكذا يستطيع فريق التتبع والمراقبة تحديد مكان (ناتاليا) على وجه الدقة..

هنا سأل (إيجور) بلهفة لم يستطع مدارتها :

- هل حددتم مكانها؟

- ليس بعد.. لكن لا تتوقع أننا سنساعدك هذه المرة بدون مقابل..

- أنا مستعد لأي شيء.. أي شيء مقابل أن تنجو ابنتي..

وعلى الرغم مني وجددتني أنظر إلى (إيجور) بدهشة..

كان من العجيب حقاً أن أرى (إيجور) في حالة الضعف الإنساني



هذه التي أخذ يقاوم ظهورها عليه بضراوة..  
هذا الرجل الذي ارتجفت المخابرات في جميع أنحاء العالم لمجرد  
ذكر اسمه. يبدو الآن كأنما فقد جزءً من رهبته، وهو يتحدث عن  
استعداده لفعل أي شيء.. أي شيء لينقذوا ابنته الوحيدة..  
ألم أقل لكم هورائع أن تحيا كمجهول؟!

ها هو الشبح ذاته يدفع ثمن كونه (إيجور)..  
كنت أعرف أن السيد (أنور) سيساعده على كل حال، لكنها كانت  
فرصته ليجعله يدفع الثمن. فقال بقسوة:

- وما الذي يضمن لنا أنك لن تتلاعب بنا ثانية؟  
لم يتردد (إيجور) لحظة، قبل أن يقول:  
- قلت لكم أي شيء مقابل إنقاذ ابنتي.. أي ضمانات تريدها..  
- عظيم.. لنتنظر تقرير فريق المراقبة والتتبع إذن..  
هنا سألت أنا أخيراً:

- سيد (أنور).. ما دمت كنت تعرف، فلماذا لم تبلغني بهذا كله من  
قبل؟!

- هناك قاعدة في عالمنا تقول أن المعرفة على قدر الحاجة..  
تماسكت كيلا أهشم عنقه، لأقول:  
- أعتقد أن دوري انتهى إذن..  
- ليس بعد.. انتظر قليلاً..

قالها السيد (أنور)، فابتلعت ضيقي ولذت بالصمت الذي ساد  
على المكان، وقد انتظر الجميع اتصال فريق المراقبة والتتبع، وحين أتى  
الاتصال أخيراً، كانت اللفتة المطلة من عيون الجميع تدل أن (إيجور)  
ليس وحده من يشعر بالقلق...

استغرق الاتصال دقائق معدودة، أخذ فيها السيد (أنور) يغغم بكلمات غير مسموعة، وبالعربية ليضمن أن (إيجور) لن يفهم حرفاً مما يقوله، قبل أن ينهي الاتصال ليقول بتوتر بالغ:

- لقد حددنا الموقع.. لكن..

- لكن ماذا؟

كانت هذه من (إيجور)، فأطرق السيد (أنور) لحظة - لو كان يريد تمزيق أعصابه، فلقد نجح في هذا تماماً - قبل أن يجيب أخيراً:

- إنها هناك.. في بيت العقارب..

لم تتحرك عضلة في وجه (إيجور)، لكن صوته عبّر عن الانفعال الذي يموج في أعماقه:

- ماذا تقول؟

- هذا هو الموقف.. يجب أن نتصرف وبسرعة، فليس من الحكمة أن نتركها تحت رحمتهم..

سألت قبل أن يتجاهلني الكل كالمعتاد:

- ما هو بيت العقارب هذا؟

فأجابني السيد (أنور):

- إنه مقر للمخابرات الروسية في (فرنسا).. ليس مجرد مقر، بل حصن في الواقع يستخدمونه للحفاظ على من حياته في خطر بالغ، أو من يريدون تعريض حياته لخطر بالغ دون أن يزعجهم أحد.. هذا هو ما يمكنني أن أخبرك به..

هنا قال السيد (أمجد) باهتمام:

- أوافقك الرأي في أهمية التحرك سريعاً.. فذلك القصير الأشقر

الذي يقود وفد الاغتيال شرس للغاية، حتى أنني لا أنكر أنني نجوت منه بأعجوبة..

سأل (إيجور) بقلق يتزايد حتى بات من العسير مقاومته:

- قصير أشقر!.. هل يمكنك أن تصفه لي قليلاً؟!

- لا شيء مميز فيه سوى ندبة خفيفة أسفل عينه اليسرى..

خرج صوت (إيجور) هذه المرة، حاملاً مزيجاً عجيباً من القسوة والخوف والغضب والمقت:

- إنه (أنطون).. لقد أرسلوا (أنطون)..

- من هو (أنطون) هذا؟!

- إنه ابن واحد من أعز أصدقائي .. أو من كان كذلك.. فلقد قتلته حين أرسلوه لاغتيال ذات مرة..

- أي أنه ينبغي الانتقام.. عظيم.. هذا ما كان ينقصنا..

ثم صمت السيد (أنور) ليغرق في تفكير عميق، فاحترمت صمته، وأخذت أرمق (إيجور) الذي بدا وكأنما تضاعف عمره مرات ومرات، وهو ينظر إلى السيد (أنور) الذي دام تفكيره لبضع دقائق قبل أن يقول:

- لا خيار أمامنا.. سنهجم على بيت العقارب..

- لكن.. ألا تعتقد أنه لا ينبغي لنا التورط مع المخابرات الروسية بصورة مباشرة؟

كانت هذه من السيد (أمجد)، لكن ابتسامة الغموض وجدت طريقها إلى شفتي (أنور) وه يقول:

- لا تقلق فلدي خطة..

وبدأ في شرح خطته لنا بهدوء وثقة، وبأسلوب جعلني أندمج معه تماماً، حتى أنني بدأت في تقديم الاقتراحات بعد أن انتهى، وبدأ الجميع يصغون إليّ، ثم انضم السيد (أمجد) ثم (إيجور) نفسه...

هل يعرف أحدكم (ورشة السيناريو) التي تتعقد قبل أي فيلم؟ حين يجلس أكثر من مؤلف، فيلقي أحدهم بفكرة ما ليتلقفها آخر، ويبدأ في إعادة صياغتها والإضافة عليها، ثم ينضم ثان وثالث، وكل منهم بأرائه وأفكاره. حتى تتبلور الفكرة تماماً تحمل في أساسها فكرة الأول لكنها مغطاة بعصارة أفكار الجميع وخلاصة تجاربهم.. هذه هي الفكرة التي تصلح.. هذه هي الفكرة التي ستنفذ..

لقد كان الأمر أشبه بهذا، لكن بين ثلاث من رجال المخابرات ورابع - هو أنا - يحمل خبرات غير عادية، إضافة إلى خبراته كرجل شرطة سابق..

لا بد أن اجتماعنا هذا قد استغرق أربع ساعات على الأقل، لكننا في النهاية كنا ننظر برضا إلى المخطط النهائي الذي وصلنا له..

هذه هي الفكرة التي تصلح.. هذه هي الفكرة التي ستنفذ..  
لننفذها إذن..

\*\*\*

## ٩- إلى بيت العقارب..

وكان بيت العقارب هذا في (مونمارتر Monmartre) ... وقبل أن أحكي لك ما حدث، دعني أعرفك بالمكان قليلاً من باب الاندماج في جو المكان الذي يساعد على معايشة الحدث.. أعتقد أن هذا مهم وضروري.. فكيف لأحد سكان المغرب مثلاً أن يتعايش مع أحداث قصة تدور في الحسين، ما لم يتعرف على المسجد بأصواته، وعلى المقاهي الساهرة ليل نهار، وعلى رائحة الشواء التي تفعم الشارع في ليالي رمضان، من عشرات المطاعم حيث وجبات السحور كفيلة بالقضاء على مرضى القلب، في ليالي رمضان طلباً للبركة.. ١٩٠٠ مونمارتر هي قرية قائمة على هضبة، يسميها الفرنسيون تلة (لابوت La Butte)، ولتصل إليها أمامك طريق من اثنين.. إما أن تأخذ باص مونمارتر (Monamartrobus) الذي سيوفر عليك مشقة السير، وسيمنحك جولة كاملة في القرية، وإما أن تبدأ من الصباح الباكر بأن تستقل المترو إلى (أبيسس Abbesses) ومن ثمّ المصعد الذي سيقودك إلى أعلى - ليس من الحكمة صعود الدرج الذي لا نهاية له - وستجد نفسك في مواجهة المدخل الجذاب لمبنى (Art Nouvaue) قرب كنيسة

القلب المقدس (Sacre' Coeur) التي تعد تحفة معمارية تستحق الزيارة، مالم تكن ذاهباً لإنقاذ ابنة الشبح...  
على كل حال لسنا هنا لنتمتع بجمال الطبيعة، كما أن مشهد الذروة لهذه القصة أوشك أو كاد، لذا سنترك هذا كله، وسنسلك شارع إيفون لوتاك (Rue Yvonne le Tac) لننتجه إلى محطة القطار، ثم سنتجه شرقاً إلى حيث تلك المباني الهائلة التي تحيطها الحدائق الفرنسية الغناء، التي لا تصلح إلا لقصص العشاق أو لتصوير الأفلام الفرنسية، ذات الصورة شديدة النقاء..

هل ترى معي هذا المنزل ذو الطابق الواحد، الذي تحيط به حديقة كثيفة الأشجار على نحو كفيل بإخفاء جيش من الحرس؟.. هل ترى تلك النوافذ المكونة من مرايات نصف عاكسة تسمح لمن في الداخل برؤية من في الخارج، والعكس غير صحيح؟  
هذا هو بيت العقارب الروسي الشهير..  
وها أنا الآن ألتقط نسائم الليل الباردة في صدري لأستعد للدخول..  
فهل تجرؤ على مرافقتي؟  
هل تجرؤ؟

\*\*\*

كانت الخطة جريئة حقاً وتليق بخطة وضعها ثلاث رجال مخابرات وضابط شرطة، إذ كانت تعتمد على المفاجأة والسرعة... وعلى كبش فداء قبلت أنا لعب دوره بصدر رحب، ليكون هذا هو الدور الوحيد الفعال في هذه القصة..

كنت أقف أمام المنزل الذي بدا خاوياً كما يفترض به أن يبدو.

والى جوارى (إيجور فيودورف) الحامل الرسمي والوحيد للقب الشبح،  
ونسائم الليل الباردة تجمد رئتي، حين قال هو:

- هل أنت مستعد؟

- كالعادة..

- هيا بنا..

وبأعصاب نحسد عليها حقاً، اتجهنا إلى بوابة المبنى المعدنية،  
حيث كايينة الحراسة بزجاجها النصف عاكس، والتي لم نكد نقرب  
منها، حتى خرج منها ثلاث حراس يحملون المدافع الآلية القصيرة،  
وهم ينظرون إلينا بذهول، كأنهم لا يصدقون ما يحدث أمامهم، حتى  
أن أولهم قال بالروسية - لم أفهم ما قاله، لكنني استنتجت - في جهاز  
الاتصال في يده:

- إنهم هنا..

أتاه الصوت مصحوباً بالشوشرة المتوقعة، بما معناه أن:

- فتشهما جيداً ثم تعال بهما إلى الداخل..

وهكذا قام الحراس الثلاثة بتفتيشنا جيداً، ليتأكدوا أننا لا نحمل أي  
أسلحة، قبل أن يقودنا إلى الداخل وهم يسددون مدافعهم تجاهنا طيلة  
الوقت. وقد التصق تعبير عدم التصديق بوجوههم الباردة...

الشبح يسلم نفسه إليهم بهذه البساطة.. من يصدق هذا؟!

بالطبع لم نكن نتصرف بحماقة لو كنت ظننت هذا، ف (إيجور) كان

قد اتصل بهم قبل مجيئنا ليعرض عليهم الصفقة التالية...

سيأتي معي إليهم ليسلم نفسه إليهم، على أن يتركوا (ناتاليا) ترحل

معي...

بالطبع لن يكون الأمر بالبساطة المتوقعة، فهم إن لم يتركوا (ناتاليا)

سيقوم أحد أصدقاء (إيجو) بإرسال نسخة من ملفات المخابرات الروسية إلى جميع أجهزة المخابرات في العالم، والضمان الوحيد لكي لا يتم هذا هو أن تبقى ابنته حية، حتى بعد وفاته هو... أي أنها صفقة قدرة، لكنها تضمن أن تخرج ابنته حية من هذا المكان على الأقل، بعد هذا فليحدث ما يحدث، وسيكون الرهان على أي المخططين أذكى.. مخططة أم مخططهم..

بالطبع سنحصل نحن على المقابل أيًا كانت النتيجة، فـ (إيجور) منحنا أسطوانة المعلومات المطلوبة، ولم يتبقى سوى حل الشفرة الذي كتبت به المعلومات داخل هذه الأسطوانة، وهذا ما سنحصل عليه في حالة خروج ابنته، ولن تعرف المخابرات الروسية شيئاً عن هذا، فكما أكد لي السيد (أنور) أن مثل هذه المعلومات تفقد قيمتها، لو تم اكتشاف سرقتها أو الحصول عليها..

وهكذا ترانا الآن ندخل بيت العقارب - مما يدل على أنهم وافقوا على عرضه، أو أنهم يعدون لنا مفاجأة في الداخل - وقد انضم المزيد من الحرس إلى الثلاثة الذين استقبلونا عند البوابة، وأصبح من العبث، محاولة إحصاء عدد المدافع التي تحيط بنا.. الأمر يبدو مبالغاً فيه، لكن (إيجور) يستحق..

أخذنا نسير عبر ممرات خالية متشابكة، ومضاءة بالنيون الهادئ، وقد مررنا على عشرات الأبواب المغلقة في المكان، مما يدل على أنهم بنوه خصيصاً، ليضل المرء فيه طريقه بسهولة، وفي النهاية بلغنا تلك الغرفة حيث كان القصير (أنطون) في انتظارنا، وقد بدا عليه أن يحاول السيطرة على أعصابه المضطربة...

لقد نجح فيما عجزت عنه جميع أجهزة المخابرات، وها هو الشبح



يسلم نفسه أمامه وفي عرينه.. أي نصر هذا..  
 وحين تحدث، كان صوته بارداً كالثلج:  
 - أخيراً يا (إيجور).. بعد كل هذه السنوات..  
 لكن (إيجور) لم ينطق بحرف، وإن أخذت عيناه تتحركان في المكان  
 بسرعة ودقة، بينما حاولت أنا أن أتخلص من رهبة المكان، لأقول:  
 - ها هو بين يديكم.. سأخذ الفتاة وأرحل..  
 - لن تذهب إلى أي مكان أيها العربي..  
 - ماذا تقصد؟  
 - أقصد أن الاتفاق لاغ.. والآن يا (إيجور) ستخبرنا أين صديقك  
 هذا الذي يملك الملفات، أو سنذبح ابنتك أمام عينيك..  
 وعلى عكس ما يتوقع تماماً، ظل (إيجور) محافظاً على صمته، على  
 نحو أثار أعصاب (أنطون) الذي صرخ بعصبية:  
 - ألا تفهم؟.. لقد خسرت.. لن تخرج من هنا حياً، وهذا ما سيحدث  
 لابنتك لولم تتكلم..  
 لكن (إيجور) حافظ على صمته المستفز، فتراجعت أنا بظهري قليلاً  
 لأستند على الحائط، لألصق كفي به، ولأبدأ في التركيز بصعوبة، بينما  
 يصرخ (أنطون):  
 - أمامك دقيقة واحدة لتمنحنا ردك، وال...  
 دقيقة واحدة للتركيز.. لا يبدو هذا الوقت كافياً، لكنني سأحاول على  
 كل حال..  
 أغمض عيني مستغلاً أن (إيجور) هو محور اهتمام الجميع،  
 وأركز..  
 أركز.. أركز.. أركز..

الألم العنيف يتصاعد في رأسي. لكنني اعتدت عليه.. ثم الصور تتوالى في رأسي بسرعة متزايدة...

ومع تزايد الألم تتزايد سرعة الصور..  
أركز.. أركز.. أركز..

الصور تتحول إلى شريط سينمائي. وها أنا أرى ما خلف الجدار.. أرى ذلك المكتب الذي يجلس عليه مجموعة من السادة الروس يتناقشون في شيء ما لا أفهمه، لكنني أرغم نفسي على الحركة...  
أركز.. أركز.. أركز..

وكأنني أقف معهم في هذه الحجرة، أبدأ في التحرك.. ببطء أولاً. ثم تزداد سرعتي تدريجياً..

وصوت (أنطون) يبدو كأنما هو قادم من بعيد.. بعبيبييد..  
أنا الآن أغادر تلك الغرفة لأعبر بابها المفتوح إلى الممر في الخارج،  
وأبدأ في التجول في الممر...  
أركز.. أركز.. أركز..

الأم وصل إلى حد لا يطاق، لكنني أقاوم.. يجب أن أقاوم..  
أتحرك في الممر، ثم أبدأ في البحث عنها.. عن (ناتاليا).. إنها خلف  
أحد هذه الأبواب، لكن أي باب بالضبط؟  
أركز.. أركز.. أركز..

الآن تتحول حركتي إلى شيء أشبه بتلك بحركة كاميرا المخرج (ديفيد فينشر) في فيلمه (Panic Room).. من رأى الفيلم منكم، فلا بد أنه رأى كيف تجول عبر المنزل كله بأن أخذت الكاميرا تتحرك كالأفعى، لتعبر من أسفل الأبواب، وعبر ثقب الأسلاك، ومن خلال الزجاج.. من رأى منكم الفيلم يستطيع أن يتخيل الآن ما الذي أفعله..

أتحرك بعقلي ككاميرا أفعوانية في المكان!

أركز.. أركز.. أركز..

المزيد من الغرف والمزيد من السادة الروس. ولا أثر لـ (ناتاليا)..  
أ نكون قد تسرعنا، وتكون (ناتاليا) في مكان آخر؟.. لو كان هذا  
صحيحًا، فهذا يعني أننا هالكون لا محالة.. وأننا - وهذا هو الأسوأ  
- قد فشلنا...

أين أنت يا (ناتاليا)؟ أين؟

أركز.. أركز.. أركز..

أتحرك بعقلي بسرعة أكبر.. أجتاز الغرف والأبواب والنوافذ  
والممرات، وفي النهاية أصل إلى تلك الغرفة في نهاية الممر الشرقي  
للمكان، لأجدها..

كانت موثوقة إلى أحد المقاعد، في حراسة ثلاثة ضخام الجسد  
يحملون مدافعهم بتأهب، وقد حمل وجهها آثار الاستجواب الذي  
مارسوه عليها..

الأوغاد!.. يضربون امرأة!!

الآن يمكنني التوقف عن التركيز، لأعود إلى الغرفة حيث أقف،  
لأرى نظرة الاستغراب التي ظهرت في عيني (أنطون) ورجاله، وهم  
يرمقون الدماء التي أخذت تسيل من أنفي بغزارة، وقد تجسد الإعياء  
في ملامحي كأبلغ ما يكون..

وبتوتر يسأل أحد الحراس:

- ما الذي أصابه؟

هنا يلتفت لي (إيجور) ليمنحني نظرة من يريد التأكد من شيء ما.  
فأهز رأسي بضعف موافقًا، ليصرخ (أنطون) في ثورة:  
- دقيقتك انتهت يا (إيجور)..

وهنا يتحدث (إيجور) بصوت لا يحمل ذرة انفعال، ليجيب:

- أحمق أنت كوالدك يا (أنطون) ..

وفي اللحظة التي ارتسم فيها الاستنكار جلياً على ملامح (أنطون)، تصاعد صوت أحد الحرس عبر جهاز الاتصال اللاسلكي، يهتف بالذي كنا ننتظره:

- سيدي.. لن تصدق.. (إيجور فيودوروف) هنا في الخارج و.. وبتر دوي تلك الرصاصة عبارته..

وكانت هذه الرصاصة بمثابة إشارة البدء لـ(إيجور)، فلم يتردد لحظة واحدة..

والآن عرفت لماذا كان يلقبون (إيجور) بالشبح..

لقد رأيت بنفسي..

رأيت أنه ينتزع المدفع من يد أحد الحراس، ليحركه بسرعة غير عادية، ولتنطلق الرصاصات من المدفع الكاتم للصوت تجاه الجميع الذين أربكتهم المفاجآت المتوالية..

ثم رأيت الجميع يتساقطون بسرعة لا توصف، إلا (أنطون) الذي عقدت المفاجأة لسانه، فأخذ يحدق ذاهلاً في (إيجور) الذي بدا كأنه يمارس عمله بسرعة وهدوء.. عملاً اعتاد عليه منذ سنوات ولم يعد هناك من ينافسه فيه...

وحين انتهى سد مدفعه إلى (أنطون) ليقول:

- ألم أقل لك إنك أحمق؟

خرجت الكلمات من بين شفتي (أنطون) كالحشرة:

- ولكن.. كيف؟

- خمّن..

بالطبع لم يخبره (إيجور) أن من في الخارج هو رجلنا (أمجد) الذي استطاع بتكره هذا، جذب الأنظار إليه بعيداً عنا، مسبباً حالة لا توصف من الارتباك للجميع..

لقد ظنوا أنهم قبضوا على الشبح ليجدوا أنفسهم في مواجهة آخر..!

الجزء الثالث من الخطة كان يعتمد على مجموعة من القنابل الزمنية التي وزّعها السيد (أنو) في أسوار الحديقة التي تحيط بالمبنى، لم يكد أولها ينفجر بدوي هائل، حتى كانت حالة البلبلة والفوضى في المكان قد وصلت إلى ذروتها، حتى أن (أنطون) صرخ غير مصدق:

- ما الذي يحدث هنا؟!

لم نعره أدنى اهتمام، بل نظر إلي (إيجور) وهو يسدد مدفعه إلى (أنطون) طيلة الوقت، ليقول:

- هل حددت موقعها بدقة؟

- أعتقد هذا..

- انطلق أنت إذن..

وهكذا تناولت أنا أحد المدافع من الأرض. لأطلق رصاصاتي على فتحة التهوية في السقف لأسقطها، ثم وقفت على المقعد الوحيد في المكان. لأدفع بجسدي في ممرات التهوية، بينما صرخ (أنطون) بثورة:

- لن يمكنك إنقاذها..

أجابه (إيجور) ببرود مقتضب:

- سنرى.. والآن هيا لتساعدني على الخروج من هنا..

بالطبع لم أسمع ما الذي حدث بعد ذلك بينهما، بل أخذت أزحف عبر ممرات التهوية متجهاً إلى حيث يحتجزون (ناتاليا)، وقد تحول

المبنى من أسفلي إلى جحيم تنطلق فيه الرصاصات بلا توقف، والكل يجري في حالة تخبط واضحة، محاولين السيطرة على هذا الهجوم المفاجئ الذي آتاهم من أكثر من جهة..

لم يكن الزحف عبر الممر سهلاً لو كنت تظن هذا، فهو أضيق من أن يسمح لك بحرية الحركة، كما أنني كنت أمسك بالمدفع طيلة الوقت، مما جعل حركتي في الممر أصعب، لكنني كنت أتقدم بسرعة نسبية عبر شبكة الممرات المعقدة، متجهاً إلى الغرفة التي رأيت فيها (ناتاليا) والحراس الثالث.. دك بالطبع من ذلك الدوار الذي أخذ يعث برأسي، بعد كل ذلك المجهود العقلي الذي بذلته، والدماء التي فقدتها..

رهاني الوحيد الآن هو أنهم لن يقتلوا (ناتاليا) قبل أن أصل إليها.. حالة الارتباك التي أصابتهم، ستمنعهم من اتخاذ قرار جذري كهذا، وستجعل الحراس الثلاثة متأهبين تماماً لأي هجوم يتعرضون له.. لكنهم لن يتوقعوا أن يأتي هذا الهجوم من أعلى، وإن كان السيد (أنور) يؤكد أنهم رجال مخبرات محترفين، وأنهم سيتجاوزون المفاجأة في خمس ثوان لا أكثر، هي كل الوقت الذي أملكه من لحظة هبوطي على رأسهم، وحتى أتخلص منهم جميعاً..

دوي الرصاصات في الأسفل يتزايد ليمتزج بدوي الانفجارات، ويبدو أن المعركة قد أصبحت على أشدها.. المشكلة هي أنني هنا في الأعلى، لا يمكنني أن أعرف ما آلت إليه المعركة حتى الآن..

من يدري؟!

ربما أهبط لأجد أنهم استعادوا السيطرة على الموقف، وأن (إيجور) والسيد (أمجد) قد سقطوا أسرى أو قتلوا، وهذا لن يعني إلا أنه سيكون

عليّ التصرف وحدي، وأنا - ببساطة - لا أعرف ما الذي يجب عليّ فعله في موقف كهذا..

هذه المواقف صنعت لأبطال القصص البوليسية التي أكرهها منذ صغري، أما أنا فلا أملك سوى حقيقة أنها أول مهمة لي بالفعل وأنني لا أعرف كيف سأتصرف حينها..

كيف سأتصرف حينها؟

لنترك هذا لوقته..

أزحف.. وأزحف.. وأزحف.. وعبر فتحات التهوية التي أمرّ عليها أطمئن أن كل شيء على ما يرام، وأن المعركة لم تتوقف بعد.. لا يزال أحدهم حيًا على الأقل...

وأخيرًا أصل إلى فتحة التهوية المطلوبة، لأجد نفسي أحرق عبرها إلى (ناتاليا) المقيدة، والحراس الثلاثة الذين بدوا في حالة من التوتر، وأحدهم يسدد مدفعه إلى (ناتاليا) مستعدًا لضغط الزناد كما أمره أن يفعل. في حالات الطوارئ القصوى.. إذا لم نحصل على الأسير، فلا أحد سوانا سيحصل عليه.. هذه هي القاعدة..

الآن عليّ أن أحطم فتحة التهوية هذه لأهبط عليهم كالصقر، ولأطيح بالثلاثة فيما لا يزيد عن خمس ثوان. لأحرر (ناتاليا) ولأخرج بها من هنا..

المخطط يبدو أنيقًا حقًا، لكن.. لكن كيف سأهشم فتحة التهوية هذه إذا كنت عاجزًا عن الاعتدال في هذا الممر الضيق الذي يكفي بالكاد للزحف فيه أفقيًا..

هيا يا قارئ الروايات البوليسية.. أين الحلول العبقريّة؟

أين؟

\*\*\*

## ١٠ - الهروب من بيت العقارب..

أنا سأخبرك كيف تتصرف، فلا يوجد سواي على كل حال..  
ما ستفعله هو أنك ستمسك بالمدفع بحيث تكون فوهته لأعلى، وكعبه  
على فتحة التهوية بيد اليسرى.. تذكر.. يدك اليسرى.. والآن إدفع  
بجسدك إلى الأمام قليلاً إلى الحد الذي يتيح لك رفع صدرك عن  
أرضية الممر، ثم انهال بمرفقك الأيمن على فتحة التهوية، في اللحظة  
التي ستضغط فيها بيدك اليسرى على زناد المدفع، ليندفع بفعل قاعدة  
( لكل فعل رد فعل يساويه في القوة وبضاده في الاتجاه ) إلى الأسفل حيث  
فتحة التهوية .. وها هي فتحة التهوية تهوي على الأرض بدوي معدني  
مؤلم، بينما أنزلق أنا بجسدي لأهبط على الثلاثة كالصقر..

خمس ثوان هي كل ما أملكه، وخمس ثوان هي كل ما استغفرته..  
وها هي ثاني مرة أستخدم فيها قدراتي القتالية الجديدة التي  
اكتسبتها من تجربة (مجدي) العجيبة - المرة الأولى كانت حين واجهت  
(مجدي) في مقره في مصر.. ألم أقل لك إنه لا توجد ضرورة لقراءة  
الأعداد السابقة ١٩ - لأجد أن مهاراتي الجديدة تفوق قدرات ثلاثة من  
رجال المخابرات الروسية المحترفين.. وبمراحل..



لا أجيد وصف المعارك كما هو واضح، لكن لي أن أفخر بالإنجاز الذي حققته هنا وقد تساقط الثلاثة فاقدى الوعي، والدماء تنزف من وجوههم، لأنزعغ أنا إلى (ناتاليا) ...

الأوغاد.. كيف يجروؤن على فعل ما فعلوه مع هذه الفتاة البائسة؟ حين رأيت (ناتاليا) أول مرة، كانت فاتنة تكفي ابتسامة منها لتلهيك عن نفسك، أما الآن والكدمات تفترش وجهها مع الدماء الجافة ودموع الهلع والألم، فلم أشعر تجاهها سوى بالإشفاق، وأنا أحلّ قيودها محاولاً تهدئتها، بينما أصوات المعركة في الخارج مازالت مستمرة، قائلاً:

- أنا هنا لإنقاذك.. تماسكي..

- أبي.. أين أبي؟

- سيكون على ما يرام.. والآن لنخرج من هنا..

- كيف؟

هنا أخرجت تلك العلبتان البلاستيكيتان من كمبي حذائي، ومجموعة من الأسلاك الرفيعة من داخل الحزام، واتجهت إلى الجدار الذي يفصلنا عن الحديقة في الخارج، وأنا أجيّب:

- لقد منحوني وسيلة الهرب، لكن لنأمل أن تصلح..

كانت هذه هي أغرب قنبلة رأيته في حياتي، وحين منحني إياها السيد (أنور)، شعرت أنه يمزح، لكن شرح لي أنه كل ما عليّ فعله هو أن ألصقهما بالجدار، وأن أوصل الأسلاك بينهما بنسق خاص، ثم أن أضغط على الزر الأحمر في العلبة الأولى، قبل أن أتخذ أقرب ساتر لي..

وهكذا ألصقت العلبتين في الجدار.. ثم الأسلاك بالنسق المطلوب.. ثم ضغطت الزر الأحمر، لأجذب (ناتاليا) إلى ركن الغرفة، والمقعد

المعدني من أمامنا ليلتقى هو موجة الانفجار ثم أخذنا نتنظر...  
هل توقعت ما حدث؟  
نعم.. لم تتفجر القنبلة..  
للأسف!

\*\*\*

كانت (ناتاليا) هي من سألت في هلع:  
- لماذا لم تتفجر القنبلة؟  
- لأنني سيء الحظ يا عزيزتي.. حاولي أن تعتادي هذا..  
- وما الذي سنفعله الآن؟  
هنا لم أجبها، بل أخذت أفكر في حل للموقف الذي أصبحنا فيه..  
لا يمكننا الخروج من الغرفة بالطبع، لنواجه كل من في الخارج.. إن  
من يلقي بنفسه في هذه المعركة هو أحق بالتأكيد، خاصة لو كان يجبر  
معه فتاة شبه مهشمة، لذا كان علي التفكير في حل بديل..  
المشكلة أنني لا أفهم كيف تعمل هذه القنبلة بالضبط.. لو خرجت من  
هنا حياً، سأحاول أن أتعلم كل شيء عن القنابل وعن اللغة الروسية..  
أما الآن، فأمامي فرصة وحيدة للتجربة، ولنأمل أن تنجح..  
أعدت (ناتاليا) إلى مكانها في ركن الغرفة خلف المقعد، والتقطت  
المدفع الآلي لأصوب على القنبلة الملتصقة بالحائط، وأنا أقول:  
- المفترض أنها قنبلة رغم كل شيء، وهذا يعني..  
ثم أطلقت رصاصاتي على العلبتين الملتصقتين بالحائط، فظل كل  
شيء على حاله للحظة ثم دوي الانفجار أخيراً بدوي مخيف، غابت  
فيه صرخة (ناتاليا)، ليهوي الحائط مثيراً عاصفة من الغبار، ويلتقى

المقعد أمامنا موجة الانفجار والشظايا بدلاً منّا..

لا بدّ أن دوي الانفجار سيجذب الانتباه إلينا، لذا هببت على الفور،  
وجذبت (ناتاليا) من معصمها قائلاً:  
- هيا بسرعة..

وعبرنا الجدار المتهدم إلى الحديقة في الخارج، التي غلفها الظلام  
تماماً، إلا من وميض الطلقات النارية، لنشق طريقنا عبرها إلى النقطة  
المتفق عليها..

بالطبع لم يكن الأمر سهلاً، وكنت أحمل مدفعي طيلة الوقت أمامي،  
لأزيح أي شخص يعترض طريقي، دون لحظة تردد واحدة.. حين تواجه  
رجل مخابرات مسلح في طريقك للهرب من وكره، فكل ما تملكه هو  
نصف ثانية لتطلق رصاصاتك، قبل أن يمطرك هو برصاصاته، وهذا  
يعني أن المعادلة - وببساطة - حياتك أو حياتهم، لذا يمكنني أن أقول  
بضمير مستريح، أنني لم أكن أملك الخيار..

وكدنا نصل إلى النقطة المتفق عليها عند سور الحديقة، حين ظهر  
ثلاثة من الحراس، ليقطعوا الطريق علينا، وهم يصرخون بلغتهم  
الروسية الثقيلة. وبدا أنها النهاية، لولا أن انطلقت تلك الرصاصات من  
نقطة خلف سور الحديقة، لتحصد الثلاثة بسرعة ودقة، وليرتفع صوت  
السيد (أنور):

- من هنا.. أسرع..

فأسرعت إليه ومن خلفي (ناتاليا) التي كانت في حالة من الإجهاد،  
لم تسمح لها بممارسة الهستيريا المعتادة، التي تصيب كل الإناث في مثل  
هذه المواقف لحسن الحظ، فساعدتها على تجاوز السور، لنجد السيد  
(أنور) في سيارة معدة للانطلاق، والذي لم يكدر أرواحنا حتى هتف:

- هيا بسرعة، قبل أن ينطلقوا في إثربنا..  
- لكن.. أبي؟!

كانت هذه من (ناتاليا) ، لكن الموقف لم يكن يسمح الشرح. فدفعتها إلى المقعد الخلفي، واتخذت مكاني جوارها، لينطلق بنا السيد (أنور) على الفور، وبأقصى سرعة..

لقد نجحنا.. هربنا من بيت العقارب..  
وكررت (ناتاليا) بقلق لا حد له:

- أبي.. أين هو؟!  
فأجاب السيد (أنور)، وهو يواصل طريقه:

- لا تقلقي.. سيكون كل شيء على ما يرام..  
لقد انتهى دورنا نحن في هذا المخطط الانتحاري. ونجحنا في إنقاذ الفتاة، والخروج من بيت العقارب على قيد الحياة..  
وكعادتي سأتجاوز كل التفاصيل المعتادة، وسأخبرك أنه بعد ساعة كاملة، وصلنا إلى ذلك المنزل الآمن في (باريس)، بعد أن تأكد السيد (أنور) بكل الطرق الممكنة، أنه لا يوجد من يطارد أو يتبعه، ليبدأ انتظارنا...

دورنا في المخطط انتهى، لكن ماذا عن (إيجور) والسيد (أمجد)؟!  
هل نجحنا هما أيضًا، أم..؟

لم يطل انتظارنا، إذ لم تكد نصف ساعة تمرّ علينا في المنزل الآمن. حتى وجدنا (إيجور) يدخل علينا، وقد بدا في حالة رثّة وأثار المعركة واضحة عليه، فكادت (ناتاليا) تلقي بنفسها بين ذراعيه، لولا أنه نزع قناعه، لتجد أنه السيد (أمجد) الذي نظر إلينا بدهشة قبل أن يقول:

- (إيجور).. أين هو؟!

- كنّا على وشك أن نسألك ذات السؤال..  
- لقد انسحبت بعد تأدية دوري كما هو المخطط، وكنت أتوقع أن  
أجده هنا حين أعود..  
وهنا تبادلنا النظرات الصامتة التي تحمل ألف معنى ومعنى، بينما  
انهمرت دموع القلق من عيني (ناتاليا)، ليبقى هذا السؤال معلقاً تلك  
الليلة، بلا إجابة..  
ترى.. ما الذي حدث لـ (إيجور فيودورف)؟!  
أين هو الشبح؟؟

\*\*\*

## ١١- أريد الرحيل.. ولكن..

نحن الآن نقف في مطار (شارل ديغول) أو كما يسميه الفرنسيون (رواسي Roissy) كعادتهم في تغيير أسماء الأماكن التي تحمل أسماء الرؤساء أو الزعماء في (فرنسا)، فهم يمتقنون تلك العادة في أن يحمل كل مبنى في البلاد اسم رئيس أو زعيم أو أحد القادة الذين لا نهاية لهم...

أقف الآن جوار السيد (أنور) بقامته القصيرة ونظراته النافذة. و(ناتاليا) التي ارتدت نظارة سوداء ضخمة، لتخفي كدمات وجهها، وقد صبغت شعرها باللون الأسود، لتحيط الباقي من وجهها بوشاح صوفي سميك، وهذا بات من المستحيل أن تتعرف عليها.. كانت تنظر إلى ساعتها كل عشر ثوان، على نحو دفع السيد (أنور) لأن يزجرها همساً:

- ستلفتين الأنظار إلينا بقلقك هذا..

- أعتذر.. لكنني أشعر بالقلق حقاً..

- حاولي التماسك إذن..

نرى (أمجد) يتقدم نحونا ببطء، فلا يتخذ أحدنا أي ردة فعل، حتى يصل إلينا، ليسألنا بهدوء، ودون أن يبدو عليه أن يعرفنا:

- هل يعرف أحدكم الطريق للبوابة التاسعة؟

- من هذا الاتجاه.. اتبع هؤلاء المسافرين..

- أشكرك يا سيدي..

هكذا نعرف أن المطار آمن، وأنه لن يهجم علينا أحد فجأة، لنعود إلى الانتظار..

وأخيراً يظهر ذلك البدين برأسه الصلعاء مستنداً على عكاز معدني رخيص الثمن، حاملاً حقيبة صغيرة، ليتجه نحونا بخطوات بطيئة هادئة.. وحين يبلقنا يتحدث، فيخرج منه صوت مألوف:

- كيف حالك يا (ناتاليا)؟

يتهدج صوت ابنته وهي تجيب، محاولة السيطرة على نفسها بصعوبة:

- أبي.. أنت بخير..

- نعم.. لا تقلقي.. بعد قليل سينتهي هذا كله..

ثم إنه ناول السيد (أنور) الحقيبة الصغيرة التي يحملها، ففتحها السيد (أنور) ليلقي عليها نظرة سريعة قبل أن يقول باقتضاب:

- عظيم..

- الصفقة تنتهي عند هذا الحد..

- بالتأكيد..

ويلتفت لي (إيجور) ليرمقني بنظرة طويلة، قبل أن يقول:

- أشكرك على إنقاذ ابنتي..

ودون أن ينتظر ردي، يجذب (ناتاليا) من يدها، ليبعدا عننا..

وبعد لحظات كانا قد ذابا في زحام المطار، لتنتجه أنا والسيد (أنور) إلى باب الخروج..

لقد انتهت الصفقة..

وفي التلفاز الضخم المعلق في المطار، تسمع المذبةقة الأنيقة تقول:  
- وهذا وقد شهدت قرية (مونمارتر) مذبةقة مروعة ليلة أمس، راح ضحيتها عشرون من الأجانب، الأغلب أنهم يحملون الجنسية الروسية.. وبينما تتصاعد الشائعات بأن هذه المذبةقة هي نتيجة حرب عصابات منظمة، إلا أن الشيء الغريب الذي يواجه رجال المعمل الجنائي، هو أنهم كانوا يحملون عملات معدنية في أفواههم، الأمر الذي يشبه بعض الطوائف..

\*\*\*

بالطبع نجا (إيجور) في هذه الليلة، لكنه لم يغفر لهم ما فعلوه في ابنته. فلم يبق على أحد منهم..

وهكذا وبعد أن أوشتت المخابرات الروسية على القضاء عليه، ها هي تتلقى صفة قاسية منه، أغلب الظن أنها ستقنعهم بتركه في حاله إلى الأبد..

صحيح أن (باريس) استيقظت لتجد هذه المذبةقة التي تبقت من ليلة أمس.. وصحيح أن رجال التحقيقات والمعمل الجنائي سيبدلون جهداً عظيماً في محاولة البحث عن تفسير مقنع لما حدث، وربما ربطوا بين هذه المذبةقة وبين الجثة التي عثروا عليها مشتتة في الفندق - وإن كنت أشك في هذا - لكن أياً كان ما سيصلون له، هو أن لديهم عشرون جثة لروس، وأنهم جميعاً يحملون تلك العملات المعدنية في أفواههم..



بالتأكيد ستبدو هذه النقطة بالذات غريبة للغاية، وبالتأكيد أنها ستحيرهم طويلاً، وأنهم سيجربون خبراء من التخصصات المعروفة للبحث عن تفسير لهذه النقطة، لكنهم لن يعرفوا الحقيقة أبداً.. فقط أجهزة المخابرات هي من تلقت الرسالة كاملة..

لقد كانت هذه الضربة تحمل إمضاء الشبح الشهير، وهذا يعني أن هناك من أخرجه من حالة الثبات الاختيارية التي كان فيها، وأنه دفع ثمن هذا غالياً..

بالطبع ستبقى المخابرات الروسية صامته، عاجزة عن تصديق ما أصابها، وبالتأكيد ستحاول معرفة كيف استطاع رجل في الستين من عمره في التسبب في هذا كله..!

حتى لو حاولوا العثور عليه، فلن يستطيعوا.. صحيح أننا نعرف أنه أخذ الطائرة المتجهة إلى إيطاليا، لكن من قال أنه سيظل هناك؟! إنه سيفعل ما اعتاد أن يفعله طيلة حياته... سيختفي... كالشبح...

\*\*\*

في المقهى الذي التقينا فيه أول مرة، جلست مع السيد (أنور) لأشرح له قراري.. أنا لن أستطيع العمل معهم.. هذه الحياة تبدو صاخبة أكثر من اللازم، وأنا لم أعد أتحمل المزيد.. صحيح أنني من اخترت في أول الأمر، لكن ما حدث فاق كل الحدود التي توقعتها.. إذا كانت هذه هي مهمتي الأولى معهم، فما الذي سيحدث لو واصلت؟!؟

استمع إلي السيد (أنور) طويلاً، قبل أن يقول بهدوئه الذي لا يتزحزح:

- (سامي) .. إنه قرارك رغم كل شيء، لكنني دعني أخبرك بشيء واحد.. إنها مهمتك الأولى ولقد أبديت فيها مهارات لم تكن نتوقعها منك على الإطلاق.. ربما يزعجك أننا نتعامل معك على أساس قدراتك، لكن لماذا لا تفكر بالأمر بهذه الطريقة؟.. أنت قادر على منحنا شيء لا يملكه الأعداء.. شيء تجيد استخدامه، ونحن في حاجة إليه..

- لكنني أشعر بالإرهاق حقاً..

- أمر طبيعي.. عالمنا مرهق، لكن لا تتكر أنه ممتع كذلك.. هل كنت تتصور أن تخوض هذا كله بمفردك؟

- هذا ما لم أعد أطيعه.. حتى لو كان ممتعاً، فهو خطر ومرهق أكثر من قدرتي على الاحتمال..

- ومن قال إن كل مهامنا بهذه الصورة؟.. هذه مزية عالمنا الوحيدة.. التنوع الذي لا نهاية له.. هناك ما هو أفضل وهناك ما هو أسوأ..

ثم إنه صمت قليلاً قبل أن يقول:

- صدقتي يا (سامي) .. لولم أشعر أنك ستحقق نجاحاً في عالمنا هذا، لما طلبت منك أن تستمر.. لاحظ أنك مررت بمهمتك الأولى دون أي استعداد أو تعليم مسبق، وهذا ما يجب أن تحصل عليه، لو قررت الاستمرار، وستشعر بفارق كبير بعدها..

ونهض من على مقعده ليترك الصحيفة التي يحملها أمامي، وهو يقول:

- سأتركك حتى تتخذ قرارك، وإن كنت أرجو ألا تطيل عليّ في

الرد... بالمناسبة، اقرأ الصفحة السابعة، وستعرف المقابل الذي يدفعنا للاستمرار والتحمل..

وغادر المكان بخطوات سريعة، ليتركني وسط عاصفة لا ترحم من الأفكار..

وحين فتحت الصفحة السابعة كان هذا الخبر في انتظاري.. وكان عنوانه..

( القبض على أكبر شبكة تجسس في الشرق الأوسط ) ..

هذا هو المقابل إذن..

هذا هو المقابل..

\*\*\*

قضيت الأيام التالية وأنا في حالة حيرة شديدة عاجزاً عن اتخاذ قراري النهائي، وكنت قد بدأت أميل إلى فكرة المواصلة.. صحيح أننا نتعذب في هذا العالم، لكنه عذاب يستحق..

على كل حال، لم أكن قد وصلت إلى قراري النهائي، حين زارني السيد (أنور) بعد لقائي الأخير معه بيومين، في شقتي، ليخبرني أن هناك شيء طارئ لا يقبل التأجيل..

كان يحمل معه شريط فيديو، عرضه عليّ وهو يقول:

- أرجو أن تكون قد اتخذت قرارك.. فما يحويه هذا الشريط سيثير اهتمامك حقاً..

- ما الذي يحويه هذا الشريط؟!

- انظر بنفسك..

وهكذا شغلت الشريط، وجلست إلى جواره أمام التلفاز لأفهم ما

الذي كان يتحدث عنه..

فعلى الشاشة أمامي ظهر وجه مألوف.. وجه لم أتخيل أنني سأراه  
بهذه السرعة.. وجه (مجدي)!!  
وبابتسامة شيطانية قال (مجدي) في التلفاز، ليدوي صوته في أرجاء  
الشقة:

- مرحباً بكم.. وصول هذا الشريط لكم يعني أنني قد متّ، لكنه لا  
يعني أن كل شيء قد انتهى.. صدقوني أيها السادة.. أمامنا الكثير من  
المرح في الفترة القادمة..  
والواقع أنه كان على حق..  
ففي انتظارنا الكثير من المرح حقاً..  
والكثير من الهلع..  
لكن لنترك هذا للقائنا القادم..  
- تمت بحمد الله -